جامعة عمار ثليجي - الأغواط - الجزائر



دِراسات

مجلّة دولية مُحكَّمة



ISSN 1112-4652

العدد 76
مارس 2019



مجلة "دراسات"

مجلّة دولية علمية مُحكّمة متعدِّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مجلة دراسات العدد : 76 - مارس 2019

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الإنجليزية، وملخص بالعربية إن لم يكن البحث بالعربية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية لكلّ باحث يظهر اسمه مع عنوان البحث(نموذج معتمد لدى المجلة).

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم كلّ باحث يظهر اسمه في عنوان البحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك (نموذج معتمد لدى المجلة).

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة (أي في حدود 4000 كلمة)، وأن لا تزيد عن 25 صفحة.

7- **البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار**.

8- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

9- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

10- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، **ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.**

- قواعد التوثيق: **تتبع إحدى الطريقتين:** 1-عندما يشار إلى المراجع في المتن، يذكر الاسم الأخير للمؤلّف وسنة النشر بين قوسين، مثل (القوصي،1985)، وعند الاقتباس يوضع النصّ المقتبس بين قوسين صغيرين " " وتذكر أرقام الصفحات المقتبس منها مثل: (القوصي، 1985: 43)

2- عندما يشار إلى المراجع في الهامش، يشار إليها بأرقام متسلسلة، -استعمال التهميش الآلي- وتكون في أسفل الصفحة نفسها، وتذكر المعلومات حسب المتعارف عليه منهجيًا.

3- في كلتا الطريقتين، تجمع المراجع في نهاية البحث وترتّب ترتيبًا ألفبائيًا حسب الاسم الأخير للمؤلف، وتكون كالآتي:

- اسم المؤلّف (سنة النشر) عنوان المؤلَّف، (رقم الطبعة)، اسم البلد، اسم الناشر.

-ملاحظة

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها, ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو الجامعة.

مجلة دراسات العدد : 76 - مارس 2019

فهرس المحتويات

التجديد عند الشيخ إبراهيم عمر بيوض
تفسيره في رحاب القرآن أنموذجا

د.سليمان بن علي الشعيلي، أ.د. مبروك المنصوري، د. إيمان الرجيبي
قسم العلوم الإسلامية، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس

الملخص
يهتم البحث بتجديد التفسير، بمعنى إعادة النظر في النص القرآني، بحيث يستجيب لمتطلبات العصر وتطوره، ويقدم أنموذجا لمفسر عاش في القرن الرابع عشر، وشهد جانبا غير يسير من الاحداث السياسية، والتطور العلمي والتقني، فجعل من القرآن الكريم باعثا لنهضة الأمة، وعلاجا لمشكلاتها، وعرض البحث ذلك في عدة مباحث ؛ الأول فيما يخص أمور الاعتقاد، وأن العقيدة الصحيحة هي التي تثمر عملا صالحا. والثاني ما يتعلق بقضايا الأمة والمجتمع، وأن الأمة من أسباب تخلفها وانحطاطها تركها للقرآن الكريم والعمل به، والثالث: التفسير بالنظريات العلمية، وأن هذه النظريات لا يصح أن يفسر بها القرآن ما لم تثبت كحقيقة علمية، وختم الرابع بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم وأهميته في إعطاء نظرة كلية شاملة عن القضية.
الكلمات المفتاحية: التجديد. صفات الذات. الوحدة الموضوعية.

Abstract
The study is concerned with the renewal of tafsīr to the meaning of giving a new outlook on the Qur’anic text so as to conform to the exigencies of the contemporary age and its development. It presents examples of a Mufassir who lived in the 14th century AH and was an eyewitness to a number of political events and scientific and technical developments. He turned the Holy Qur’an into a starting point for the Ummah’s renaissance, and a treatment for its problems. The study is divided into a number of chapters; the first dealing with matters of I’tiqād, and that the correct ‘aqīdah results in upright actions. The second chapter is concerned with vital questions related to the Ummah and society, and that leaving the Holy Qur’an and acting upon it is one of the reasons of the backwardness and decline of the Ummah. The third chapter deals with tafsīr on the basis of scientific theories, and that these theories are not suitable for Qur’anic exegesis as long as they have not been established as scientific facts. The fourth chapter concludes with an outlook on thematic exegesis of the Holy Qur’an and its importance in offering a comprehensive point of view on any case that is subject to study.

تمهيد : معنى التجديد وأهميته

مر التشريع الإسلامي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمراحل مختلفة تأثر فيها بالحالة السياسية سلبا أو إيجابا. ولا شك إن كل نظام سياسي يفرز تصورا لفهم النصوص الشرعية، إذ الحالة العلمية والثقافية في الغالب تتبع الحالة السياسية قوة وضعفا. هذا وقد مر بالمسلمين فترات من الضعف أو الطغيان كان لها أثر بارز على جمود الانتاج العلمي، أو جعله خادما للسياسة مما انعكس بدوره على قدرة النصوص على مواكبة أحداث العصور وتطورات البشرية، فانطمس ما كان بارزا من معالمها، وخفي ما كان ظاهرا من دلائلها، فكان "تجديد الدين إنما يعنى نصب ما اندرس من معالمه وإظهار ما خفي من دلائله، والكشف عما انكتم من جماله واعتداله، وتقوية اثره في حياة الناس الفكرية والعملية والأخلاقية"[1]

ويرى المودودي أن صور الإسلام النقية قد شوهت بفعل الأنظمة السياسية، استعمارية كانت أو متغلبة، وعليه فإن التجديد الديني –عنده- يعني: تغيير الصورة التي ألفها المسلمون وغيرهم عن دينهم وتطهيره من أدناس وقيم وأنظمة أخرى علقت به وتحكمت في المسلمين طويلا والعود بهم سريعا إلى خط الإسلام الواضح ونظامه المقرر في نظرته إلى الحياة الإنسانية وتصوره لمعين الإنسان والكون الذي يعيش فيه"[2]

هما إذن نظرتان مختلفتان بينما يرى المودودي أن حقيقة التجديد في تنقية الإسلام مما علق به وشوه صورته، يذهب الرأي الأول إلى أنه تفعيل للنص وإحيائه واستلهام معانيه التي تتسع لكل جديد، وتستوعب كل عصر، وتعالج شئون الحياة بمختلف أبعادها وتشعباتها. وهذا في رأي العلامة الخليلي يشتمل على نوعين: "تجديد في مجال الدعوة والإصلاح بمحاربة البدع وقمع الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وتجديد في مجال الإفتاء والفقه... بالإضافة إلى تطوير وسائله التي تدعو إليه وتبلغ رسالته وتكشف مضامينه وتظهر حججه ودلائله وتدفع عنه الشبه اليت يحيكها أعداؤه..."[3]

وهذا المعنى هو الذي يتناسب مع موضوعنا فتجديد التفسير كما عرفه شريف هو: "استلهام النص القرآني لإدراك كل معطياته التي ترسم من خلال القرآن الكريم المثل العليا للمسلم في حياته الفردية والجماعية ومن ثم النهوض بالمجتمع المسلم والاستجابة لمتطلباته في الحياة اليومية[4].

ذلك أن طريقة المفسرين القديمة التي تهتم بتحليل الألفاظ وتراكيب الآيات، لم تعد ذات جدوى في خضم التطورات المتسارعة الهائلة التي تشهدها الحياة، وكثرة الصوارف عن الله ودينه، إذ أن "أكثر ما روي في التفسير بالمأثور –كما يقول صاحب تفسير المنار- حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التي لا قيمة لها سندا ولا موضوعا، كما أن المفضلين لسائر التفاسير لهم صوارف أخرى..... فكانت الحاجة

[1] الخليلي، احمد بن حمد، **بيان أثر الاجتهاد والتجديد في تنمية المجتمعات الإسلامية**، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، ص 70

[2] شريف، ابراهيم، **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر**، دار التراث، القاهرة، ط1، 1982م، ص 147، نقلا عن المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، ص 16-17

[3] الخليلي، أحمد بن حمد، أثر الاجتهاد والتجديد في تنمية المجتمعات.. ص 71

[4] شريف، ابراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، ص 7

شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه، وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح"

وأيضا فإنّ التجديد في التفسير يقتضيه الخطاب القرآني من حيث هو خطاب يحاور جميع الأمكنة، ويتفاعل مع جميع الأزمنة، فهو خطاب ممتد لا يتقيد بزمان ولا بمكان....وهو ما أهله لان يكون خطابا متجددا باستمرار..."[1]

على أن التجديد في التفسير لا يعني الإتيان بتفسير لم يسبق إليه وإلغاء كل ما ورد في التفاسير السابقة وإنما هو مواكبة المفسر لقضايا عصره، وإسهامه في إصلاح أوضاع المجتمع الفاسدة وإظهار المقاصد القرآنية والقيم العليا التي ترتقي بأخلاق الناس وتهذب سلوكهم، أي أن التجديد هو تجديد الفهم لمعاني ألفاظ الكتاب العزيز، ويقصد بتجديد الفهم إرجاع المعنى الذي استفيد من النص، وهو غير صواب، إلى وجهه الصواب, حتى كأنه كما كان أول مرة جديدا لم يطرأ عليه تغيير"[2]

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن هذ التجديد مهما كانت اشكاله واتجاهاته يجب أن يجعل النص القرآني هو الأصل الذي تدور عليه رحاه، ومنطلقا لعلاج قضايا العصر ومشكلاته "وهذا من شانه أن يمنح للنص القرآني امتدادات واسعة في اشتغال المعنى وحضوره في مختلف الأزمنة،والأمكنة، وامتداداته الزمانية والمكانية... وهو ما يؤهل القرآن الكريم، لأن يكون له حضور قوي، في تفاعله المستمر، واليومي مع المستجدات والطوارئ التي تطرأ على الحياة البشرية باستمرار".[3]

هذا ويعد الشيخ محمد عبده رائد مدرسة التجديد في التفسير في العصر الحديث. إذ من القرآن الكريم باعثا لنهضة الأمة، وجعل من التفسير وسيلة إلى هذه الغاية، ولم يشأ أن يكون تفسيره مكتوبا كالتفاسير التي قبله، ولكنه فضل أن يخاطب الناس مباشرة عبر دروسه في المسجد، وحين اقترح عليه تلميذه محمد رشيد رضا أن يكتب تفسيرًا يقتصر فيه على حاجة العصر، ويترك كلَّ ما هو موجود في كتب التفسير، ويبيّن ما أهملوه، أجابه قائلاً: «... إنَّ الكلام المسموع يؤثّر في النفس أكثر ممّا يؤثّر الكلامُ المقروء، لأنّ نظر المتكلّم وحركاته وإشاراته ولهجته في الكلام، كلّ ذلك يساعدُ على فهم مراده من كلامه... إنَّ السامع يفهم 80% من مراد المتكلّم، والقارئ لكلامه يفهم منه 20% على ما أراد الكاتب»[4]

---

[1] بنعمر، محمد، التجديد في التفسير، الأشكال الأنواع، النماذج، موقع ملتقى اهل التفسير، تاريخ المقال: 2015/7/16 تاريخ الاقتباس 2017/11/2

[2] البوزي، محمد، التجديد ومناهجه في الدراسات القرآنية، مقال منشور على موقع الدراسات القرآنية، http://www.tafsir.net/article/4356، بتاريخ 2012/12/23، تاريخ الاقتباس 2017/3/21

[3] بنعمر، محمد، التجديد في التفسير، الأشكال الأنواع، النماذج، موقع ملتقى اهل التفسير، تاريخ المقال: 2015/7/16 تاريخ الاقتباس 2017/11/2

[4] البوزي، محمد، التجديد ومناهجه في الدراسات القرآنية، مقال منشور على موقع الدراسات القرآنية، http://www.tafsir.net/article/4356، بتاريخ 2012/12/23، تاريخ الاقتباس 2017/3/21

وقد امتد أثر مدرسة المنار خارج مصر، "وكان الشيخ بيوض[1] العالم اليقظ، المنفتح على العالم الإسلامي من حوله يتابع بحرص دعوات الإصلاح التي كانت ترتفع من هنا وهناك من أطراف العالم العربي، ولا سيما حركة العلماء المصلحين في الشرق من أمثال الشيخ محمد عبده، وجمال الدين الأفعاني، ورشيد رضا، والكواكبي، وشكيب أرسلان وغيرهم ممن أعجب الشيخ بيوض بمنهجهم، وتشرب أفكارهم من خلال آثارهم وكتبهم، وقد جمعته الصدف ببعضهم مثل شكيب أرسلان الذي التقى به في الحج سنة 1929 م فكان دائم الإشادة بفكره ومواقفه.[2]

قرأ بيوض بشغف ما كتبه جمال الدين الأفغاني، وقال: "درسنا طبائع الاستبداد حرفا حرفا، وكنت أحفظ أكثره، لأنه يعبر عما في نفوسنا المكلومة، وينفس عن صدورنا المكظومة، ونحن تحت نير الاستعمار"،"[3]. كما قرأ أيضا ما وصل إلى يده من فكر الاستاذ محمد عبده، وقال يصف أثر العروة الوثقى على نفسه: ""درستها حرفا حرفا، وتركت في نفسي أثرا عميقا لمواضيعها الاصلاحية"[4].

ونظرا لتشابه الأحوال والظروف في الوطن العربي آنذاك، سلك بيوض الطريقة نفسها التي سلكها قبله الاستاذ الشيخ محمد عبده، فأنشأ له درسا اسبوعيا في المسجد يفسر فيه القرآن الكريم بلغة يفهما العامة[5]، ذلك أن مواجهة الناس والحديث إليهم عن قرب، ليس كالكتابة في الأثر والاستجابة وتحقيق

[1]- ولد العلامة ابراهيم عمر بيوض في 21 ابريل عام في مدينة القرارة بالجزائر عام 1899. التحق بمعهد الشيخ ابراهيم بن الحاج البريكي وحفظ القران الكريم، وهو في سن 12، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة الشيخ الحاج عمر بن يحيى.

ظهرت على بيوض علامات النبوغ، فأحبه شيخه وقربه، وكان يصطحبه في رحلاته إلى البلدان المجاورة.

أستطاع بيوض أن ينوب عن شيخه في إلقاء بعض الدروس، ثم تولى التدريس بعد وفاة شيخه وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره.

رغم صغر سنه فقد اختير عضوا في مجلس العزابة (الهيئة العليا المشرفة على الشؤون الدينية والاجتماعية في البلدة) عام 1922، ثم بعد سنتين عين شيخا يتولى مهام التدريس والوعظ في المسجد.

أنشأ معهد الشباب (عرف فيما بعد بمعهد الحياة) سنة 1925، وتولى إدارته والتدريس فيه.

أنشأ عام 1937 م جمعية الحياة الخيرية، وكانت تشرف على عدة مؤسسات منها المدرسة الابتدائية، نادي الحياة، مكتبة الحياة.

في عام 1939 اسندت إليه رئاسة مجلس العزابة نظرا لدوره الريادي في إصلاح المجتمع.

كما كانت له اتصالات وثيقة مع العلماء المصلحين في القطر الجزائري، أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ الطيب العقبي، وغيرهم، واشترك معهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 وكان عضوا بارزا فيها.

حارب الشيخ بيوض الاستعمار الفرنسي للجزائر وتصدى له بكل جرأة وشجاعة، حتى نعته الحكام المستعمرون بـ (المشاغب)، وبـ (المهيج الخطير) ، ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية، لمدة اربع سنوات، (1940-1944)،، تفرغ خلالها للتدريس والإصلاح، ونظرا لمواقفه تلك انتخب عضوا في المجلس الجزائري عام 1948، بالاغلبية الساحقة، وأعيد انتخابه عام 1951م.

بعد استقلال الجزائر، عام 1962، أصبح رئيسا لمجلس عمي سعيد، وهو الهيئة العليا لعزابة مدن وادي ميزاب، ووارجلان، ووظل كذلك حتى وفاته في 14 يناير عام 1981م.

[2]انظر محمد ناصر، الشيخ أبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، ص 17

[3]انظر مقدمة المحقق، 53/1

[4]انظر مقدمة المحقق، 53/1

[5] يقول محقق التفسير "لم يكن الشيخ يتكلم لغة واحدة، وإنما كان يجمع بين اللغة العربية الفصحي، واللغة الميزابية البربرية المحلية، واللغة العربية الدارجة، يفعل ذلك مضطرا حتى يوصل المعنى إلى قلوب السامعين وعقولهم، وهو مختلفون ثقافة وأعمارا، ومستويات ومواهب". ينظر تقديم الدكتور محمد صالح ناصر على تفسير سورة الإسراء، 12/1

الهدف، وقد صرح بتأثره بالإمام محمد عبده فقال: «إنّ مقصدي من هذه الدروس وغيرها هو مقصد الشيخ محمد عبده، أن أخلق عقولاً تتذوّق بلاغة القرآن، ونفوسًا فيها طهر القرآن، وتلاميذ مصلحين يكونون جند القرآن»[1].

لم يكن بيوض يريد أن يضيف رقما جديدا إلى مكتبة التفسير، يحمل اسمه ويدافع فيه عن فكر مذهبي بعينه، لكنه كان مصلحا عظيما، فجعل القرآن الكريم أعظم وسائله في الإصلاح، وقال " جعلت من تفسير كتاب الله عمدتي في الدعوة إلى الله تعالى، وكنا حربا على الاستعمار الذي يجدن شبابنا جبرا، ويمنعنا من التعليم الحر جبرا، ويعمل كل وسيلة للتعطيل، وكنا نداوره تارة، ونداريه تارة، وندافع تارة أخرى، ورأيت أن أنفع شيء لذلك هو كتاب الله فشرعت في التفسير". [2]

إن الدافع الأول لإبراهيم بيوض-كما يشير النص- من تفسيره القرآن الكريم، هو الدعوة إلى الله، ومحاربة الاستعمار ببث روح الدين وأخلاقه وتعاليمه في نفوس الشباب، والقرآن الكريم مليء بهذه الروح غير أن تفاسيره التقليدية لا تسعفه لتحقيق هذا الهدف، فأعاد قراءة القرآن بنظرة جديدة تتناسب وظروف العصر، وتعالج مشكلاته، فاشتمل التفسير (الذي سماه في رحاب القرآن)، على عدد من مظاهر التجديد سواء في الطريقة أو المحتوى كما سيتضح ذلك من المباحث التالية

المبحث الأول: التجديد في علم العقيدة

المطلب الأول: صفات الله

لم يطبع من تفسير بيوض إلا النصف الثاني من تفسير القرآن، ابتداء من سورة الإسراء، وضاع ما قبل ذلك إذ لم تكن تقنية التسجيل الصوتي قد دخلت وادي ميزاب[3] بعد. وفي هذا الجزء المطبوع من التفسير نرى أثر العقيدة ظاهرا جدا، ذلك أنه في هذه الفترة من الزمن "بدأت تدب في علم العقيدة حركة بعث وتجديد، وربما كان الدافع إليها شدة التحدي للعقيدة الإسلامية الذي ظهر في الغزو الاستعماري والثقافي الذي استهدف الأمة الإسلامية من قبل الغرب، فهذا التحدي المسلح بالفلسفة والعلم... استهدف نقض العقيدة الإسلامية من أساسها.. فتبين لبعض المفكرين والمصلحين إن الدفاع عن العقيدة الإسلامية يستلزم تجديدا في منهج هذا العلم بحيث تستعمل في الأساليب التي تقنع العقلية المعاصرة، وتكافيء في القوة الأساليب التي يستعملها الخصم في الهجوم، ولعل مبادرة الإمام محمد عبده في كتابه رسالة التوحيد فتحت المجال أمام من جاء بعده من المصلحين أمثال الشيخ مصطفى صبرى، ومحمد إقبال، والعقاد، ومالك بن نبي، وغيرهم.."[4]

---

[1] دبوز، محمد علي، اعلام الاصلاح في الجزائر، 30/2

[2] مقدمة المحقق، 39/1

[3] **مزاب** أو **واد مزاب**، بالأمازيغية المحلية، منطقة جغرافية في شمال الصحراء الجزائرية، وتقع في ولاية غرداية، 550كم جنوب الجزائر العاصمة، وهي تغطي حوالي 8000 كيلومتر مربع، بين 32 ° و 33 ° '20 خط العرض الشمالي و 0 ° '4 و 2 ° 30 'شرق خط الطول.
(https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B2%D8%A7%D8%A8)

[4] النجار، عبد المجيد، الإيمان وأثره في الحياة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1997، ص 23 بتصرف

ولم يكن بيوض، كما أشرنا، بعيدا عن فكر هذه المدرسة، وكان يعي تماما ما جره علم الكلام من تعقيد لبعض أبواب هذا العلم خاصة فيما يتعلق بالإيمان بالله وصفاته فقرر أن يبعد هذه المسألة عما أثير حولها من جدل لم يضف إليها إلا مزيدا من التعقيد والغموض، ودعا إلى الرجوع إلى منهج السلف الصالح في وصف الله تعالى بصفات الكمال وتنزيه عن صفات النقص دون الحديث عن كيفية ذلك، وأن "كل ما يجب أن نعتقده أن لله الأسماء الحسنى، وهي صفاته، ولكن لا نعرف لها حقيقة إلا أنه اتصف بها، ويكفينا هذا. نؤمن بما أراد أن يسنده إلى نفسه من أفعال، من غير تشبيه أو تعطيل، والقانون الذي نرفعه هو قوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [سورة الشورى: 11]، فوجوده ليس كوجود المخلوقات، وكذا حياته، وسمعه، وبصره، وإرادته، وحبه، وبغضه، وولايته، وعداوته، وكل شأن من شؤونه خاص به لا يشبهه شيء. وإنما الله خالق الألفاظ والعبارات، قال لنا: أنا سميع، أنا بصير، فجاءت هذه الألفاظ مشابهة للتي نستعملها، أما حقائقها فنستطيع أن نقول: إن بينها ما بين السماء والأرض، بل أبعد مما بين السماء والأرض.. فدعوا هذا الجدل وتمسكوا بمذهب السلف الذي فيه كل السلامة"

ويلح بيوض إلى أن الواجب على المسلمين العودة في مثل هذه القضايا إلى فهم السلف الأول في كل ما يتعلق بشؤون الله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى، فنفوض فيها الأمر كله إلى الله ولا نحاول التفلسف لنفهم حقيقة الصفة، أهي عين الذات، أم هي زائدة عن الذات[1].

ويرى بيوض أن بعض المفسرين رام توضيح المعنى، فيما يتعلق بمسألة الصفات، فزادوه غموضا بكثرة التفصيلات حوله، وهم بذلك يحققون دون قصد، أهداف الطاعنين في الإسلام، والراغبين في تمزيق شمل المسلمين، مثال ذلك تفسير صفة الكلام، يقول:

وقد تكلم المفسرون في تكليم الله موسى فقالوا: ترى هل يسمع موسى الكلام بإذنه، كما يسمع كلام البشر؟ أم هل يسمعه من كل جوارحه؟ أم هل يأتيه من جهة واحدة؟ أم يسمعه من كل الجهات؟ كل هذا دخول فيما لا يجوز، فمن أين لنا أن نعرف؟ فالعجز عن إدراكه إدراك، والخوض في إدراكه إشراك، خاصة في مسألة الكلام التي طال فيها الجدال على أيدي أناس دخلوا الإسلام لإفساد الإسلام، وخلقوا الفتنة التي ابتلي بها كثير من الناس في زمان مضى، كما ابتلي بها البلاء الكبير التقي الورع المتمسك بالسنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

والكلام كبقية صفات الله، فالله حي عليم متكلم سميع بصير فهل تعرفون حقيقة هذه الصفات؟ كلا، وكل ذلك دخول فيما لا يعني، ووالله ما كان ينبغي ذلك الجدل، ويجب أن يطوى ولا يذكر، لأنه ما شتت المسلمين إلا هو ..!

نعلم أن الله سميع بصير، وهو الذي خلق الأسماع والأبصار، ولكن هل تعلم أن الله يسمع بآذان؟ أو يبصر بحدقة وأجفان؟ ما هذا الطمع؟ وما هذا الفساد في الفكر؟ إن الدخول في كل هذا ضلال، ولا يؤدي إلا إلى

---

[1] بيوض، ابراهيم بن عمر، في رحاب القرآن، تحرير عيسي بن محمد الشيخ، جمعية التراث، القرارة: الجزائر، 1424هـ/2003م، 32/12

ضلال، وكم من أناس مرقوا من الدين من أجل هذا لأنه لا مطمع في إدراك شيء منه أبدا ولو اجتمع أهل السموات والأرض"[1].

ولا يخفى أن "ما يتعلق بمسألة العلاقة بين ذات الله وصفاته، وكذلك مسألة كلام الله أقديم هو أم حادث، كل منهما احتلت حيزا كبيرا في علم العقيدة، وذلك لظروف كانت تتعلق بنشاط النصارى وسعيهم في بث مقولتهم في التثليث معارضة للتوحيد الإسلامي، مما اضطر علماء العقيدة في القرن الثاني وما بعده إلى إثارة هذه القضايا لإثبات توحيد الله وتحصين العقول أن تداخلها شبهة التثليث المسيحي، ولكن اليوم لم يبق من دواعي هاتين القضيتين وملابساتهما شيء، فأي مبرر لإدراجهما في هذا العلم.."[2]

هذا وقد كثر الجدل أيضا في الصفات التي يوهم ظاهرها التشبيه، وانقسم المسلمون حيالها إلى فرق؛ أخذ بعضهم بظاهر اللفظ دون معناه في اللغة، وأوله آخرون وفق مقتضى اللغة التي نزل بها القرآن، وفوض آخرون معناه إلى الله مع اعتقادهم أن ظاهر اللفظ غير مراد قطعا، من أمثلة ذلك معنى استواء الله على العرش.

ولما كانت اللغة لا تسعف في صفات الذات اختار بيوض تفويض معناها إلى الله دون الدخول في تفاصيلها، بيد أن الأمر قد ينطبق جزئيا على صفات أخرى مثل الاستواء، لذلك نجد بيوض يتردد بين القول في التفويض وأن " الاستواء حقيقته عند الله تعالى وهو من شئونه، لا نتكلم فيه، وإن كان البعض يفسرونه بالاستيلاء"، ثم في موطن آخر يدركه خوف من تصور العامة لهذا الاستواء بالمحسوس، فيوؤله ويقول:، وليس معنى الاستواء على الجلوس، فتعالى الله عن الحلول في الأمكنة، وإذ لا تحويه الأقطار والجهات، ليس بجسم مصور، ولا بجوهر مقدر، وإنما الاستواء هو الاستيلاء...[3]

ولا تناقض بين الأمرين فإن التفويض إنما هو جانب من التأويل، إذ المفوض يصرف اللفظ عن ظاهره لكنه لا يحدد معناه بالاستيلاء، وكلا الرأيين منزه لله تعالى عن صفات الجسمية والحلول وغيرها من صفات النقص.

بيد أن بيوض وإن اضطر إلى تأويل بعض الصفات فرارا من القول بالتشبيه، لكنه لا يفتح الباب واسعا لهذا النوع من التأويل، وإنما يشترط له شرطين:

الشرط الأول: ألا يؤدي إلى تجسيم الله تعالى، كما قالت اليهود، إن الله بدأ خلق السموات والأرض يوم الاحد، وانتهى يوم الجمعة، واستراح يوم السبت.. كما لا يجوز وصفه بأنه يأتي عليه زمان، أو يحيط به مكان، فكل خلاف يؤدي إلى هذا هو باطل لا يجوز أن يقال.

الشرط الثاني: ألا يعتمد قول من الاقوال، ويعتقد فيه اعتقادا راسخا أن هذا هو الحق، وغيره هو الباطل، فلنا أن نتأول الكرسي أو الاستواء أو غيره، بما نتأوله، ولكن ليس لنا أن نقول: إن هذا هو الحق وغيره

---

[1] بيوض، في رحاب القرآن، 32/12

[2] النجار، عبدالمجيد، الإيمان وأثره في الحياة، ص 27-28

[3] بيوض، في رحاب القرآن، 32/12

الباطل، إذ يمكن أن يكون المعنى ما أدركناه واخترناه، واطمأنت إليه نفوسنا وقد يكون غيره، فإذا سلمنا من هذين الامرين فلا باس من التأويل.

إذن فالتأويل، في نظر بيوض، حتى وإن كان في قضايا العقيدة، إنما هو ضرب من الاجتهاد البشري، قابل للصواب والخطأ، وعليه فإن الأمر واسع، ولا يجوز للمسلم أن يقطع عذر مخالفه ما دام الرأي الآخر لا يؤدي إلى خروج عن قاعدة التنزيه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾، والقائل به يعتقد تنزيه الله عن صفات النقص ويصفه بصفات الكمال المطلق.

المطلب الثاني: الإيمان بالغيب

يتضمن الغيب كل الأمور التي ستحدث في اليوم الآخر، كما يدخل فيه أمور أخرى تتعلق بالخالق نفسه تبارك وتعالى، كالعرش والكرسي وغير ذلك. يرى بيوض أنه:

"إذا لم يرد في ذلك نقل صحيح فإنه من الصعوبة الخوض في تفسير الآيات التي تتعلق بشؤون الله تعالى الخاصة به، وعلينا الإيمان بها إجمالا دون الخوض في تفاصيلها، فالعرش مثلا لا يعلم حقيقته إلا الله، وهو يقينا هو شيء لن يستطيع البشر أن يتوصلوا إلى إدراك حقيقته أبدا، وكل ما نعلمه أنه خلق من خلق الله تعالى، وأنه أعظم من السموات والأرض، كما قال الله ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة المؤمنون: 86]، أما أين يوجد، وما مقدار عظمته؟ ومن يحمله، كل ذلك غيب مطلق، ليس لنا إلا أن نفوض العلم والأمر فيه إلى الله أولا وأخيرا، وكل ما يزعمه الزاعمون مما ذكروه في بعض الروايات عن وصف العرش ووزنه وكوله، وعرضه باطل لا أصل له، إذ ليس هناك نص من القرآن الكريم ولا من حديث النبي عليه السلام نعتمد عليه في إدراك حقيقة العرش.."[1]

ومثل ذلك يقال في الصور، والنافخ فيه، والوقت الذي يقع فيه النفخ، "إنه غيب مطلق لا يعلم حقيقته إلا الله عز وجل، والذين يتكلمون في حقيقة الصور... رجم بالغيب"[2]، فنحن نؤمن بالنفختين اللتين ذكرهما لله في آيات كثيره، وما وراء ذلك فعلمه عند الله.[3]

كل هذه الامور الغيبية والتي ليست من ضروريات العقل، ولم يثبت فيها نقل صحيح –يرى بيوض- أنه يجب أن يرد الأمر فيها دائما إلى الله مهما اختلف المختلفون، وقال القائلون..[4]، "والنقل الصحيح إنما هو خبر يقيني ورد في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة المتواترة وإلا كان تحكما على الله".[5] ولا شك أن اعتماد الخبر اليقيني في مثل هذه المسائل أجمع للشمل وأذهب للخلاف، وأصبح من الضرورة بمكان إعادة النظر

[1] بيوض، في رحاب القرآن، 30/12-31

[2] بيوض، في رحاب القرآن، 484/15

[3] بيوض، في رحاب القرآن، 206/8

[4] انظر بيوض، في رحاب القرآن، 15/7

[5] بيوض، في رحاب القرآن، 140/15

في فهم مثل هذه النصوص وتفسيرها وفقا لتلك القاعدة التي ذكرها بيوض، لقطع دابر هذا الخلاف الذي لم ينتج عنه إلا القطيعة والبغضاء بين المسلمين.

المطلب الثالث: الإيمان والعمل

تعد قضية الإيمان والعمل من أهم قضايا الاعتقاد في الفكر الإسلامي إذ تنبني عليها كثير من الأحكام في الدنيا والآخرة،. "وقد أدرك الشيخ بيوض أنه إذا أريد لحركة الإصلاح أن تنجح في مساعيها فيجب أن تبدأ أولا بتغيير المفاهيم والتصورات، وإصلاح المعتقدات الفاسدة، التي توجه سيكولوجية المجتمع، وقواه النفسية، وتؤطر سلوكاته، قبل التطرق بالإصلاح للجوانب الأخرى من النظم الاجتماعية والجوانب المادية لحياة المجتمع، فالمشكلة –في نظر الشيخ بيوض- في أساسها مشكلة فكرية".[1]

وعليه لا بد من قراءة جديدة لبعض النصوص التي يشير ظاهرها إلى أن الاعتقاد والقول وحدهما كافيان في النجاة من غضب الله وعذابه، لهذا نجد بيوض يلح على أن العمل مكون هام من مكونات الإيمان الثلاثة، وأنه، إي الإيمان، بدون عمل لا قيمة له، وان "كل عقيدة في القلب، لم يكن لها مظهر في الخارج هي عقيدة باطلة لا قيمة لها مطلقا".[2] وأن النجاة في الآخرة ما هي إلا نتيجة للإيمان والعمل معا، وليست للأول منهما، يقول بيوض في تفسير آية 67 من سورة القصص، قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾: "لا يكفي الإيمان وحده بدون عمل صالح، ولا يكفي العمل الصالح إذا لم يكن معه إيمان، أو كان معه عمل طالح لم يتب منه، فلا بد من استيفاء الشروط الثلاثة ليتحقق الفلاح، وضل من ظن غير هذا، فمن طمع أن يدخل الجنة مع عدم التوبة من المعاصي، أو يدخل الجنة مع عدم الإيمان، أو يدخل الجنة بمجرد الإيمان باللسان دون العمل الصالح، فهو ضال مخطيء"[3]

بهذا وحده يتحقق الهدف من الإيمان بالآخرة وهو أن يضبط حياة المسلم بأن يوجهها إلى العمل الصالح، ويمنعها من عمل الشر والفساد، ولا شيء يحذر الناس، كما بقول بيوض، ويمنعهم من الزيغ والانزلاق والخروج عن الجادة إلا خوف الموت، وما بعد الموت، وإذا انعدم هذا الإيمان انفلت عقد الدين وانحل كل شيء ولا يجدي فيه كلام أو توجيه ابدا".[4]

والارتكان إلى آيات القرآن قد يسعف بيوض في تقريره لعقيدة العمل بيد أنه في الحديث الشريف ما يشير إلى خلاف ذلك، كحديث "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة.." الحديث، لذلك فإن بيوض يضع قاعدة عامة وهي أن هذه الأحاديث لابد أن تكون خاضعة لنص القرآن ولا يجوز فهمها إلا من خلاله، وقد تقرر في القرآن أن دخول الجنة لا يكون إلا بالعمل، وعليه يكون المقصود بهذا الحديث من أسلم بعد أن ارتكب كثيرا من الموبقات،" فإنه في اليوم الذي يعلن فيه إسلامه، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه، ويبدأ عمله

[1] بوحجام، محمد قاسم ناصر، منهج الشيخ بيوض في الإصلاح والدعوة، جمعية التراث، القرارة، 1429هـ/2008م،ص 116

[2] بيوض، في رحاب القرآن، 19/9

[3] بيوض، في رحاب القرآن، 466/8

[4] بيوض، في رحاب القرآن، تفسير سورة طه، ص 274

من ذلك اليوم، والإسلام جب لما قبله... أما أن يظن مسلم في وسط الإسلام أن يزني ويسرق ويأكل أموال الناس بالباطل، ويرتكب المحرمات.. ويطمع بعد ذلك أن يريح رائحة الجنة من غير توبة، فهذا بعيد بعد السماء من الأرض". [1]، وقد قدمنا أنه لا بد من تكامل هذه النصوص كلها لتفهم على الوجه الصحيح دون التأثر بالخلفيات الفكرية والمذهبية.

المبحث الثاني: معالجة قضايا الأمة والمجتمع

المطلب الأول : تخلف المسلمين

عاش بيوض فترة هيمنة الاستعمار على الوطن العربي، وسبق أن أشرنا إن من أهداف هذا التفسير هو محاربة الفكر الاستعماري الذي كان من أولوياته مسخ الهوية الإسلامية ليسهل عليه بعد ذلك استعباد المسلمين واستغلال خيرات بلدانهم. وأن ما أصاب المسلمين، كما يعتقد بيوض، إنما هو بسبب تهتكهم وتحللهم ومروقهم من الدين، و يقول: إن مما ينذر بالخطر، أن جيل الشباب جيل متهتك، منحل، مارق من الدين،[2] ولن يتغير حالهم هذا إلا بالرجوع إلى كتاب الله والاحتكام إلى شرعه، ولن تكون لهم قوة وعزة إلا بالاتحاد، والاعتصام بحبل الله.[3]

ويرد على المتشككين في نصر الله : أن الخطأ في فهمنا للإيمان الذي يحقق الله لأهله النصر، فالإيمان الصحيح ليس هو ركعات يصليها المسلم، أو كلمات يتلفظ بها لسانه، ولكن الإيمان عقيدة يصدقها العمل، ويأسف أن يكون من بين المسلمين من يدعو إلى الالحاد صراحة، وينشر ذلك على الصحف والمجلات العربية، بينما اليهود لا يخطون خطوة إلا وصلوا وركعوا، وسجدوا، ودعوا، وقرأوا التوراة، وتحكى عنهم العجائب في استنصارهم بالتوراة، والتضرع إلى الله وهم يؤمنون بالله وإن حرفوا الدين".[4]

ويضيف بيوض، "إن المسلمين بمخالفتهم أمر الله، وارتكابهم المعاصي، لم يأخذوا من الإسلام إلا الجنسية، فهم مسلمون جغرافيا، وليسوا مسلمين على الحقيقة، ولذا فهم لم يحققوا (الجندية لله) التي عناها في قوله (وإن جندنا لهم الغالبون)، والتي هي شرط النصر، فكيف يرجون الغلبة وهم جند للشيطان؟؟[5]

ويقول بيوض: إن الحق لا يغلب، وإنما يغلب أتباعه إذا لم يقوموا به، كما قال الله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [سورة المائدة: 68]، كذلك يا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن[6]، ثم يستشهد بيوض بكلام الشيخ محمد عبده، إن الإسلام محجوب بالمسلمين".[7]

---

[1] ينظر بيوض، في رحاب القرآن، 225-217/4

[2] بيوض، في رحاب القرآن، 8/ 42

[3] بيوض، في رحاب القرآن، 221/5

[4] بيوض، في رحاب القرآن، 223-222/16

[5] أنظر، بيوض، في رحاب القرآن، 596/14

[6] انظر، بيوض، في رحاب القرآن، 335/13

[7] بيوض، في رحاب القرآن، 599/14

ونحن نرى من خلال ما سبق أن بيوض يضع الإيمان والعمل والهزيمة والنصر،، في منظومة واحدة متكاملة، فهي حلقات مترابطة تؤثر كل منها في التي تليها، ولعل هذه القضية هي أهم قضايا أمتنا التي لازمتها زمنا طويلا وما زالت، ولكن الجديد أن يسخر بيوض، كما فعل الشيخ عبده، فهمه لآيات القرآن الكريم، في تشخيص هذا الداء، ثم يناشد المسلمين بصوت عال العودة الى الدين الذي تركوه، وهكذا يستخدم التفسير باعثا على النهضة وإحياء الأمة، ووحدتها.

المطلب الثاني: الوحدة الإسلامية

سيطر على بيوض، وهو يعيش حالة من ضعف المسلمين، هم وحدة المسلمين وشغل باله تفرقهم وتنازعهم، وقد حرص في دروسه خاصة في تفسيره للآيات التي تدعو إلى الوحدة ونبذ التفرق أن يبين "أن القرآن حريص على إظهار وحدة الدين، وهو يبين لنا في آيات كثيرة أن دين الله واحد لا يتعدد، فما شرعه لآدم وبنيه الأولين هو ما شرعه للنبي عليه السلام وأمته، وينهى في كثير من الآيات عن التفرق في الدين، وفي هذا المعنى يقول ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[سورة الشورى: 13]، ويقول﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [سورة الأنعام:،159 ويقول ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [سورة آل عمران : 19].[1]

ويقدّم بيوض للمسلمين قاعدة عامة نادى بها كثير من المصلحين، يمكنهم أن يقيموا عليها بناء وحدتهم، وهي "أن الدين واحد في أصوله وقواعده وأسسه، وهو الإيمان بالله وربوبيته وألوهيته وأزليته.. ثم الإيمان بالوحي الذي ينزله الله على رسله من البشر، ثم الإيمان بالأنبياء والرسل، ثم التصديق بالكتب، ثم الإيمان بالملائكة، ثم الإيمان باليوم الآخر... وعليه يجب ألا يكون في الأرض إلا أمة واحدة تدين لله بالخضوع والذلة والعبودية، تعترف بأنها مخلوقة له". [2]

ليس هذا فحسب، بل يذهب في هذه القضية -أي قضية الوحدة- لأبعد من ذلك فيطمع أن تكون هذه الوحدة بين أهل الكتب السماوية جميعها، و أن ما يسمى بالأديان اليوم ما هي إلا طرائق للعبادة وأن الدين الذي نزل به الأنبياء واحد و ليس المراد بالإسلام الشريعة المحمدية، "وإنما المراد بالإسلام ما جاء به الرسل من عند الله من العقائد التي لا تتبدل ولا تتغير...والله تعالى يريد أن يبين لنا أن الدين الذي شرعه الله واحد لا يتعدد، ولا يختلف، ولا يفترق، وأن الصراط الذي شرعه الله للناس وأمرهم بسلوكه لا يختلف بين الأولين والآخرين، ولا يجوز أن يختلفوا فيه ولا أن يخرجوا منه".[3]

ويرجع بيوض اختلاف المسلمين إلى أسباب داخلية وأسباب خارجية، فقد كان للحاقدين والمفسدين الذين دخلوا الإسلام ليس بنية الإخلاص لله وعبادته، وإنما بقصد إفساد هذا الدين، دور كبير في اختلاف

[1] بيوض، في رحاب القرآن، 153/5

[2] بيوض، في رحاب القرآن، 202/4-203

[3] بيوض، في رحاب القرآن، 153/5-154

المسلمين وتفرقهم، كما كان لبعض المسلمين أنفسهم أيضا دور في هذا الاختلاف، ويقول: أنه في القرون الماضية دخلت عناصر في الإسلام من الذين يحملون عقائد ضالة قصدا لإفساد الإسلام، فاضطر بعض العلماء المسلمين في تلك الأوقات للدخول معهم في جدال لدفع شبههم، فالمسلمون جروا إلى هذا جرا، لأنهم وجدوا أنفسهم مضطرين للدفاع عن الإسلام، فكانت هذه الفلسفة الجدلية الكلامية...ويذكر بيوض أن من اسباب الاختلاف، التنطع في العلم وشهوة الرد على المخالف بحق أو بغير حق، بما يليق وبما لا يليق، كالذي حدث بين المعتزلة وخصومهم من أهل السنة".[1]

ثم يدعو بيوض المسلمين إلى تجنب هذا الجدل الذي لا فائدة منه إلا إذكاء الخلاف والتفرق، وعليهم أن يسلكوا الطريق الذي سلكه النبي الأعظم، وسلكه الخلفاء الراشدون والصحابة من بعده صلى الله عليه وسلم، حتى يضمنوا السلامة".[2]

المطلب الثالث: موقفه من غير المسلمين

نقصد بغير المسلمين هنا المشركين عامة وأهل الكتاب خاصة، أما موقف بيوض من المشركين فقد أبان عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [سورة محمد: 4]

[1] أنظر بيوض، في رحاب القرآن، 207/17، وعند تفسير قوله تعالى (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) الشوري: 25 ضرب لذلك مثالا فقال: "يقول المعتزلة: إن في هذه الآية دليل على أن التوبة واجبة على الله، وقال السنيون (أهل السنة)، أخطأ المعتزلة : إنه لا واجب على الله. ولنعرف هذا الخلاف، علينا أن نعلم أن الله تعالى الخالق الرازق، الواحد، القهار،.. لا يجب عليه مطلقا شيء،لأنه لا أقدر ولا أقوى منه سلطانا.. ولكن الله كتب على نفسه اشياء كما قال: (كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم) الانعام: 54، ويقول (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) المجادلة: 21، ويقول في وعده (إن الله لا يخلف الميعاد) الرعد: 31، ويقول (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) الفتح: 23.

فمعنى أوجب الله تعالى على نفسه يعنى: حكم حكما أبرمه وقضاه، ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وما أراده يكون بإرادته ومشيئته المطلقة، ووعده لا يتخلف، وهو لا يخلف الميعاد، فالله تعالى بنفسه وبإرادته المطلقة قال: إنني أثيب المطيعين وأعاقب العصاة الذين ماتوا مصرين على ذنوبهم غير تائبين، فهو الذي سن هذه السنة،ووضع هذه القوانين التي لا تتبدل لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولذلك فنحن نستطيع أن نقول إن الله أوجب على نفسه في مثل هذه المقامات مثل قوله (كتب على نفسه الرحمة.(

أما في غيره من المقامات فإنه لا يمكن لمسلم أن يجرؤ فيقول: هذا واجب على الله، إن هذا لمن سوء الأدب مع الله.. ولا يسوغ أن نقول إن إثابة المحسنين ومعاقبة المسيئين واجب على الله، وإن كنا نوقن بأن الله كتب على نفسه أن يرحم التائبين، ويعاقب المصرين، كما قال (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) النساء: 17-18

فإذا قال المعتزلة إن الآية تدل على وجوب التوبة على الله، فمعناه أن الله كتب على نفسه –لا أقل ولا أكثر من هذا، ولا يظن فيهم أكثر من هذا، ولكن بعض المتنطعين من أهل السنة ردوا عليهم ردا غير مقبول عقلا، فقالوا إن الله تعالى (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) لا يدل على الوجوب، لأن الآية تدل على المدح، إذا مدح الله نفسه بأنه يقبل التوبة، كما قال عن نفسه (غافر الذنب وقابل التوب) غافر: 3، وقال (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا) طه : 82

حقا إنها صفة مدح يقينا، ولكن ماذا بنو عليها ؟ قالوا: إن الواجب لا مدح عليه، وهنا مكمن الخطل، فقبل أن يكون خطأ فهو خطل في التفكير والرأي لأنه ضلال، وهو من باب قول الناس اليوم (لا شكر على واجب)، فإذا قال السني، لماذا يقول المعتزلي: إنه واجب؟ نقول له: إنه لا يحق أن تقول بالوجوب، وإنما قل أوجب على نفسه، ولكن قولك أيها السني:إن هذا مدح والواجب لا يمدح عليه، هو خطل في التفكير. ترى لماذا؟".(17: 207)

[2] بيوض، في رحاب القرآن، 364/8-365

فقال: قد يتوهم المتوهم أن الله أعطانا الحرية المطلقة لقتل الكفار كلما وجدناهم، وكيفما كان الكافر، مشركا، أو يهوديا، او نصرانيا، حالة الحرب، أو في حالة سلم.. كلا وإنما الذي يحدد لنا الوقت الذي فيه ضرب الرقاب هو قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ وهذا ما يبدو لي ان استشهد به ولم أره في التفاسير.. هذه الآيات تبين وتحدد وقت ضرب الرقاب بوقت الحرب، هكذا نفهم من الآية، وافهموها جيدا لأنها مزلق خطير، إذ ربما يخطئ فيها من لا يتدبر فيقول أنا وجدت كافرا في الطريق فقتلته،...

وليس معنى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في الطرقات والشوارع والمنازل، وإنما إذا لقيتموهم في صفوف الحرب، واشتبكتم معهم.... فإذا سكنت الحرب ووضعت أوزارها، عاد المسلمون والكفار يختلطون في الأسواق والأماكن، يتبايعون ويتشارون، إلا ما حرمه الله.." [1](18: 426-428 بتصرف

أما أهل الكتاب فقد سبق أن ذكرنا أن بيوض يرى إمكانية بناء بيننا وبينهم وحدة وتواصل بناء على عوامل دينية مشتركة، وقد صرح عند تفسير ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [سورة العنكبوت: 46] بأن أهل الكتاب يتفقون مع المسلمين في أصول الديانات ويختلفون عنهم في عدم الإيمان بنبينا محمد صلى لله عليه وسلم، وكان هذا الاتفاق سببا في معاملتهم المتميزة عن المشركين.[2]

فمجادلة أهل الكتاب بالحسنى عامة، وهي أمر بالإحسان إليهم إذا تناقشنا معهم، ولا نشن عليهم حربا، وإنما عليهم أن يدخلوا تحت سلطة المسلمين ولا يجبرون على ترك دينهم، يتزوجون، ويرثون، وينتسبون حسب عاداتهم وطرقهم، وكأنهم تحت حكم مستقل بهم، وأكثر من هذا فإنهم لا يجبرون على الخروج إلى الحروب بخلاف المسلمين، وإنما عليهم أن يدفعوا مقابل ذلك جزية، فإذا دفعوها فعلى إمام المسلمين أن يحميهم في أبدانهم، وأبنائهم وأعراضهم، ومن عجز عن دفع الجزية يعفى منها..".[3]

ونحن لو قارنا هذه النظرة التي تدعو إلى التسامح والتعايش ليس مع أتباع الشرائع السماوية فحسب بل بين الإنسانية جميعا، لو قارناها بمن ينظر إلى هذه الأمم أنهم أعداء يجب قتالهم لرأينا البون شاسعا بين عالم ينظر إلى هذا الدين أنه دين قتال وجباية واسترقاق، ويسلب من البشرية حرية الفكر والدين التي كفلها الله لهم، ويقولبهم في قالب واحد لا يقبل الاختلاف، وبين عالم ينظر إلى الدين أنه رحمة للعالمين وبناء على هذا يفسر آيات القرآن الكريم، لا شك أن هذا الأخير يساهم في بناء حضارة إنسانية عظيمة تقوم على عوامل الوحدة الإنسانية، وعلى قيمة الإنسان، وتهدف إلى عمارة الكون والرحمة بمن فيه.

المطلب الرابع: قضايا المجتمع

من مظاهر التجديد عند بيوض أنه اتخذ من تفسير القرآن الكريم وسيلة في علاج أمراض اجتماعية عقدية استشرت في المجتمع أدت بالناس إلى الشرك من حيث لا يعلمون ومن هذه الأمراض، زيارة قبور الأولياء

---

[1] بيوض، في رحاب القرآن، 426/18-428 بتصرف

[2] بيوض، في رحاب القرآن، 207/9

[3] بيوض، في رحاب القرآن، 211/9

للتبرك بهم والاستعانة بهم في دفع ضر أو جلب نفع، ويذكر في تفسيره أنه تعمد زيارة زاوية سيدي خالد ليلة السابع والعشرين من رمضان وحضر الطقوس التي يقيمها الناس فيها، ورأى ما كان ينكره من ضلال، وقال: " يحق عليهم لعن النبي عليه السلام لأنهم صنعوا ما يضلون به الناس عن سبيل الله، فهم يحجون إليها حجا، ويقيمون فيها العادات والطقوس التي تقام في الحج، فتجد مكانا يطاف حوله كالكعبة، ومكانا فيه عين ماء يشرب منها كزمزم، ومكانا آخر للسعي..".[1]

فهؤلاء جمعوا الكفر من جهتين: الكفر بالإشراك بالله، إذ يقولون من كان له مريض فليأخذه إلى سيدي خالد فإنه يشفيه، وكل من له حاجة يريد قضاءها، فسيدي خالد يقضيها، فهذا شرك وكفر صراح، لأنه تضرع إلى مخلوق... ويتمثل الكفر من جهة أخرى في هذه الولائم التي تجمع كل المفاسد، إذ تأتي العواهر من دور البغاء ويجتمعن بالمئات ويختلط الرجال بالنساء، وتقام أسواق الخمور، وأسواق الفسق، ويعتقدون أن اولئك مغفور لهم ببركة سيدي خالد، أو ببركة سيدي فلان، في أي مكان يقام في مثل هذا الضلال المبين".[2]

كما أنكر أيضا عادة مقيته لا تقل في خطرها على دين العبد المسلم من سابقتها، وهي عادة الذبح للجن الذي يامر به المشعوذون لمداواة مريض مصاب بمرض نفسي أو عقلي، ويتظاهر الكاهن ب"فتح الكتاب" كما يسمى، ويقول للمريض عليك بذبح عنزة أو تيس أو ديك صورته كذا وكذا، حتى يخرج منه الجن الذي يسكنه، أو تحل عقدته إذا كان مربوطا عن زوجته، أو كانت مربوطة عن زوجها، إلى غير ذلك من الأمور.. وحذر الناس أن إجماع العلماء ينص على أن ما يذبح للجن ميتة حرام أكله، وأن الآمر بهذا الذبح ومنفذه عاصيان..، وإذا أكل احد من هذا اللحم، فقد أكل لحم جيفة (أي ميته)، لأنه أكل مما أهل لغير الله به. كذلك الذبح على عتبة الدار.. وكذلك الذبح على حافة البئر... كل ذلك أمور باطلة لا أصل لها.[3]

ونوه كذلك في تفسيره لقوله تعالى ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾ [سورة الحج: 12] إلى عادة كانت منشرة في المجتمع تعليق الحروز والتمائم اعتقادا من فاعلها أن تدفع الضر وتجلب النفع، وشبهها بالأصنام التي كان أهل الجاهلية يلجأون إليها، وقال: "ونحن نرى اليوم أمثال هولاء يلتجئون إلى الحروز (أي التمائم التي فيها أسماء الجن والشياطين يعلقها صاحبها يقصد منها النفع ودفع الضر)، والبخور، والجن، لأن إيمانهم ضعيف.. ولو كانت لهم عقول لفهموا أن هذا لا يضر ولا ينفع".[4] كل هذه الطقوس والعادات بجانب أنها قد توصل الإنسان إلى الشرك فهي كذلك تصرفه عن مهمته الإساس التي خلق من أجلها وهي القيام بواجب الأمانة التي أنيط به حملها، من أجل ذلك وجب محاربتها، وقد بذل بيوض في إنكارها جهده إن بالقول أو بالفعل، وكانت دروسه في التفسير مكانا للتصدي لها وللتحذير منها.

---

[1] بيوض، في رحاب القرآن، 125/13

[2] بيوض، في رحاب القرآن، 126/13

[3] بيوض، في رحاب القرآن، 11/235-243 بتصرف

[4] بيوض، في رحاب القرآن، 367/4

المبحث الثالث: الاستعانة بالعلوم التجريبية وتسخيرها في فهم الآيات

انقسم العلماء حيال الأخذ بالعلوم الحديثة في تفسير القرآن الكريم إلى مؤيد ومعارض، واشترط المؤيدون لذلك شروطا أهمها أن تصبح هذه النظريات العلمية حقائق ثابتة غير قابلة للتغير وإلا كان تفسير القرآن الكريم عرضة للتغير والخطأ.[1]

والحق أنه بعدما شهده العالم في العصر الحديث من تقدم في العلم، وتوسعت معرفة البشر بالكون والحياة، والإنسان، واكتشف العلماء بعض ما كان مجهولا قبل مئات السنين، وكان يعد من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، بعد هذا كله أصبح لزاما على من يريد تفسير القرآن الكريم، أن ينظر أولا فيما توصل إليه العلماء من حقائق علمية، خاصة فيما أشار إليه القرآن الكريم من هذه العلوم.

والعلامة بيوض من المفسرين المتأخرين الذين حالفهم الحظ في الاطلاع على جانب كبير من المكتشفات العلمية في العصر الحديث، فلم ير بأسا في الاستعانة بها في تأويل النص مثل تفسير قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ ﴾ [سورة لقمان: 10]، بالجاذبية وقال إن "الله تعالى جعل بين الأجرام تجاذبا، حفظ به لكل مكانه، حتى لا يتخلى عن مداره، وكل جرم منجذب من جهتين، ليبقى ثابتا في الوسط.. وهذا ا لذي حفظ الملايين بل الملايير من أجرام السماء، فكانت تدور في أفلاكها ولا تحيد عنها منذ أن خلقت، وهذا ما عبر عنه الله تعالى بقوله (كل في فلك يسبحون)"[2].

ويستشهد في تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴾ [سورة فاطر: 9]، بأقوال المختصين من العلماء في علم الرياح والسحب والأمطار، إنه تهب رياح حارة فتثير بخار الماء، وبعد ذلك تهب رياح باردة، فتكثف ذلك البخار، وتجمعه إلى بعضه، فيتكون منه السحاب، ويسوقه الله إلى حيث شاء.[3]

ويرى بيوض "أن في هذه العلوم ما يضيء لنا السبيل لفهم كثير من الآيات في القرآن الكريم، والتي لم نكن نعرفها، والتي لم نكن نفهمها، والتي كانا الأقدمون يفسرونها ولم يكونوا يتصورون كيف تكون الحال كتسجير البحار، وتكوير الشمس، وانكدار النجوم، واصطدام الاجرام والكواكب، ويجعلنا نزداد إيمانا بما ذكر الله تعالى في كتابه فلا ننكره، وكثيرا ما أول المتقدمون بعض الأشياء، تأويلات باطلة، لأن عقولهم لم توصلهم، ولم يشاهدوا ما نشاهده اليوم، وبهذا يفهم القرآن حق الفهم".[4]

ويعترف بيوض أن المفسرين أصبحوا عالة على العلماء المختصين في علم الكون، والحياة، والحيوان، وغيرها من العلوم الحديثة، فقال، وهو يفسر الآية 12 من سورة فاطر ﴿ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾

---

[1] انظر، فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، 249- 274

[2] بيوض، المصدر نفسه، 11/76-77

[3] بيوض، في رحاب القرآن، 409/13

[4] بيوض، في رحاب القرآن، 4/246-247

[سورة فاطر: 12] "ولولا البحر الملح في الدنيا لما أمكن أن يعيش حيوان أو آدمي على ظهر الأرض أبدا، وهذه ما يبينه العلماء المتخصصون والمشتغلون بهذه الفنون، ونحن عالة عليهم بمطالعاتنا- فالأرض تتصاعد منها غازات سامة لا يمكن للإنسان أن يعيش معها أبدا، والذي يلطف من تلك الغازات، ويبطل مفعولها هو البخار الذي يتصاعد من البحار، ووجودها بهذا القدر الكافي الكبير هو الذي جعل جو الارض صالحا لحياة الإنسان والحيوان والنبات، وهذا ميدان من العلم واسع يعرفه اصحابه.. [1]

وعند تفسير ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾ [سورة العنكبوت: 41] قال: "ورأيت أن أقول كلمة في العنكبوت مما اطلعت عليه في بعض المطالعات، ونحن عالة على أهل الفن والاختصاص الذين يدرسون علوم الحيوانات وطبائعها، والاطلاع على هذا في إدراك لحكمة الخالق، وكل اطلاع على مثل هذه العجائب يزيد المؤمن إيمانا... فما هو العنكبوت؟ وكيف يصنع بيته؟[2]

على أن بيوض لا يتحمس للتفسير العلمي على إطلاقه ما لم تثبت نظرياته وتتحقق تجاربه، وأمكن التوفيق بينه وبين ما ورد في القرآن، وقال: "إذا أمكن التوافق بين ما ورد في القرآن وما قرره بعض العلماء فحبذا وإلا كان القول الفصل لكلام الله، لأن نظريات العلماء من أقدم العصور ينقض بعضها بعضا، إذ يقرر العلماء الاولون نظرية فيدوم العمل بها ألف سنة أو ألفين، ويعتقدون اعتقادا جازما أنها الحقيقة فإذا بالعلم يتقدم ويقرر أن ذلك الاعتقاد خطأ، وأن تلك النظرية باطلة " (5: 106)"

من أجل ذلك نجده يرفض تفسير الرتق والفتق في قوله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [سورة الانبياء: 30]، بنظرية الإنفجار العظيم، (big bang)[3] ويعد هذا ظن وخرص، وليست من الحقيقة العلمية في شيء، وإن كان أغلب العلماء يرجحونه، ويلح بيوض على تفسير الرتق والفتق بأن السماء كانت صماء ففتقها الله بالمطر، وأن الأرض كانت صلبة، ففتقها الله بالنبات، وهو التفسير الذي ذكره المفسرون الأوائل.[4]، ويحذر بيوض من قبول هذا التفسير المنسوب إلى علماء الفلك وقال: إياكم أن تعتقدوا هذا وإن كان أغلب العلماء يرجحونه، وعقب على ذلك بقوله

إن "أكثر ما يكتب عن الغيبيات في أول الخلق في المبدأ والمعاد- غير ما جاء في القرآن- ظنون وتخرصات، لكن الذين يطالعون الجرائد والمجلات وبعض الكتب العلمية تتمكن فيهم هذه الأمور وهذه الأفكار فيعتقدونها وكأنها أنزلت من عند الله، ويغرهم ويخدعهم ذلك حتى تتمكن فيهم هذه النظريات تمكن العقائد.." [5]

---

[1] بيوض، في رحاب القرآن، 441/13

[2] انظر بيوض، في رحاب القرآن، 171/9-175

[3] هذا التفسير هو الذي ينادي به الكاتبون في الإعجاز العلمي، وهو أن الكون بدأ من جرم صغير ثم تحول إلى سحابة من الدخان، وخلق الله من هذا الدخان السماء والأرض. انظر، زغلول النجار، من أيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1426هـ/2005م، ص 97- 104

[4] هذا التفسير هو اختيار الطبري، انظر، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م، 21/9

[5] بيوض، في رحاب القرآن، 228/16-230

يرفض بيوض أيضا التفسير العلمي إذا خالف سياق الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [سورة النمل: 88]، فقد رد القول بأن مرور الجبال هو إشارة إلى دوران الأرض حول نفسها، وحول الشمس،[1] وقال: "هناك من قال إن المراد بقوله (وترى الجبال..) إشارة إلى دوران الأرض حول نفسها، وحول الشمس، وهذا ما يناسب الصنع والإتقان، وقد مال بعض المفسرين المحدثين إلى هذا.. ولكننا لا نرى- بحسب السياق وحسب المقام- هذا المعنى، فالله تعالى يذكرنا بهذا ويرشدنا إلى كمال قدرته، ويبين لنا خطر هذا اليوم الذي ينتظرنا والذي تسير فيه الجبال كالسحاب، وكل هذا داخل في صنع الله الذي اتقن كل شيء.. قد يقول قائل كيف الصنع والإتقان في الإفناء؟ أي نعم يكونان،.. فإفناء العالم الذي قدره الله لا يتحقق بالفوضى.. فكما خلق الله الكون بنظام وبتدبير محكم، فكذلك يفنيه بتدبير ونظام محكم".[2]

وقد لا يتنافى التفسير العلمي مع السياق لكنه يضيّق المعنى، فإن بيوض يرده ولا يقبله، ومن الأمثلة على ذلك، تفسير البرزخ بين البحار الوارد في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [سورة الفرقان: 53]، فقد رفض بيوض التفسير العلمي المتداول أن البرزخ المقصود في الآية هو الحاجز المائي المتكون من التقاء بحرين، مالحين، أو مالح وعذب،[3] ويرى أن هذا التفسير يضيق معنى الآية، وقال: "لسنا بحاجة إلى ما كنا نسمعه عن بعض المفسرين، أن المراد بقوله (لا يبغيان) هو صب ماء الأودية في البحار فلا يمتزج بمياهه، كلا، ليس هو المراد.. والبرزخ هو قطعة من الارض بين جزيرتين، والمراد به هنا هذا الحاجز الذي جعله الله تعالى بين البحرين حتى لا يطغى أحدهما على الأخر، وحتى إذا كانت هناك حواجز أرضية تفصل بين البحرين، فإنه لا ينقص من جلال هذه الآية العجيبة، وإنما الذي يظن هذا هو صاحب العقل السخيف الذي لا يفهم. فلا ينبغي أن نفهم الفهم الضيق، ونبدأ في البحث عن المكان الذي يلتقي فيه البحران، فلا يطغى أحدهما على الآخر، ونتصور مصاب الأنهار حيث تمتد المياه العذبة مسافة طويلة في البحر مشكلة مسارا مغايرا في لونه للون البحر من غير أن تنقص من ملوحة البحر جزء."[4]

---

[1] يقول بعض الكاتبين في الإعجاز العلمي، "أن حركة الجبال هذه تعود إلى حركة الأرض التي تتواجد عليها، حيث إن قشرة الأرض تطفو فوق طبقة الوشاح ذات الكثافة العالية" انظر، على محمد غصن، أسرار السموات والأرض في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 2006م، ص 149

[2] بيوض، في رحاب القرآن، 210/8

[3] انظر، فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، د.ت، ص 290-291

[4] بيوض، في رحاب القرآن، 180/7-181

كما يرفض بيوض العدول عن قول المفسرين إلى تفسير جديد خاصة إن كان الأول أقرب إلى الواقع والعلم فمثلا يرى أن إنزال الحديد ليس حقيقيا، كما يزعم بعض المتحدثين عن الإعجاز العلمي للقرآن[1]، وإنما الحديد تكون في باطن الأرض بتأثير التطور الطبيعي للأرض[2].

خلاصة القول أن طريقة بيوض في تفسيره الآيات بالمعارف العلمية الحديثة، طريقة وسط بين الذين يمنعون الأخذ بالمعارف العلمية في التفسير، وبين أولئك الذين يندفعون للأخذ بكل جديد وإن كان ما يزال نظرية قابلة للصواب والخطأ.

المبحث الرابع: التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية

المطلب الأول: التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي هو الذي يجمع فيه المفسر الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع واحد، على مستوى القرآن كله، أو مجموعة من سوره كالحواميم مثلا، ويؤلف منها موضوعا واحدا، مترابط العناصر.[3]

يختلف التفسير الموضوعي عن التفسير التقليدي هو أنه لا يعنى بتفسير السورة كاملة، ولا يركز على تفسير الآية وتحليلها، ولكنه يهتم بالنظرة الشاملة لموضوع ما ليخرج منه بحقائق يستنتجها من مجموع الآيات.

يعزو بعض الباحثين إلى أن بداية هذا النوع من التفسير كان في القرآن الثاني الهجري في الكتب التي اختصت بنوع من علوم القرآن مثل كتاب الناسخ والمنسوخ لقتادة (118هـ)، ومجاز القرآن لأبي عبيده معمر بن المثنى (210هـ) وغيرها من الكتب المشابه[4]، وكان كان للمعتزلة قصب السبق في كثير من العلوم منها النظرة الشمولية للقرآن، فقد نقل أن الجاحظ ألف كتبا منها (النار في القرآن).

وفي العصر الحديث كانت مدرسة الشيخ محمد عبده رائدة في هذا المجال يظهر ذلك من الاستطرادات الكثيرة في تفسير المنار حيث يعقد خلاصة لكثير من السور يجمل فيها موضوعاتها وقضاياها الاساسية[5]، ثم ظهر ذلك بوضوح على يد أمين الخولي (1966) رائد الاتجاه الادبي في التفسير الذي نص صراحة على:

"أن تفسير القرآن سورا وأجزاء لا يمكن من الفهم الدقيق والمعنى الصحيح لمعانيه وأغراضه، إلا إن وقف المفسر عند الموضوع ليستكمله في القرآن ويستقصيه إحصاء فيرد أوله إلى آخره ويفهم لاحقه بسابقه".[6]

بالإضافة إلى مجهود الاستاذ سيد قطب في مشاهد يوم القيامة، والتصوير الفني وفي القرآن، والدكتور محمد عبدالله دراز الذي عرف عنه عنايته بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية في كتابه النبأ العظيم.

---

[1] يقول زغلول النجار، "أصبح من الثابت علميا أن كل حديد الأرض قد أنزل إليها إنزالا من السماء، وليس هذا فقط بل إن الحديد في مجموعتنا الشمسية كلها قد أنزل كذلك إليها من السماء، وهي حقيقة لم يتوصل العلماء إلى فهمها إلا في الخمسينيات من القرن العشرين". انظر، زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1427هـ/2006م، ص 127

[2] انظر، بيوض، في رحاب القرآن، 40/12، 278/15

[3]سعيد، عبدالستار فتح الله، مدخل إلى التفسير الموضوعي،، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بورسعيد، ط2. 1991م، ص17، (نسخة الكترونية)

[4]مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط2، 1421هـ/2000م، ص 20

[5] انظر، رشيد رضا، تفسير المنار، دار الفكر، ط2، د.ت، 16/1

[6]رشواني، سامر، منهج التفسير الموضوعي دراسة نقدية، ص 113، نقلا عن الخولي، الأعمال المختارة، ص 39، دار الملتقى، سورية، حلب، ط1، ط1، 2009م، (نسخة الكترونية)

ولا شك أن الشيخ بيوض، وهو معجب بفكر مدرسة المنار، قد تأثر بهذا المنهج، فكان يجمع الآية بما يبين معناها من آيات أخرى مشابهة، ويقول: «إِنَّ طريقتنا مع كلام الله تفسير القرآن بالقرآن»، و"ما فسر القرآن مثل القرآن"[1]، ويؤكد على أهمية هذه الطريقة في موضع آخر، وأنها هي الطريقة المثلى في الكشف عن حكم القرآن وأسراره، ويقول: «من تأويلات القرآن وتفسيراته ما كان يؤخذ بتقابل الآيات فِي موضوع واحدٍ فتظهر المعاني وتظهر الحكم والأسرار »[2]

وهذه الطريقة لا تقتصر عند بيوض على مقابلة الآية بأخرى مثلها، لكنه يذهب إلى أبعد من ذلك وهو جمع الآيات التي لها صلة بالموضوع قدر ما يسمح به الحال، ويرى أن «على من أراد أن يفهم موضوعًا من المواضيع أن يجمع كلَّ الآيات الواردة فِي نفس الموضوع حتى تجتمع له عناصر الفهم».[3]

وحذّر من نتائج الاقتصار فِي الاستدلال عَلَى آية واحدة والتغاضي عن غيرها، لكون هذا المنهج مُفضيًا إلى الوقوع فِي الخطأ.[4]

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية

للتفسير الموضوعي قسمٌ آخرُ يعنى بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، يرتكز على اكتشاف المحور الأساسيّ للسورة، وفي معرفته عَونٌ على استجلاء معاني آياتها، وعلى الترجيح الصحيح عند احتمال الآية أكثر من معنى، ويعبر آخرون عنها بوحدة النسق وهي " تماسك بناء السورة القرآنية واتساق معانيها المتشعبة التي تتضمنها ضمن غرض محوري واحد دون تنافر أو تفكك" ورغم إشارة الأقدمين إلى أهميتها في النظم القرآني، كالجاحظ (ت: 255)، والباقلاني (ن: 403)، وابن العربي، وقال الرازي (ت: 606) في تفسير سورة فصلت أن "كل من انصف ولم يتعسف علم أنا إذا فسرنا هذه الآية (رقم: 44) على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السورة من اولها إلى آخرها واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد"[5]، رغم ذلك كله لم تحظ الموضوعية باهتمام اكثر المفسرين، وفي العصر الحديث لفتت مدرسة المنار الأنظار إلى أهمية هذا الجانب في التفسير، يقول سيد قطب:

"إن لكل سورة من سور القرآن شخصي ة مميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعا رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها.ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو[6] "

---

[1] بيوض، في رحاب القرآن، 205/17

[2] بيوض، في رحاب القرآن، 182/111

[3] بيوض، في رحاب القرآن، 344/8

[4] انظر المصدر نفسه، 39/14

[5] الرازي، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1990م، 568/27، وانظر، رشواني سامر، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة نقدية، ص 252 وما بعدها

[6] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ/2003م، 1-28-29

وقد أشار الشيخ بيّوض إلى هذه الطريقة في أكثر من موضع منها عند تفسيره لسورة الشورى، فقال: «من المعلوم أَنَّ كُلَّ سورة من سور القرآن الكريم . طويلة كانت أو متوسِّطة أو قصيرة . إلاَّ وتدور على موضوع يشكِّل وحدة السورة، حَتَّى لكأنَّ السورة كلٌّ لا يتجزَّأ، لها وحدة تجمعها بين مختلف آياتها، من أوَّلها إلى آخرها... والموضوع غالبا ما يبتدأ فيه من أول السورة، إذ يتكلم عنه بشيء من الإجمال، ويكون التفصيل فيه في وسطها، ثم يختم به في نهاية السورة». ثم تحدث الشيخ عن سورة الشورى وقال: إن موضوعها العام هو إثبات الوحي والرسالة ونبوءة الأنبياء، من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم..." [1] واستمر في بيان تفصيل السورة لهذا الموضوع، وفعل مثل ذلك في تفسير سورة الزخرف واعتبرها تفصيلا لما ورد مجملا في سورة الشورى من محاجة المشركين.[2]

الخاتمة

كان ابراهيم بيوض عالم موسوعي مجدد، أفنى عمره في النهوض بأمته وإصلاح مجتمعه، وحارب الاستعمار وبذل في ذلك ماله ونفسه، واتخذ من دروسه في التفسير وسيلة لذلك، ونظر إلى النص نظرة العالم المتمكن الواعي بمتطلبات عصره، ويمكننا أن نلخص مظاهر التجديد في تفسيره بما يلي:

1. يفسر بيوض آيات الصفات وفق قاعدة التنزيه (ليس كمثله شيء) ويختار مذهب التفويض، وقد يأخذ بالتأويل أحيانا بناء على ما تقتضيه اللغة، ويصف الله بصفات الكمال، ويبعد عنه صفات النقص.
2. بناء على أن آيات القرآن الكريم كثيرا ما يقترن الإيمان فيها بالعمل، فإن بيوض يلح على أن العمل مكون هام من مكونات الإيمان الشرعي الثلاثة، وعليه فإن النجاة في الآخرة متوقفة على إصلاح العمل.
3. يرى بيوض أن قوة الأمة وضعفها ونجاحها وفشلها مرتبط ارتباطا تاما بالإيمان والعمل الصالح، وأن الأمة ما نكبت بهذه النكبات واستولى عليها اعداؤها إلا بترك المسلمين العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.
4. يرى بيوض أن الاكتشافات العلمية الحديثة يمكن أن تعين على فهم الآيات الخاصة بهذا الجانب، بشرط أن تتوافق مع السياق، ولا يضيق بها المعنى، وتكون قد ثبتت على أنها حقيقة وليست نظرية يمكن أن تتغير في المستقبل.
5. يهتم بيوض بالتفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية، كمنهج حديث في التفسير به تتجلى حكم القرآن وأسراره.

المراجع

1. بنعمر، محمد، التجديد في التفسير، الأشكال الأنواع، النماذج، موقع ملتقى اهل التفسير، تاريخ المقال: 2015/7/16 تاريخ الاقتباس 2017/11/2

[1] انظر بيوض، في رحاب القرآن، 17/352-354
[2] انظر بيوض، في رحاب القرآن، 17/390-391

2. بو حجام، محمد بن قاسم ناصر، منهج الشيخ بيوض رحمه الله في الإصلاح والدعوة، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1429هـ/2008م
3. بوزي، محمد، التجديد ومناهجه في الدراسات القرآنية، مقال منشور على موقع الدراسات القرآنية، http://www.tafsir.net/article/4356، بتاريخ 2012/12/23، تاريخ الاقتباس 2017/3/21
4. بيوض، ابراهيم بن عمر، في رحاب القرآن، تحرير، عيسى بن محمد الشيخ، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1430هـ/2009م
5. حمداوي، رشيد، وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ع3، 1428هـ
6. الخليلي، احمد بن حمد، (د.ت)، بيان أثر الاجتهاد والتجديد في تنمية المجتمعات الإسلامية، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان.
7. دبوز، محمد، معجم أعلام النهضة في الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1979م
8. الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ/1990م
9. رشواني، سامر عبدالرحمن، منهج التفسير الموضوعي، دراسة نقدية، دار الملتقى، سورية، حلب، ط1، 2009م
10. سعيد، عبد الستار، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بورسعيد، ط2. 1991م
11. سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ/2003م.
12. شريف، ابراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، دار التراث، القاهرة، ط1، 1982م
13. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط2، 1421هـ/2000م.
14. ناصر، محمد صالح، الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، مكتبة الريام، الدار البيضاء، الجزائر، د.ت
15. نجار، عبد المجيد، الإيمان بالله وأثره في الحياة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م.
16. عباس، فضل حسن، سناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، د.ت
17. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B2%D8%A7%D8%A8

الدعوة الإلكترونية وأثرها على الشباب

أ.هيام سامي الزعبي
جامعة اليرموك – الأردن

الملخص

مع التقدم التكنولوجي والتطور السريع في مجتمعاتنا، وتأثر أفراد المجتمع وخاصة الشباب بما يُعرض عبر وسائل الإعلام وخاصة الإعلام الجديد، أصبحت الحاجة ملحة لنشر الوعي الديني وبيان أهمية الدعوة الى الله عبر الأنترنت (الدعوة الإلكترونية)، حيث ظهرت محاولات لتشويه الدين الإسلامي وبث الأفكار لتأثير على فكر الشباب المسلم.

الكلمات المفتاحية: الدعوة الإلكترونية، الإعلام الجديد

Abstract

With the technological improvement and rapid development in our societies and it's impact on society members particularly young people through the media, especially the new media, There is an urgent need to spread religious awareness and demonstrate the importance of calling to God through the Internet (electronic advocacy) where there are attempts to distort the Islamic religion and broadcast ideas to influence the thought of young Muslim.

Keywords: electronic advocacy, New Media

المقدمة

إن الدعوة إلى الله تعالى واجب ديني على كل مسلم ومسلمة يتميز بإخلاص النية إلى الله والحرص على نفع الناس، ويكون لدى الداعي العلم الكافي والقدرة على إيصال المعلومات بطرق مناسبة ومؤثرة في المجتمع.

وظهر في عصرنا الحاضر تطور سريع للعلوم والتكنولوجيا، وظهرت شبكة المعلومات الأنترنت أو ما يسمى (الإعلام الجديد)، بكل وسائله لتبادل المعلومات والتواصل المباشر وغير المباشر مع الآخرين، بشكل سهل وميسر.

ولقد استخدم أعداء الإسلام شبكة الأنترنت للهجوم على الإسلام والمسلمين، ومحاولة لتشويه القرآن الكريم، ورسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

ولان وسائل الإعلام تعتبر وسيلة قوية مؤثرة في المجتمع وخاصة فئة الشباب، لتعلقهم الشديد بوسائل الأنترنت، فكان لابد من توظيف هذه الوسائل لخدمة الدعوة الإسلامية، ونشر الوعي والثقافة الدينية، بطرق ابتكارية جديدة عبر وسائل التواصل الاجتماعي بجميع أشكالها، وهو ما يسمى (الدعوة الإلكترونية).

لذلك جاءت هذه الدراسة لبيان أهمية الدعوة الإلكترونية ومدى تأثيرها على الشباب ضمن ضوابط شرعية يلتزم بها الداعي عبر الأنترنت.

وتتكون الدراسة من مقدمة ومبحثين.

أما المقدمة تشمل أهمية الدراسة، مشكلة الدراسة، أهداف الدراسة، ومنهج الدراسة.

أما المباحث:

المبحث الأول: الدعوة الإلكترونية. ويتكون من ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تمهيد (مفهوم الدعوة الإلكترونية، الشباب)

المطلب الثاني: الإعلام الجديد ووسائله

المطلب الثالث: أهمية الدعوة إلى الله تعالى من خلال الأنترنت

المبحث الثاني: الدعوة الإلكترونية والشباب. ويتكون من مطلبين

المطلب الأول: الضوابط الشرعية لنشر الدعوة الإلكترونية عبر وسائل الإعلام الجديد

المطلب الثاني: تأثير الدعوة الإلكترونية على الشباب

النتائج والتوصيات

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال عرضها لمفهوم الدعوة الإلكترونية، وأهمية الدعوة إلى الله تعالى من خلال وسائل الأنترنت.

وتبرز أهمية هذه الدراسة كذلك من خلال التعريف بالإعلام الجديد ووسائله، وبيان سلبياته وإيجابياته.

وستبين الدراسة الضوابط الشرعية لنشر الدعوة عبر الأنترنت. وستركز الدراسة على تأثير الدعوة الإلكترونية على الشباب العربي.

مشكلة الدراسة:

تُعرض مشكلة الدراسة متمثلة بالإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ماذا يعني مفهوم الدعوة الإلكترونية؟
2- ما أهمية الدعوة إلى الله من خلال الأنترنت؟
3- ما مدى تأثير وسائل الإعلام على الشباب؟
4- ما الضوابط الشرعية للدعوة الإلكترونية؟
5- ما مدى تأثير الدعوة الإلكترونية على الشباب؟

أهداف الدراسة:

1- التعرف على مفهوم الدعوة الإلكترونية ومفهوم الشباب.
2- بيان أهمية الدعوة إلى الله من خلال الأنترنت.
3- التعريف بالإعلام الجديد ووسائله.
4- التعرف على الضوابط الشرعية لنشر الدعوة الإلكترونية.
5- بيان مدى تأثير الدعوة الإلكترونية على الشباب.

منهج الدراسة:

تقوم الدراسة على تناول الموضوع من خلال المنهج الوصفي، وذلك بجمع معلومات حقيقية ومفصلة عن موضوع الدراسة والاستفادة من آراء الخبراء في مجالات ذات صلة بموضوع الدراسة.

وباختيار عينة للدراسة من أفراد المجتمع وتتبع أرائهم بطرح مجموعة أسئلة من خلال الاستبانة الإلكترونية.

المبحث الأول: الدعوة الإلكترونية

المطلب الأول: تمهيد (مفهوم الدعوة الإلكترونية، الشباب)

أولا: تعريف الدعوة الإلكترونية

لغة: الدعوة، دعاه إلى الأمير: ساقه. وقوله تعالى (**وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**)[1] ، معناه داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع. ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين[2]..

اصطلاحا: تبليغ الإسلام للناس جميعا وتعليمه لهم وحثهم على الدخول فيه قولا وعملا واعتقادا[3].

الدعوة الإلكترونية: هي الدعوة إلى الله تعالى عبر وسائل الأنترنت المختلفة .

ثانيا: تعريف الشباب

لغة: من شبب: الشباب: الفتاء والحداثة. شب يشبُّ شبابا وشيبة. والشباب جمع شاب[4].

اصطلاحا: فترة التي تتميز بالقابلية للنمو يمر فيها الإنسان بمراحل حيوية تتميز بالقابلية للنمو الذهني، والنفسي والاجتماعي والبدني والعاطفي[5].

المطلب الثاني: الإعلام الجديد ووسائله

أولا: تعريف الإعلام الجديد

لغة: من علم: العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على اثر بالشيء يتميز به عن غيره.

والعلم: كل شيء يكون معلما: خلاف الجهل، وجمع أعلام[6].

اصطلاحا: كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة[7].

الإعلام الجديد: هو الذي يقوم على تدفق المعلومات عبر شبكة الأنترنت والهاتف الجوال[1].

---

[1]**سورة الأحزاب**، آية(46).

[2]**معجم لسان العرب**، ج4، باب الدال، ص 361.

[3]**اسعيفان**، فقه الدعوة إلى الله، ص11.

[4]**معجم لسان العرب** ، ج7، باب الشين، ص11.

[5]**علام**، www.abnaaelbeheira.com

[6]**معجم مقاييس اللغة**، ج4، ص109.

[7]**الحسنات**، الإعلام والتنمية المعاصرة، ص 21.

ويعرف أيضا بأنه إعلام تعددي بلا حدود ومتعدد الوسائط ليؤدي أدوارا جديدة كليا لم يكن بوسع الإعلام التقليدي تأديتها[2].

وقد عرف الشنقيطي الإعلام في لسان الشرع: بأنه دعوة للدين بكل ما يمثله الدين ودفاعا أمينا وصادقا عنه وأداة توضع وتوظف في خدمة أغراضه وأهدافه وانتشاره[3].

ثانيا: وسائل وأدوات الإعلام الجديد

تعددت وسائل الإعلام وأدواته، وهي تزداد تنوعا ونمواً وتداخلاً مع مرور الوقت.

- **أدوات الإعلام الجديد**

1) توفر الجهاز الإلكتروني (حاسب إلي، هاتف ذكي، جهاز لوحي)
2) توفر الأنترنت
3) الاشتراك أو الانضمام لإحدى مواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك، تويتر، اليوتيوب،...)

- **وسائل الإعلام الجديد**

(المحطات التلفزيونية التفاعلية، الصحافة الإلكترونية، منتديات الحوار، مواقع الشبكات الاجتماعية وغيرها من الوسائل).

- ويتميز الإعلام الجديد بالتفاعلية بحيث يتبادل القائم بالاتصال والمتلقي الأدوار، وتكون ممارسة الاتصال ثنائية الاتجاه وتبادلية.
- ويتميز أيضا بالحركة والمرونة حيث يمكن نقل الوسائل الجديدة بحيث تصاحب المتلقي والمرسل مثل الحاسب المتنقل والهاتف الجوال.
- وتعتبر **وسائل التواصل الاجتماعي** بيئة افتراضية وشبكة للتواصل بين المستخدمين عبر الأنترنت إما عن طريق إرسال رسائل نصية أو رسائل صوتية أو صور أو فيديو، تسمح للمشتركين بإجراء مناقشات تفاعلية مباشرة بطريقة مكتوبة أو منظومة[4].
- ومن وسائل التواصل الاجتماعي الأكثر استخداما بين أفراد المجتمع[5]:

1) **الفيس بوك**: من أكثر المواقع استخداما وشهرة بين أفراد المجتمع، ومن خلاله يمكن التواصل مع أي إنسان في أي مكان وزمان، وقد قام كثير من الدعاة بعمل صفحات شخصية لهم عليه لمخاطبة الناس ونشر الدين والدعوة داخل العالم العربي وخارجه.

---

(1) **الشميري**، التربية الإعلامية كيف نتعامل مع الإعلام.
(2) **الدليمي**، مدخل إلى وسائل الإعلام الجديد ،ص 217.
(3) **الشنقيطي**، مدخل إلى الإعلام، ص9.
(4) **عزام**،www.egraa.com.
(5) **الهندي**،وسائل التكنولوجيا الحديثة في خدمة الدعوة.

2)**التويتر**: احد المواقع التي تقدم خدمات مجانية للتواصل الاجتماعي والتدوين المصغر، ويسمح للمستخدمين بإرسال أهم اللحظات في حياتهم من خلال خدمة الرسائل النصية القصيرة.

3)**المدونات**: تجسد حرية الرأي والتعبير بشكل يجعل الكلمات أقرب للجمهور والأخبار والأفكار التي تنشر أدق وأصدق في الكثير من الأحيان من الوكالات الإخبارية، وهي أسرع انتشارا بين الشباب لأنها تتحدث باللغة الشباب التي يعرفها[1].

وهي تتيح للفرد العادي المستخدم للأنترنت أن يكون صحفيا مكاتبا ومنتجا للمعلومات وقادر على إسماع صوته للآخرين متجاوزا قيود وموانع الوسائل التقليدية[2].

4) **اليوتيوب**: هو عبارة عن موقع الكتروني لمشاهدة مقاطع مختلفة من فيديو، ويمكن أنتاج مقاطع إسلامية وهي تعتبر وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

ثالثا: ايجابيات وسلبيات وسائل الإعلام الجديد

يعتبر الإعلام الجديد أكثر نمواً وإقبالا في الوقت الحالي، لكن له من الإيجابيات والسلبيات وسأذكر بعضها فيما يلي:

- **الإيجابيات:**

1) الاستخدامات الشخصية
2) الاستخدامات التعليمية ومساعدة طلاب العلم والباحثين.
3) أسرع وسيلة لتداول الأخبار والمعلومات.
4) مشاركة الأفكار الخاصة، وتعتبر فضاء كبير للنقاش الحر حول مختلف القضايا.
5) وسيلة لدعوة إلى الله تعالى.

- **السلبيات:**

1) إدمان الأنترنت
2) الانعزال عن العالم الواقعي.
3) انتشار الفساد وزرع القيم الفاسدة.
4) هدر الوقت
5) نشر الشائعات والأكاذيب.
6) غياب الرقابة وعدم الإحساس بالمسؤولية.

رابعا: تأثير الإعلام الجديد على المجتمع

يربط بعض الإعلام يين ازدهار الحياة ونموها ونشاطها وحيويتها بالقدرة على الاتصال الإعلام ي، ذلك أن هذه القدرة من شأنها تغذية حوار بناء ومثمر بين الإنسان يدفعهم إلى التعارف ثم التعاون[1]. قال تعالى:

---

[1]**محمود**، شبكات التواصل الاجتماعي وديناميكية التغيير في العالم.

[2]**أبو شنب**، www.emag.mans.edu.eg

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾**سورة الحجرات**، آية (13).

ولوسائل الإعلام الجديد تأثير كبير وسريع على أفراد المجتمع لاحتوائها على عناصر جذب قوية.

ويواجه المجتمع تحديات بسبب الإعلام الفاسد الذي يوجه ضد القيم الدينية والأخلاقية والمعنوية، والإعلام اثبت عبر العصور وباختلاف المجتمعات في بناء سلسلة من المفاهيم والقناعات والاتجاهات والسلوكيات منها ما هو سوي ومنها ما هو غير ذلك، والإعلام يؤدي أدوارا سياسية وثقافية ودينية واجتماعية واقتصادية، ويقوم بالتوجيه والإرشاد.[2].

ومن واجبات الإعلام أن يصون حرمة الأديان، وان يركز على ثوابته ووسطيته، فالمجتمعات تنتظر رسالة إعلامية هادفة تنشر الثقافة والعلم والفكر السليم بعيدا عن التضليل والتشدد.

المطلب الثالث: أهمية الدعوة إلى الله تعالى من خلال الأنترنت

أولا: أهمية الدعوة إلى الله تعالى

أن الدعوة إلى الله فضيلة عظيمة تشرف بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وقاموا بها سراً وعلانية، وتسابق بها سلف الأمة مستخدمين كل وسائل المشروعة التي تحقق هذا الهدف السامي وهو دعوة الناس إلى التوحيد والحق والخير[3]، فالدعوة إلى الله واجب ديني على كل مسلم قادر، والحرص على نفع الناس، بإخلاص النية لله تعالى.

أذن فالدعوة إلى الله قضية الحياة، وقد جاء بها الوحي ليستقيم أمر الناس، وقد جاء في القران الكريم ما يدل على أهمية الدعوة، قال تعالى﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ سورة آل عمران، آية (104).

ثانيا: أهمية الأنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي

يشهد هذا العصر تطور سريع للتكنولوجيا وظهور وسائل وأدوات وأجهزة حديثة يمكن من خلالها بتبادل المعلومات والتواصل المباشر وغير المباشر مع الآخرين[4].

ويمكن وصف هذه الوسائل بأنها عوامل للتغير الاجتماعي والاقتصادي والديني وسياسي.

وتعتبر وسائل قوية قادرة على القيام بدور نشر الوعي وتغير أسلوب الحياة وتفكير كافة المسلمين وتوجيههم نحو المثل الإسلامي الأعلى[5].

---

[1]**الشنقيطي**، مرجع سابق، ص12.

[2]**الحلواني**، الإعلام وقضايا المجتمع، ص 90.

[3]**الإعلام الجديد كيفية استغلاله في تبليغ الدعوة**، www.assakina.com.

[4]**العرفج**،www.etawasol.org

[5]**علي**، استخدام تكنولوجيا وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري في إحداث تغيير اجتماعي على أساس إسلامي.

والأنترنت أكثر تأثيراً على فئة الشباب ومعظم برامج الوسائل الإعلام ية تستهدف الشباب وعقولهم فيها من المخاطر والانعكاسات وآثار سلبية وخطرة على الشباب وخاصة البرامج التي تحمل في طياتها من العنف والجريمة والجنس والإثارة الرخيصة، وهي بعيره عن القيم والأخلاق التي يتحلى بها المجتمع العربي الإسلامي[1].

والشباب في هذه الفترة لديهم قابلية لتلقي وتأثر والتعلم، فلا بد من الاهتمام بهذه الفئة وتوجيه برامجها لتوعية الأجيال الشابة بقضايا أمتها وبواقعها المعاصر وخاصة القضايا الدينية لتعمق القيم والأخلاق الصحيحة.

فوسائل الإعلام تعتبر أدوات للتحول والتغيير الاجتماعي، فهي قادرة على التغيير في السلوك والاتجاهات والقيم والمهارات، خاصة إذا وجهت توجيه ذكي ومدروس[2].

ثالثا: أهمية الدعوة من خلال الأنترنت

بوجود الأنترنت اتسعت دائرة المعرفة والعلم وازدادت كثيرا وما زالت تنمو بشكل سريع، وأصبح الأنترنت لغة العصر ويجب علينا أن نأخذ فيه ما ينفعنا من العلوم والمعارف والمهارات والخدمات والاتصالات لنستعين بذلك على بناء نهضتنا ومستقبل أبنائنا[3].

وعلينا كمسلمين أن ننتبه إلى أن شبكة الأنترنت يستغلها أعداء الإسلام لينفثوا من خلالها سمومهم ضد ديننا العظيم بهدف النيل منه أو السخرية أو الطعن في أحكامه وخصوصا بطرح بعض القضايا التي تستقطب شرائح كبيرة من المجتمعات بهدف التضليل والتشويه والإساءة[4].

بحيث أنهم لاحظوا انجذاب المجتمعات إلى وسائل الإعلام الجديد فاخذوا بتركيز على أنشطتهم في استغلال هذه الوسائل لبث ما يريدون من أفكار وقيم ومعتقدات حتى يستخدموها ضد الإسلام[5].

فلابد من استخدام الأنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في خدمة الدعوة الإسلامية، وعلى الداعي التعريف بالإسلام والمسلمين ويرد على الاستفسارات والأسئلة التي تتعلق بأمور الدين، والتصدي لأي محاولة تستهدف النيل من الإسلام وتشويه صورته وتصحيح الأفكار والمعتقدات لدى أفراد المجتمع وخاصة الشباب الذين قد تأثروا بالبرامج التي استهدفت عقولهم وتحاول تغيير معتقداتهم وقيمهم الإسلامية[6].

المبحث الثاني: الدعوة الإلكترونية والشباب

المطلب الأول: الضوابط الشرعية لنشر الدعوة الإلكترونية عبر وسائل الإعلام الجديد

(1) **هندي**، اثر وسائل الإعلام على الطفل.
(2) **نصار**، وسائل الإعلام وقضايا المجتمع.
(3) **أبو زيد شحاتة**، مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، ص 257.
(4) **أبو زيد شحاته**، مرجع سابق، ص 254.
(5) **العجمي**، الغزو الفكري عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع.
(6) **شكري**، الإعلام الإسلامي، ص 216.

أن الدعوة إلى الله عبر الأنترنت يجب أن تكون بطرق إبتكارية جديدة عبر (اليوتيوب، الفيس بوك، تويتر، المنتديات، والمدونات وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي).

ولا بد أن تكون الدعوة من منطلق أن الدين الإسلامي دين مسالم وشامل ومنفتح على الآخرين، والتأكيد على توافر المعلومات الصحيحة والكافية عن الدين الإسلامي على شبكة الأنترنت[1].

❖ والداعية الإسلامي مثال قدوة للإنسان المسلم، مثلما كان الرسول صل الله عليه وسلم (الذي كان خلقه القران) وهو داعية متمكن من أدواته ينطلق من أسس راسخة من القران الكريم وسنة رسوله الكريم واجتهادات التابعين له. وهو ملم وعلى وعي كامل بحركة التاريخ وما يحدث في العالم من تطورات، ويعلم أن المسلمين جزء من هذا العالم وجزء من حركة التاريخ الذي لا يمكن لنا أن ننعزل عن حركته، فالعمل الدعوي رسالة وليس وظيفة ولا بد من تأهيل الدعاة من الشباب وتدريبهم علميا وثقافيا على اللغة العربية السليمة وأصول الإلقاء والتمكن من اللغات الأخرى[2].

ومن الضوابط التي لا بد للدعاة الالتزام بها عند الدعوة عبر وسائل الأنترنت:

1) أن لا تدخل في الأمور التي توجب الشقاق بين المسلمين.

عدم نشر الأخبار الغير موثوقة أو فيها احتمال الخطأ لان القران الكريم رفضها ودعا إلى الابتعاد عنها[3]. قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ سورة الإسراء، آية (36)

2) أن لا يفتي إلا من خلال الوسائل المعتبرة شرعاً، مع اعتماد البرهان بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

العناية باختيار الأقوال والكلمات والعبارات[4]. قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ سورة الأحزاب، آية (70).عدم الغلظة والشدة في الدعوة إلى الله مع المخطئين أو ممن تظهر عليهم علامات الفسق[5].

3) احترام جميع المستخدمين ومحاورتهم بالتي هي أحسن والرد على استفساراتهم والتواجد المستمر لكي يتواصل الجمهور مع الداعية وعدم المواجهة السريعة مع المخالفين[6].

4) أن يكون الخطاب الدعوي مناسباً لمستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، وموافقا مع حاجاتهم ومراعياً لظروفهم[7].

8)الدعوة فن وقيادة وهي تقوم على التخطيط والمتابعة، فالتخطيط الواعي هو الذي ينقل

---

[1] **العرفج**، مرجع سابق.

[2] **شكري**، ص216، مرجع سابق.

[3] **عبد الرؤوف**، www.al-forqan.net

[4] **الدبسي**، الإعلام الإسلامي.

[5] **الإعلام الجديد كيفية استغلاله في تبليغ الدعوة**، مرجع سابق.

[6] **الإعلام الجديد كيفية استغلاله في تبليغ الدعوة**، مرجع سابق.

[7] **العمري** استخدام الأنترنت في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

الدعوة إلى الإطار الفني والتخطيط هو التصور النظري لسير الدعوة وكلما اكتمل التخطيط واستوعب عناصره أدى إلى النتيجة المتوقعة بعون الله وبعد الاتكال عليه[1].

9)عدم المبالغة والإكثار من ذكر القصص الخرافية أو الغريبة التي تخرج عن المألوف[2].

المطلب الثاني: تأثير الدعوة الإلكترونية على الشباب

انتشار الأنترنت بشكل كبير وتعلق أفراد المجتمع بجميع وسائله وخاصة فئة الشباب، وتأثرهم الكبير بكل ما يشاهدوه ويسمعوه عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتُكون لديهم المعارف والأفكار الجديدة.

فالمعرفة تتكون عن طريق الاشتراك في عملية الاتصال، سواء كان الاتصال مواجهيا أو جماهريا، والمعرفة أساس السلوك الإنساني، فالسلوك يتم التأثير عليه عن طريق الاتصال[3].

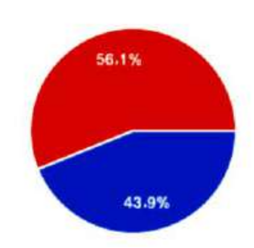
والشباب أكثر أوقاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي، ولقد تم طرح استبيان على عينة عشوائية من بعض الدول العربية عبر وسائل التواصل الاجتماعي من فئات تتراوح أعمارهم بين 18 سنة إلى 60 سنة، وسيتم عرض نموذج الاستبيان في آخر البحث.

أما بالنسبة لأسئلة الاستبيان وإجابات العينة فهي كالتالي:

- نسبة العينة التي تتراوح أعمارهم من 18 إلى 25 سنة كانت 56،1% ومن 26 إلى 60 سنة 49،9% هنا نرى النسبة الأكبر للفئة الحرجة من عمر الشباب والتي لديها استعداد لتلقي وتعلم وتأثر أكثر من غيرها.

العمر

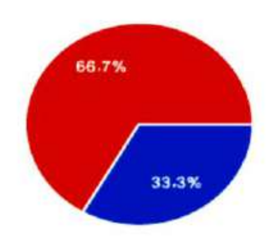
من 18 الى 25	25	43.9%
من 26 الى 60	32	56.1%



- وفي السؤال عن تحديد الجنس فكانت نسبة الإناث اكبر من نسبة الذكور.

الجنس

ذكر	19	33.3%
انثى	38	66.7%



- والمؤهل العلمي كانت أعلى نسبة هي لحاملين شهادة البكالوريوس.

---

[1] **سعيد**، قواعد الدعوة إلى الله.

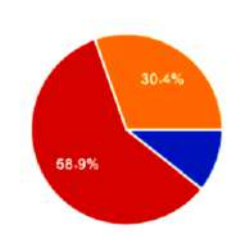
[2] **البليهد**، الدعوة إلى الله شبكة الانترنت.

[3] **الكامل**، تأثير وسائل الاتصال الأسس النفسية والاجتماعية.

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

المؤهل العلمي

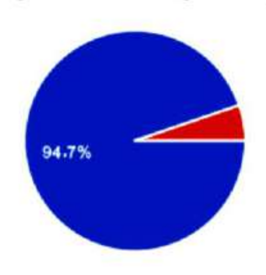
ثانوية عامة فما دون	6	10.7%
بكالوريوس	33	58.9%
ماجستير او دكتوراه	17	30.4%



- ويمتلك 94،7% من أعضاء العينة حسابا في احد مواقع التواصل الاجتماعي وهي نسبة عالية جدا تدل على مدى انتشار مواقع التواصل الاجتماعي بين الشباب.

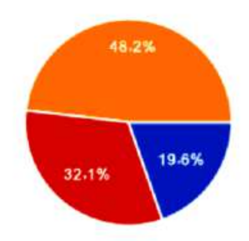
هل تملك حساباً في احد مواقع التواصل الاجتماعي؟

نعم	54	94.7%
لا	3	5.3%



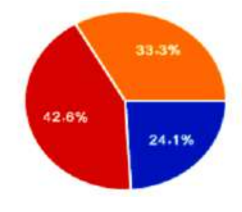
- ويقضي 19،6% من مستخدمين مواقع التواصل الاجتماعي ساعة أو اقل من وقتهم يوميا، فهي نسبة قليلة مقارنة بالمستخدمين لمدة 3 ساعات فأكثر بنسبة 48،2% وهذا دليل على مدى تعلق الشباب بوسائل التواصل الاجتماعي وكم تأخذ من وقتهم بشكل يومي، مما يؤدي إلى تأثير حقيقي على أفكارهم وثقافتهم.

ساعة او اقل	11	19.6%
ساعتين	18	32.1%
ثلاث ساعات فأكثر	27	48.2%



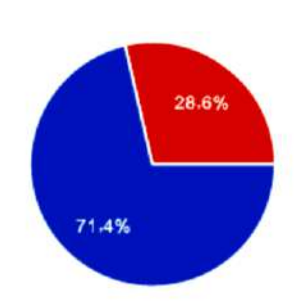
- وعن سؤالهم عن بداية استخدامهم لمواقع التواصل الاجتماعي فكانت النسبة الأكبر منذ 3 إلى 5 سنوات بنسبة 42،6%.

من سنة الى 3 سنوات	13	24.1%
من 3 الى 5 سنوات	23	42.6%
من 5 الى 7 سنوات	18	33.3%



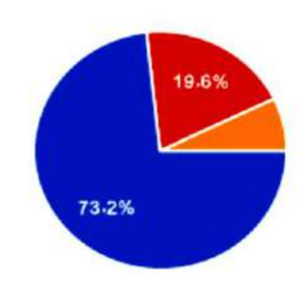
- ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي يستطيع الفرد تكوين صداقات كبيرة، ومن خلال اخذ الآراء تبين أن 71،4% كونوا صداقات عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

نعم	40	71.4%
لا	16	28.6%



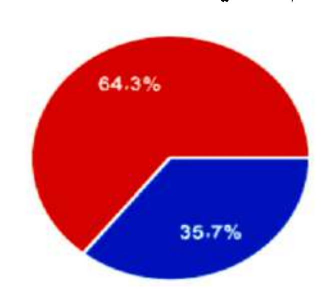
– ومع تعلقهم الشديد بالأنترنت ووسائله ألا أن ردهم على أنهم سيجعلون أباءهم يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي، فكانت أعلى نسبة هي استخدام بشكل جزئي بنسبة 73،2% وهذا دليل على قناعة الأفراد أنفسهم بأن وسائل التواصل الاجتماعي تأخذ من وقتهم الكثير وتؤثر عليهم بشكل كبير، ولا يريدون أن يتخذ أبنائهم نفس طريقتهم بالتعامل مع الانترنت.

جزئي	41	73.2%
يومي	11	19.6%
لا يستخدمها مطلقا	4	7.1%



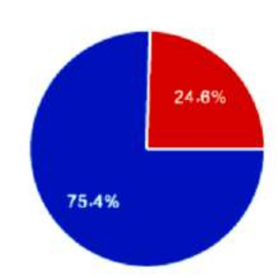
– أن معظم أعضاء العينة لا يستطيعون الاستغناء عن مواقع التواصل الاجتماعي بنسبة 64،3% مقابل 35،7% أجابوا بأنهم قادرين على الاستغناء عن مواقع التواصل الاجتماعي.

نعم	20	35.7%
لا	36	64.3%



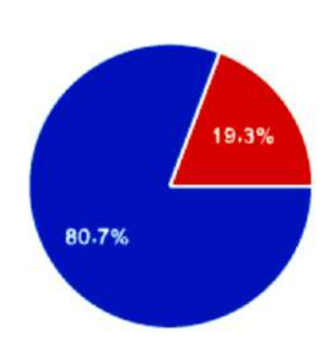
– يرى معظم مستخدمين وسائل التواصل الاجتماعي أن هذه المواقع أثرت في شخصيتهم وثقافتهم بنسبة 75،4% وهي نسبة كبيرة تشير إلى التأثير الحقيقي وهو ما لمسه المستخدمين أنفسهم.

نعم	43	75.4%
لا	14	24.6%



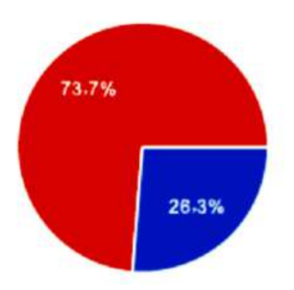
– وبالنسبة لمتابعة صفحات علماء المسلمين المنتشرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، فكانت النسبة ممتازة وهي 80،7% وهي نسبة مشجعة للاستمرار بالدعوة إلى الله تعالى من خلال الأنترنت.

نعم	46	80.7%
لا	11	19.3%



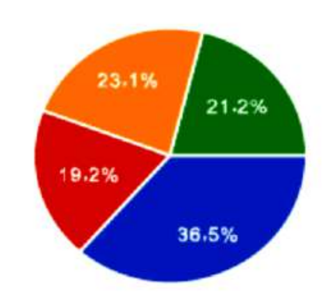
- وعن سؤالهم أن كانوا أعضاء في احد المواقع الإلكترونية المختصة بالدعوة إلى الإسلام أجاب 73،7% بالنفي، وهي نسبة كبيرة يجب الانتباه لها، وتغير وتطوير في أساليب الدعوة لجذب هذه النسبة الكبيرة.

نعم	15	26.3%
لا	42	73.7%



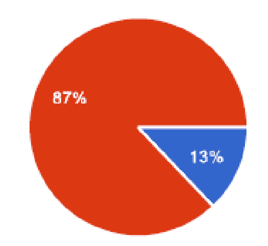
- وبالنسبة لموقع اليوتيوب وهو من أهم مواقع الأنترنت ويستخدمه أفراد المجتمع للاستماع ومشاهدة مواضيع دينية وعلمية وترفيهية وغيرها من البرامج التي تعرض على هذا الموقع، وعند سؤال أعضاء العينة كانت أعلى نسبة لمشاهدة البرامج الدينية بنسبة 36،5% ومع أنها أعلى نسبة ألا أنها قليلة فلا بد من تركيز الدعاة على هذه النقطة.

ديني	19	36.5%
علمي	10	19.2%
ترفيهي	12	23.1%
غير ذلك	11	21.2%

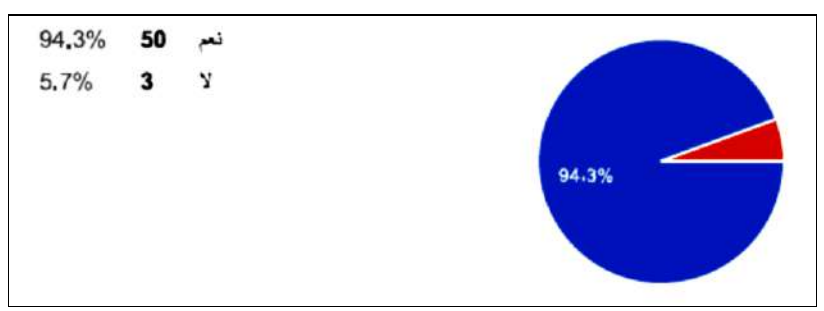


- تواجه الدعوة الإلكترونية مشكلة حيث أن أفراد المجتمع يتناقلون الحديث أو الموعظة دون التحقق من صحتها وهذا أمر خطير قد يكون الحديث موضوع وقد تكون الموعظة عبارة عن بدعة، وبما أن معظم الناس يتأثرون بكل ما يصلهم فلا بد من الانتباه إلى هذه النقطة بحيث أن 87% من أعضاء العينة أجابوا بأنهم يتناقلون الحديث والموعظة دون التحقق من صحتها.

نعم	7	13%
لا	47	87%



ذكر معظم أعضاء العينة 94،3% بأنهم تأثروا بالمعلومات الدينية التي قرءوها عبر مواقع التواصل الاجتماعي وأثرت في علاقتهم مع الله تعالى، وهذا ما يؤكد التأثير الكبير لمواقع التواصل الاجتماعي على الشباب.

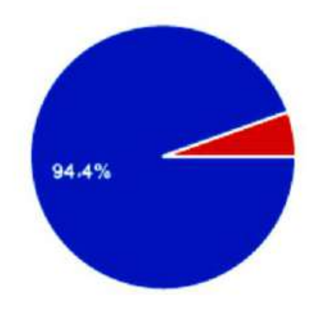


وسأذكر مثالا بسيطا من تجربتي الشخصية مع صفحات دعاة المسلمين، من خلال متابعتي لصفحة داعية إسلامي عبر الفيس بوك والتويتر تغيرت كثير من الأمور في حياتي وبرنامجي اليومي، ومن أكثر الأمور التي تغيرت الورد القرآني اليومي، فبعد أن كنت اقرأ آيات من القران الكريم بشكل يومي لمدة 5 إلى 10 دقائق فقط وحسب وقت فراغي، بعد أن سمعت من هذا الداعية الكثير من المنشورات التي تحث الشباب على عدم إهدار الوقت بلا فائدة وأهمية تلاوة قراءة القران الكريم وفضله، أصبحت وبحمد الله اتلوا القران الكريم بعد كل صلاة.

كان لأسلوب الداعية تأثير في النفس، والكثير من الأمور التي تغيرت في شخصيتي وعلاقتي مع الله سبحانه وتعالى منذ بدأت في متابعة صفحات علماء المسلمين عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

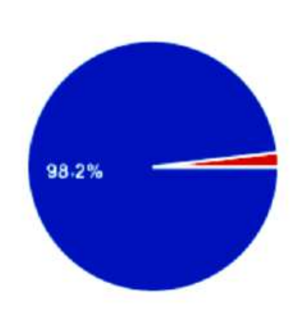
– وقد أبدى 94،4% من أعضاء العينة رغبتهم في نشر معلومات دينية على مواقعهم الإلكترونية والمساهمة في الدعوة الإسلامية، وهو ما يبشر بخير ويسهل المهمة لدى الدعاة وعلماء المسلمين أن يوجد مثل هذه النسبة العالية المستعدة للمشاركة في الدعوة الإسلامية، فلا بد من تعزيز هذه الفئات ومساعدتهم على ذلك.

94,4% 51 نعم
5,6% 3 لا



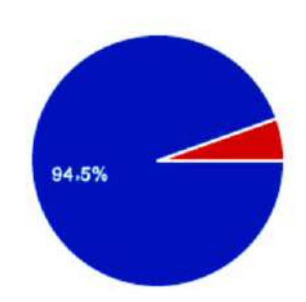
– و98،2% من أعضاء العينة يؤكدون بأن الدعوة الإلكترونية مؤثرة على الشباب، وهي نسبة كبيرة تؤكد كل ما سبق ذكره عن تأثير المواقع الإلكترونية على الشباب.

نعم 54 98.2%
لا 1 1.8%



- وقد أيد مستخدمو وسائل التواصل الاجتماعي الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى عبر وسائل الأنترنت بنسبة 94،5%.

نعم 52 94.5%
لا 3 5.5%



❖ الدعوة إلى الله سبيل النجاة في الدنيا والآخرة، والأجر يقع بمجرد الدعوة ولا يتوقف على الاستجابة[1].

ونحن الآن بعصر القنوات الفضائية وعصر المعلومات في اشد الحاجة إلى منابر إعلامية تستطيع أن تُعبر عن الواقع الإسلامي وتاريخ الأمة والعمل على التصدي لمن يحاولون تشويه صورة الإسلام في العالم[2].

ولا بد من أنشاء إذاعات دعوية قوية، المسموعة منها والمرئية، والتي تبث برامجها بجميع لغات غير المسلمين الرسمية منها والمحلية[3].

فيجب على الداعية أن يقدم الجهد البشري وهو يطلب المدد الرباني، فالداعية هو مرآة دعوته والنموذج المعبر عنها[4].

والداعي مطالب شرعا بتطوير وتحدي طرقه ومناهجه التي يستخدمها في الدعوة إلى الله تعالى[5].

وعليه بالدقة والتثبت في نقل الفتاوى والأحكام والحرص على توثيق ذلك وان يتواصلوا مع جميع أفراد المجتمع بشتى طبقاته[6].

---

(1) سعيد، مرجع سابق.

(2) الشايب، وسائل الإعلام الإسلامي ودورها في خدمة الدعوة إلى الله

(3) أحمد،الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل

(4) سعيد، مرجع سابق.

(5) الشايب، مرجع سابق.

(6) البلهد، مرجع سابق.

ومما يساعد الدعاة أن شبكة الأنترنت ليست وسيلة احتكاك مباشر بالناس، فهي تعطي مرونة لدعاة فمن ذلك مثلا: في حال نوم أو سفر أو انشغال مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي فإن الناس أيضا سيستفيدون من المواقع الدعوية والمعلومات المتوفرة بها[1].

ويجب على الداعي تجديد أدواته وأساليبه دائما بعمل مجموعات خاصة وعامة تدعو إلى الحث على الفضيلة ونشرها بين الناس.

وعمل مقاطع مؤثرة لبعض العلماء بالصوت والصورة وتحميلها في اليوتيوب، أو عمل رابط لها ونشرها في التويتر وحتى تصل إلى اكبر عدد ممكن من الناس[2].

وتأثير على الفئة المهمة في المجتمع والمتعلقة بشكل كبير بمواقع التواصل الاجتماعي (الشباب).

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج

توصلت من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1- نسبة كبيرة من أفراد المجتمع وخاصة الشباب يملكون حسابا في احد مواقع التواصل الاجتماعي.
2- تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على شخصية وثقافة الشباب.
3- تأثر الشباب بالدعوة إلى الله تعالى عبر الانترنت.
4- الداعية الذي يمتلك جميع صفات الداعي الناجح ومعرفته بالبيئة العامة أكثر تأثيرا على أفراد المجتمع.

ثانيا: التوصيات

وبعد النتائج التي توصلت إليها أثناء البحث أوصى بالتوصيات التالية:

1- الاستفادة من امتلاك عدد كبير من الناس حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي بالدعوة إلى الله تعالى عبر هذه المواقع.
2- تجديد وتطوير أدوات الدعوة إلى الله والتي تؤثر بشكل ملحوظ على شخصية وثقافة الشباب.
3- التوجه إلى دعم مشاريع دعوية عبر وسائل الأنترنت لتأثير على الشباب المسلم بشكل ايجابي.
4- أن يكون للدعاة حضور قوي وفعال عبر وسائل التواصل الاجتماعي والتواصل مع جميع أفراد المجتمع.

المصادر والمراجع

- **القران الكريم**
- أحمد، محمد شمس الحق صديق، 2001م، **الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل**، طرابلس، ليبيا، الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
- أسعيفان، مصطفى عايد، ذياب، رشا خميس، 2007م، **فقه الدعوة إلى الله.. منهاجها.. أساليبها..وسائلها**، عمان، الأردن، الناشر: دار البداية.

---

[1] الشريف، الانترنت وأثره في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام

[2] آل شيخ، **الدعوة إلى الله عبر مواقع التواصل الاجتماعي.**

- آل الشيخ، هشام بن عبد الملك، **الدعوة إلى الله عبر مواقع التواصل الاجتماعي**، 14\2\2013م، www.main.islammessage.com.
- البليهد، خالد بن سعود، **الدعوة إلى الله في شبكة الأنترنت (ضوابط ومحاذير)**،www.saaid.net.
- الحسنات، فاروق خالد، 2011م، **الإعلام والتنمية المعاصرة**، ط1، عمان، الأردن، الناشر: دار أسامة.
- الحلواني، ماجى، 2006م، **الإعلام وقضايا المجتمع**، القاهرة، مصر،الناشر: الهيئة المصرية العامة.
- الدبسي، عدنان، **الإعلام الإسلامي.. الأهداف..الوظائف**، ط1، دمشق، سوريا، الناشر: دار العصماء.
- الدليمي، عبد الرزاق، 2012م، **مدخل إلى وسائل الإعلام الجديد**، ط1، عمان، الأردن، الناشر: دار المسيرة.
- أبو زيد، رشدي شحاته، 2011م، **مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد**، ط1، الإسكندرية، مصر، الناشر: مكتبة الوفاء القانونية.
- سعيد، همام، 1999م، **قواعد الدعوة إلى الله**، ط1، عمان، الناشر: دار الفرقان.
- الشايب، أحمد، **وسائل الإعلام الإسلامي ودورها في خدمة الدعوة إلى الله**، 6\3\2014م، www.alukah.net.
- الشريف، عبد الرحيم، **الأنترنت وأثره في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام**، 28\10\2016م، www.montada.sptechs.com
- شكري، عبد المجيد، 1999م، **الإعلام الإسلامي الواقع.. التحديات.. المستقبل**، ط1، القاهرة، الناشر: العربي للنشر والتوزيع.
- الشميمري، فهد عبد الرحمن، 2010م، **التربية الإعلام ية كيف نتعامل مع الإعلام** ، ط1.
- أبو شنب، حسين، الإعلام التفاعلي، www.emag.mans.edu.eg
- الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، 1996م، **مدخل إلى الإعلام** ، ط2، السعودية، الناشر: دار عالم الكتب.
- عبد الرؤوف، هالة، **مجالات الدعوة في الإعلام الجديد واسعة ونافعة**، 10\4\2012م، www.al-forqan.net.
- العجمي، عبد الله عوض راشد، **الغزو الفكري عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع**، الكويت، الناشر: أدارة الأبحاث، جامعة الكويت.
- العرفج، ناجي، **وسائل وأفكار وبرامج للدعوة الإلكترونية**، www.etawasol.org.
- عزام، حسني، **شبكات التواصل الاجتماعي.. مع أو ضد**، كلية تل حاي، 16 /2 /2014م.
- علام، محمد، مفهوم الشباب، 8 /5 / 2012م، www.abnaaelbeheira.com

- علي، إبراهيم، 1979م، **استخدام تكنولوجيا وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري في إحداث تغيير اجتماعي على أساس إسلامي**، بحث مقدم لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط1، الرياض.
- العمري، سلطان، **استخدام الأنترنت في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام**، 10\10\2010م، www.awda-dawa.com.
- بن فارس، أبي الحسين احمد، 1979م، **معجم مقاييس اللغة**، بيروت، لبنان، الناشر: دار الفكر.
- الكامل، فرج، 1985م، **تأثير وسائل الاتصال الأسس النفسية والاجتماعية**، ط1.
- محمود، خالد وليد، 2011م، **شبكات التواصل الاجتماعي وديناميكية التغيير في العالم العربي**، ط1، لبنان، الناشر: دار مدارك لنشر.
- ابن منظور،1995م، **معجم لسان العرب**، ط1، بيروت، لبنان، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
- نصار، تركي،2004م، **وسائل الإعلام وقضايا المجتمع**، اربد، الأردن، ط1، الناشر: مؤسسة حمادة لدراسات الجامعية.
- هندي، صالح ذياب، 1990م، **اثر وسائل الإعلام على الطفل**، ط1، الاردن، الناشر: جمعية عمال المطابع التعاونية.
- الهندي، عادل عبد الله، **وسائل التكنولوجيا الحديثة في خدمة الدعوة**، www.islamselect.net.

- **الإعلام الجديد كيفية استغلاله في تبليغ الدعوة، الدعاة الغائبون عن شباب(تويتروالفيس بوك)**، 1\7\2011م، www.assakina.com.

ملحق الاستبانة

استبانة بعنوان (الدعوة الإلكترونية وأثرها على الشباب)

بسم الله الرحمن الرحيم
أخي الكريم ... أختي الكريمة ..
تحية طيبة وبعد ..

أرجو التكرم بالإجابة بموضوعية عن أسئلة الاستبانة التالية المعدة لإغراض البحث العلمي فقط .وهي تحمل عنوان (الدعوة الإلكترونية وأثرها على الشباب).
حيث أن مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الأنترنت تعد من أكثر المواقع تأثيراً على أفراد المجتمع وخاصة الشباب .
كلنا رجاء أن توضح رأيك وتنقل لنا وجهة نظرك بصراحة كي نتمكن من الوصول إلى الهدف الحقيقي لهذه الدراسة.
شاكراً لكم حسن تعاونكم

1-الجنس
- ذكر
- أنثى

2-العمر
- من 18 إلى 25
- من 26 إلى 60

3-المؤهل العلمي
- ثانوية عامة فما دون
- بكالوريوس
- ماجستير أو دكتوراه

4-هل تملك حساباً في احد مواقع التواصل الاجتماعي؟
- نعم
- لا

5-كم تأخذ مواقع التواصل الاجتماعي من وقتك؟
- ساعة أو اقل
- ساعتين
- ثلاث ساعات فأكثر

6-منذ متى وأنت تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي؟
- من سنة إلى 3 سنوات
- من 3 إلى 5 سنوات
- من 5 إلى 7 سنوات

7-هل كونت صداقات من خلال مواقع التواصل الاجتماعي؟
- نعم
- لا

8-هل ستجعل أبنائك يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي؟
- جزئي
- يومي
- لا يستخدمها مطلقا

9-هل تستطيع الاستغناء عن مواقع التواصل الاجتماعي؟
- نعم
- لا

10-هل أثرت مواقع التواصل الاجتماعي على شخصيتك وثقافتك؟
- نعم
- لا

11-هل تتابع صفحات علماء المسلمين عبر الفيس بوك وتويتر؟
- نعم
- لا

12-هل أنت عضو في احد مواقع الإلكترونية المختصة بالدعوة إلى الإسلام؟
- نعم
- لا

13-هل تستخدم موقع اليوتيوب في الاستماع إلى موضوع..
- ديني
- علمي

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

- ترفيهي
- غير ذلك

14-هل تنقل المعلومة الدينية سواء حديث أو موعظة أو فتوى دون تحقق من صحتها؟

- نعم
- لا

15-هل تأثرت بأي معلومة دينية قرأتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي وأثرت في علاقتك مع الله؟

- نعم
- لا

16-هل ترغب في نشر معلومات دينية على موقعك وتساهم في الدعوة الإسلامية عبر الانترنت؟

- نعم
- لا

17-هل تعتقد أن الدعوة الإلكترونية لها تأثير على الشباب؟

- نعم
- لا

18-هل تؤيد الدعوة إلى الله تعالى عبر وسائل الأنترنت؟

- نعم
- لا

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

آليات تفعيل إحياء الموات

في الفقه الإسلامي لخدمة الاقتصاد الحقيقي

د. طروب كامل
كلية العلوم الإسلامية
جامعة باتنة 1

ملخص

يعد إحياء الموات المعروف بالاستصلاح في أغلب التشريعات العربية من الأساليب الهامة التي يمكن أن تساهم في التنمية الاقتصادية فماهي جدوى التشريعات الزراعية التي تبنتها الدول الحديثة فيما يخص عملية الإستصلاح الزراعي مقارنة بما جاء في الفقه الإسلامي وما مدى مساهمتها في خدمة الاقتصاد الحقيقي؟

لقد اتخذت كنموذج تطبيقي لهذه الدراسة كل من دولة الجزائر، والمملكة العربية السعودية باعتبارهما نموذجان مختلفان من حيث السياسة التشريعية لكل منهما.

الكلمات الدالة : الإحياء، الأرض، الاقتصاد الحقيقي

Abstract

The system of revitalization is a unique form of abandoned land reform , expansion of agricultural land , reduce the scope of desertification , and solve many social and economic problems What is the usefulness of agricultural legislation adopted by modern countries in relation to the process of agricultural reclamation in comparison with Islamic jurisprudence and its contribution to the service of the real economy?

As an applied model for this study, Algeria and Saudi Arabia were used as different models in terms of their respective legislative policies.

مقدمة

إذا كان الاقتصاد الحقيقي (العيني) هو الأساس في حياة البشر وسبيل تقدمهم، فقد اكتشفت البشرية منذ وقت مبكر أن هذا الاقتصاد العيني وحده لا يكفي بل لا بد أن يزود بأدوات مالية تسهل عمليات التبادل من ناحية والعمل المشترك من أجل المستقبل من ناحية أخرى.

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى أدوات أو وسائل تسهل التعامل في الثروة العينية لعل أولى صور هذه الأدوات المالية هي ظهور فكرة الحقوق على الثروة العينية، فالأرض الزراعية هي جزء من الثروة العينية، وهي التي تنتج المحاصيل الزراعية التي تشبع حاجة الإنسان من المأكل، وربما السكن وأحيانا الملبس. لكن

إذا أراد أحد التصرف في الأرض فإنه لا يحملها على رأسه لكي يبيعها أو يؤجرها للغير، فكان لزاما على البشرية أن تبتكر مفهوما جديدا اسمه حق الملكية على هذه الأرض فهذا الحق القانوني يعني أن يعترف الجميع بأنه المالك الوحيد صاحب الحق في استغلال هذه الأرض والتصرف فيها.

ويعد نظام إحياء الموات من أبرز الأنظمة المكسبة للملكية في الفقه الإسلامي هذا ما جعله من أهم التشريعات التي أولاها الإسلام عناية خاصا نظرا لأهميته، ولعموم فائدته التي لا تقتصر على صاحبها أي المحيي فقط، وإنما تمتد لتشمل المسلمين كافة.

تبرز أهمية الموضوع في الضرورة الملحة لإضافة مساحات جديدة من الأراضي الزراعية لتحقيق التوازن بين الزيادة السكانية، والإنتاج الزراعي لسد الفجوة الغذائية، وتوفير فرص عمل، وإنشاء مجتمعات جديدة، والذي يعتبر أحد الدعامات الأساسية للتنمية المستدامة التي تنعكس بالإيجاب على اقتصاديات الدول المسلمة .

ولما كان من المسلم توفر مساحات شاسعة من الأرض الموات في العالم الإسلامي من واقع الأدلة المشهودة، وكون أسلوب إحياء الموات المعروف بالاستصلاح في أغلب التشريعات العربية من الأساليب الهامة التي يمكن أن تساهم بشكل كبير في التنمية الاقتصادية أطرح الإشكال التالي :

_ماهي جدوى التشريعات الزراعية التي تبنتها الدول الحديثة فيما يخص عملية الإستصلاح الزراعي مقارنة بما جاء في الفقه الإسلامي وما مدى مساهمتها في خدمة الاقتصاد الحقيقي ؟

قامت هذه الدراسة للإجابة على الإشكالية آنفة الذكر وقد اتخذت كنموذج تطبيقي لهذه الدراسة كل من دولة الجزائر، والمملكة العربية السعودية باعتبارهما نموذجان مختلفان من حيث الطبيعة، أي السياسة التشريعية لكل منهما.

وقد جاءت هذه الدراسة وفق جملة من العناصر أهمها :

_ مفهوم إحياء الموات في الفقه الإسلامي وطرقه.

_ شروط الإحياء والآثار الشرعية المترتبة عليه.

_نظام استصلاح الأراضي في الجزائر ومدى فعالية التشريعات الحديثة.

-نظام إحياء الموات في المملكة العربية السعودية ومدى فعاليته ضمن الإصلاحات الزراعية المعتمدة.

_خاتمة تحوي أهم النتائج المتوصل إليها.

المبحث الأول : مفهوم إحياء الموات في الفقه الإسلامي وشروطه

لقد جاءت الشريعة الإسلامية منظمة لملكية الأراضي، واضعة لهذه الملكية عدة أسباب من بينها إحياء الأرض الموات، الذي يعد من أبرز التشريعات التي أولاها الإسلام اهتماما خاصا، وذلك نظرا لأهميته، ولعموم فائدته.

لأجل ذلك لم يغفل الفقهاء القدامى إحاطة هذا الموضوع بالدراسة والتحليل، وقد أفردوا له أبوابا خاصة في كتبهم تحت عنوان "إحياء الموات".

استعرض في هذا المبحث تعريفات الفقهاء المختلفة للإحياء، وذلك بعد التعرض للتعريف اللغوي للكلمة، ثم ـ أخلص إلى التعريف المختار. كما أتعرض للأدلة التي اعتمدها الفقهاء في هذا الباب، وأخلص في النهاية إلى الحكمة من مشروعية الإحياء.

كما أتعرض إلى كيفية الإحياء وطرقه التي تختلف من مذهب لآخر ما جعلني أُفرد لكل مذهب مطلبا خاصا أبين فيه ما أورده عن كيفية الإحياء.

المطلب الأول: الإحياء في اللغة

الإحياء من الحياة، والحياة ضد الموت، والحي ضدّ الميت، وكتبت في المصحف بالواو (الحيواة) وذلك ليعلم أنّ الواو بعد الياء في حدّ الجمع [(1)].

ويراد بالإحياء عند أهل اللغة جعل الشيء ذا قوة حساسة ونامية، بعد أن كان متجردا منها، وينطبق هذا المعنى عندهم على الأراضي حيث ينسب الإحياء إليها، فلو تمّ نقل الأرض الموات من حالتها المجدبة هذه إلى حالة الخصب والنماء، قيل لهذه العملية إحياء في اللغة، وصرّح الزمخشري بأنّ هذا الاستعمال هو من باب المجاز؛ لأن حقيقة الحياة هي نقيض الموت؛ يقال أرض حية أي مخصبة، كما يقال في مقابلة ذلك أرض ميتة أي مجدبة. [(2)]

وعليه فالإحياء مصدر أحيا وإحياء الأرض مباشرتها بتأثير شيء فيها من إحاطة أو زرع أو عمارة، ونحو ذلك تشبيها بإحياء الميت. [(3)]

المطلب الثاني: الإحياء في الاصطلاح

إحياء الموات في الاصطلاح الشرعي لا يخرج عن المعنى اللغوي مع تشبيه الأرض بالإنسان الذي يتكون من جسد وروح، والأرض تتكون من مادة، وروحها بالحياة عند الاستفادة منها بالزراعة، أو العمارة والبناء. لكن العلماء ذكروا تعريفات متفاوتة للإحياء، مراعاة لاختلاف الشروط التي يراها كل منهم. [(4)]

و يظهر من مختلف تعريفات الفقهاء لإحياء الموات أن إحياء الموات هو بثّ الحياة في الأرض التي تكون بحكم الميت للانتفاع بها وإصلاحها بالبناء، أو الغرس، أو الحرث، أو السقي، والاستفادة منها بكل الوسائل التي تعود بالنفع على الإنسان ضمن شروط معينة.

[(1)] الفيروزابادي، القاموس المحيط، ط3، (مصر المطبعة المنيرية، 1301هـ)، 158/1.

[(2)] الزمخشري، اساس البلاغة، (دار الشعب، 1960)، 311.

[(3)] ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة : دار المعارف)، 1078/12.

[(4)] راجع في ذلك ما يلي : الطوري، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)، 338/8. داماد أفندي، مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، 558/2. أحمد الدردير، الشرح الصغير،(مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية، وزارة االشؤون الدينية)، 3/ 332.

ابن جزي، القوانين الفقهية، (ليبيا، الدار العربية للكتاب)،ص 255.

الأم للشافعي (القاهرة : دار الشعب)، 264.

الرملي، نهاية المحتاج، (بيروت :دار الفكر)، 327.

البهوتي، الروض المربع، (الرياض : مكتبة الرياض الحديثة،1970)، 31/2.

ابن قدامى، الشرح الكبير، (بيروت :دار الفكر العربي،1983)، 6/ 147.

ابن حزم، المحلي، (دار الفكر)، 8/ 233.

كما أن الإحياء ورد عن الشرع مطلقا، وما كان كذلك وجب الرجوع فيه إلى العرف لأنه قد يبين مطلقات الشارع.

والذي يحصل به الإحياء في العرف أحد خمسة أسباب: تبيض الأرض، وتنقيتها للزرع، وبناء الحائط على الأرض، وحفر الخندق القعير الذي لا يطلع من نزله إلا بمطلع، واستخراج الماء[(1)].

المطلب الثالث: مشروعية الإحياء:

الأصل في إحياء الموات أنه مشروع باتفاق الفقهاء، وقد تبينت مشروعيته بالسنة الشريفة، وإجماع الصحابة والمعقول.

الفرع الأول: السنة:

دلت أحاديث عديدة على مشروعية الإحياء كما دعت إليه أهمها:

1-أخرج الإمام الترمذي عن جابر بن عبد الله : أن النبي _*صلى الله عليه وسلم* _ قال: «**من أحيا أرضا ميتة فهي له**»، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح[(2)].

وحديث جابر هذا له عدة طرق منها:

ما أخرجه أحمد وابن حبان وفي لفظهما زيادة: فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول_*صلى الله عليه وسلم* _: «**من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر، وما أكلت العوافي منها فهو له صدقة**»[(3)].

وكذلك أخرجه النسائي في الكبرى[(4)]، وقال (العافية) بالفرد بدل (العوافي) بالجمع.

وفي لفظ: «**من أحاط حائطا على أرض فهي له**»[(5)] رواه أحمد وأبو داود.

و لأحمد مثله من رواية سمرة.

2-والحديث له شاهد من رواية عائشة –رضي الله عنها- أن النبي _*صلى الله عليه وسلم* _قال: «**من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق**»[(6)]، قال عروة: «قضى به عمر _رضي الله عنه _ في خلافته»[(7)].

3-ويروى الحديث عن سعيد بن زيد أن النبي _*صلى الله عليه وسلم* _ قال: «**من أحيا أرضا ميتة فهي**

---

(1) الصنعاني، سبل السلام، (بيروت، المكتبة العصرية، 1992)، 144/3.

(2) الترمذي، السنن، (دار إحياء التراث العربي)، كتاب الأحكام، باب ما ذكر في إحياء الموات، حديث 1379، 663/3-664.

(3)-أحمد ابن حنبل، المسند، (القاهرة :مكتبة التراث الإسلامي)، حديث 14540، 326/3، وقال: «فله منها صدقة».

صحيح ابن حبان، ط:2، (بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، 1414هـ-1993م)، كتاب إحياء الموات، رقم 5202 و5203، 613/11-614.

(4) النسائي، السنن الكبرى، ط:1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ-1991م،)، رقم 5756، 404/37.

(5) الحدبث سبق تخريجه.

(6) العسقلاني، فتح الباري،(بيروت : دار الكتب العلمية،1425هـ_1993م)،كتاب الحرث والمزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، 16/6.

(7) روي في كتاب الخراج ليحي بن آدم، من طريق محمد بن عبيد الله الثقفي قال: كتب عمر بن الخطاب: من أحيا مواتا من الأرض فهو أحق به، وروى من وجه آخر عن عمر بن شعيب، أو غيره أن عمر قال: من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها وجاء غيره فعمرها فهي له، وكأن مراده بالتعطيل أن يتحجرها، ولا يحوطها ببناء، ولا غيرها.

وأخرج الطحاوي الطريق الأولى أتم منه بالسند إلى الثقفي المذكور قال: خرج رجل من أهل البصرة يقال له أبو عبد الله إلى عمر فقال: إن بأرض البصرة أرض لا تضر بأحد من المسلمين، وليست بأرض خراج فإن شئت أن تقطعنها أتخذها قضبا، وزيتونا، فكتب عمر إلى أبي موسى: إن كانت كذلك فأقطعه إياه. نقلا عن فتح الباري ، (مرجع سابق)، 17/6-18.

له، وليس لعرق ظالم حق».

أخرج الحديث أبو داود[1]، والنسائي[2]، والترمذي[3]، وقال: «حديث حسن غريب، ثم قال: ورواه بعضهم عن هشام ابن عروة عن أبيه عن النبي _صلى الله عليه وسلم _».

وبعد أن ساق الحافظ ابن حجر طرق الحديث قال: وفي أسانيدها مقال لكن يتقوى بعضها ببعض[4].

قال صاحب الإرواء: وهذا إنما بالنظر إلى الشطر الثاني من الحديث: «**وليس لعرق ظالم حق**»[5] وإلا فإن الشطر الأول منها صحيح قطعا.

4-وعن أسمر بن مضرس قال: أتيت النبي *_صلى الله عليه وسلم* _ فبايعته فقال: «**من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له**»[6] قال: فخرج الناس يتعادون، يتخاطون رواه أبو داود، بإسناد حسن، وذهب صاحب الإرواء إلى تضعيف الحديث.

الفرع الثاني: الإجماع:

أما إجماع الصحابة، فقد ثبت بالتطبيق العملي للأحاديث السابقة حيث قضى بها الخلفاء الراشدون، وسار العمل عليه، ولم يخالف في ذلك أحد.

قال عروة: قضى عمر بن الخطاب في خلافته به، وقال عامة فقهاء الأمصار على أن الموات يملك بالإحياء وإن اختلفوا في شروطه[7].

الفرع الثالث: من المعقول:

أما المعقول فإن الأرض لله يورثها من يشاء، وسخرها للإنسان لينتفع بها ويستفيد منها، والناس بحاجة إلى تعمير الأرض، والتوسيع في البناء والبحث عن موارد جديدة للزراعة، والغراس، ليتحقق النفع العام وتزيد الثروة، ويتوفر الرفاه، والسعة على الناس، وهو ما تدعوا إليه الشريعة الغراء، كما سيكون الإحياء سببا للخصب والزيادة في أقوات الناس وتأمين المعاش لهم.

خلاصة:

نخلص من الأدلة السابقة في مشروعية الإحياء على وصفه بالإباحة، وأن حكمه التكليفي هو الإباحة عند الجمهور لأن الأحاديث السابقة تركت حرية الاختيار للشخص في القيام بالإحياء أو تركه.

---

(1) أبو داود، السنن، (مرجع سابق)، كتاب الخراج، والإمارة، والفيء، باب: في إحياء الموات، حديث 3073.

(2) النسائي، السنن الكبرى، (مرجع سابق)، كتاب إحياء الموات، باب: الحث على إحياء الموات، رقم: 5758، 404/3.

(3) الترمذي، السنن، (مرجع سابق)، كتاب الأحكام، باب ما ذكر في إحياء الموات، حديث 1378، 662/3-663.

(4) العسقلاني، فتح الباري، (مصدر سابق)، 18/6.

(5) جاء في كتاب الأموال قول عروة: ولقد أخبرني الذي حدثني هذا الحديث أن رجلا غرس في أرض رجل من الأنصار من بني بياضة نخلا فاختصما إلى النبي ﷺ فقضى للرجل بأرضه، وقضى على الآخر: أن ينزع نخله قال: فلقد رأيتها يضرب في أصولها بالفؤوس، وإنها لنخل عمّ، قال أبو عبيد: فهذا حديث مفسر للعرق الظالم، وإنما صار ظالما لأنه غرس في الأرض، وهو يعلم أنها ملك لغيره، فصار بهذا الفعل ظالما مناصبا، فكان حكمه ان يقلع ما غرس.

أبي عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، ط1، (بيروت، دار الشروق، 1409هـ-1989م)، 379-380.

(6) الحديث سبق تخريجه.

(7) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (مرجع سابق)، 17.

وخالف في ذلك الشافعية حيث قالوا: إن إحياء الموات مندوب لورود الحث على القيام بهذا الفعل، والترغيب فيه، وأنه يحقق مقاصد الشرع في تأمين مصالح الناس بجلب النفع لهم، وتوفير الخير بين أيديهم، مما يجعل صفة الإحياء مندوبا إليها، ويؤيد ذلك الأحاديث الكثيرة التي وردت في فضل الزراعة، والتعمير، والتشجير، مما يجعل الإحياء مناطا للثواب، والأجر من الله تعالى، وهذا هو حدّ المندوب الذي طلب الشارع فعله طلبا غير جازم، يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه.

واستدل الشافعية أيضا على أن الإحياء مستحب يقول_*صلى الله عليه وسلم* _: «**من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر، وما أكلت العوافي منها فهو له صدقة**»[1][2].

وعليه فحكم الإحياء في العموم ؛ هو الإباحة وهو ما ذهب إليه جمهور أهل العلم، ومستحبّ وهو قول الشافعية، كما أنه في بعض الظروف يصل إلى حكم الوجوب، إذا توقفت حياة الناس وضرورات معيشتهم عليه، و قد يرتد في المقابل إلى التحريم متى أدى الإحياء إلى وقوع مفسدة محرمة أو ضرر فادح بالبيئة أو الناس، أو كانت صفة الإحياء تناقض نصا قطعيا أو حكما شرعيا.

المطلب الرابع : كيفية الإحياء وطرقه

المتفق عليه في الفقه الإسلامي أن إحياء الأرض الموات إنما يكون بما تعارفه الناس إحياء، فلو أرادها حظيرة فإحياؤها بحائط يضرب حولها، وإن أرادها للزراعة فإحياؤها يكون بتهيئتها لإمكان الزرع فيها، بسوق الماء إليها، أو عزله عنها، أو قلع أحجارها، وإن كانت غابات فإحياؤها بأن يقلع أشجارها، ويزيل عروقها التي تمنع الزرع.

لكن للمذاهب آراء فقد نص الفقهاء على بعض الأعمال التي يثبت بها الإحياء، وهي لمجرد التمثيل لا الحصر، ويبقى المرجع في ذلك إلى العرف، والعادة، واختلاف الزمان والمكان.

وقد حرص الفقهاء على تحديد الأعمال الأولى التي ينطبق عليها جوهر الإحياء، واتفقوا على معظم الحالات، وكون هذه الأعمال مرجعها العرف والعادة التي تتغير بتغير الأزمان والأمكنة سأركز في هذا الأمر على الإحياء من المنظور العلمي وأفصل فيه .

ويقصد بالاستصلاح من منظور علمي عمليات استصلاح الأراضي بمعالجة عيب أو أكثر حيث يتم تحويل التربة من حالة غير منتجة إلى أخرى منتجة، وبدرجة اقتصادية، وذلك بتوفير الأساليب، والمستلزمات الضرورية لذلك، ويعد أي مشروع لاستصلاح الأراضي مهما كان حجمه عملية اقتصادية متكاملة، أركانها متشعبة، وتتوقف على عوامل مختلفة، ومتداخلة، ومن أهم طرق الاستصلاح مايلي:[3]

أولا: الاستصلاح بالوسائل الطبيعية

وتهدف هذه الطريقة إلى إصلاح الخواص الفيزيائية للتربة، وصفات التربة الطبيعية كالقوام، والبناء،

---

(1) الحديث سبق تخريجه.

(2) الشيرازي، المهذب، (دار الفكر)، 423/1.

(3) أحمد سيد أحمد محمد، مركز البحوث الزراعي، رقم النشرة 1030-2006 نقلا عن موقع.mazra3a.com تاريخ الزيارة 2013/07/26.

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

والنفاذية من الصفات الموروثة، وتعتبر محاولة تغيير هذه الصفات عملية مكلفة، وبرغم ذلك توجد عدة طرق، ووسائل ميكانيكية من شأنها تحسين هذه الصفات ومنها:

1- الحرث العميق:

وتفيد هذه الطريقة عندما توجد طبقة رديئة النفاذية بين طبقتين بنفاذية جيدة في التربة، أو تكسر الطبقات الغير منفذة، كما يستخدم الحرث العميق في الأراضي التي الطبقة السطحية بها من تأثير الصوديوم المتبادل بينما تكون الطبقة التحت سطحية تحتوي على كمية من الجبس يمكن الاستفادة منها في تحسين طبقة الصوديوم بعد طمرها في الأسفل.

2-إضافة الرمل:

أو ما يعرف بالترميل، وهو إضافة الرمل إلى التربة الثقيلة أو ذات القوام الناعم، ويؤدي إلى تحسين النفاذية، وتسهيل اختراق الجذور الطبقة السطحية، وذلك بإضافة طبقة من الرمل حوالي 10سم، وعموما لا ينصح بهذه الطريقة إلّا في أضيق الحدود عند زراعة محاصيل ذات عائد نقدي مرتفع لتغطية تكلفتها العالية.

3- قلب التربة:

قلب التربة الغرض منه تغطية طبقة غير مرغوبة بطبقة أسفلها، ولكنها أفضل في صفاتها، ويتم تقليب التربة عند بداية الاستصلاح باستعمال المحاريث القلابة التي تفج التربة على أعماق تتراوح من 60-90سم، وتحتاج هذه المحاريث إلى جرار قوي لجرها، ولذلك فهي عملية مكلفة أيضا.

4- إضافة الطمي:

تتم في الأراضي الرملية بغرض تحسين مقدرة هذه الأراضي على الاحتفاظ بالماء، وكانت هذه الطريقة شائعة الماضي إلّا أنّ تكلفتها مرتفعة جدا مما يجعلها غير اقتصادية إضافة إلى ندرة توفر الطمي نفسه، ويمكن القول بأن الغرض من العمليات الثلاثة الأولى هو زيادة نفاذية التربة المتماسكة أساسا عن طريق مزج طبقات التربة الناعمة، والخشنة للحصول على تربة أكثر تجانسا، ويكون ذلك بالحرث بعمق 50سم.

ثانيا: الاستصلاح البيولوجي:

والمقصود به التسميد بالكائنات الحية (البكتريا، والفطريات)، أو نقول التسميد الحيوي، وتعتمد هذه الطرق على الوسائل التي ترتبط بالكائنات الحية، وذلك باستعمال:

1- الغطاء النباتي: ويتم ذلك للوقاية من الشمس، وبالتالي فالمطلوب تغطية التربة، وتظليلها بالنباتات المزروعة حيث يقلل ذلك من زيادة معدلات التبخير التي تعمل على جميع الأملاح في الطبقة السطحية للتربة، وتمليحها، ويصبح من الصعب استمرار زراعتها من دون علاج أو استصلاح.

2- خفض مستوى الماء الأرضي: ويتم ذلك بزراعة الأشجار الخشبية بكثافة معقولة يفيد كثير في مثل هذه الظروف، ويؤدي إلى خفض مستوى الماء الأرضي مع تحقيق عائد مادي مجزي.

3- إضافة المادة العضوية: وهي السماد لطبيعي، وفوائده كثيرة للتربة لما له من تأثير على الخواص

الطبيعية، والكيميائية للتربة سواء في الأراضي الجيرية أو الرملية.

ثالثا: الاستصلاح الكيميائي

تعتمد هذه الطريقة على استخدام المصلحات الكيميائية في عملية الاستصلاح، والتحسين للأراضي الملحية، والقلوية، والرملية، ويتوقف نجاح المصلحات الكيميائية بدرجة كبيرة على التوفيق في تنظيم الظروف الهيدرولوجية (الغسيل، الصرف) للتربة المستصلحة، وتقسم المصلحات إلى ثلاث أنواع كيميائية طبقا لصفاتها التركيبية والخواص الكيميائية للتربة إلى:

1- أملاح الكالسيوم الذائبة مثل كلوريد الكالسيوم، والجبس.

2- أملاح الكالسيوم شحيحة الذوبان مثل كاربونات الكالسيوم، والمخلفات الجيرية من مصانع السكر.

3- المركبات الحامضية مثل الكبريت، وحامض الكبريتيك، وكبريتات الحديدوز.

رابعا: الاستصلاح الهيدرولوجي

الاستصلاح الهيدرولوجي يهدف دائما إلى تحسين نفاذية التربة حتى يمكن غسيل أي أملاح تتراكم في قطاع التربة إلى خارج منطقة الجذور عن طريق الصرف سواء كان صرف طبيعي وهو المفضل أو صناعي، وهو المنتشر في الأراضي المنخفضة.

ويمكن الحصول على أفضل النتائج في هذه الطريقة من الاستصلاح بوضع المصارف في الأماكن المنخفضة بينما قنوات الري في الأماكن المرتفعة أمّا إذا كانت الأراضي مستوية إلى حدّ ما فتكون المصارف في وسط المسافة بينما قنوات الري للأراضي الملحية، والقلوية، والتي تبنى على أساس إحلال الماء المضاف، أو ماء الغسيل محل المحلول الأرضي للتربة، وعملية الغسيل تحسب بمعادلات رياضية كثيرة لا داعي للخوض فيها فليس هذا مجالها.

وبعد هذا العرض الموجز لطرق ووسائل استصلاح الأراضي يمكننا أن نقول بأنه يمكن الإسراع بعملية الاستصلاح إذا لجأنا إلى أكثر من طريقة في نفس الوقت، فمثلا استخدام طرق الحرث العميق أو تقليب التربة قبل الغسيل يؤدي إلى زيادة نفاذية التربة، وبالتالي زيادة كفاءة التخلص من الأملاح بالغسيل، ونفس الهدف يمكن تحقيقه لو لجأنا إلى قلب التربة مع إضافة المادة العضوية، وبشكل عام فإنّ طرق الاستصلاح سواء كانت طبيعية أو كيميائية، أو بيولوجية أو هيدرولوجية، فإنها تساعد كثيرا، ولكن اجتماع هذه الطرق جميعا سوف يعطي أفضل النتائج.

(و بالنسبة للفلاحة الجزائرية تعد مطريّة في معظم مساحاتها وقليلة الاستهلاك للمواد الكيماوية سواء أكانت للتخصيب أو لحماية الزراعات، حيث، من مجموع 8.2 مليون هكتار الصالحة للزراعة 6 ملايين هكتار منها أي ما يعادل 70% تخصّب وتستعمل فيها مواد كيماوية لحماية النباتات. لكن يبقى الإنتاج حسب الطريقة العضوية أو البيولوجية محدوداً جدا في البلاد) [1].

المبحث الثاني :شروط إحياء الأرض الموات ومدى الحق المكتسب بذلك

(1) عن مقال بعنوان الزراعة البيولوجية في الجزائر، م.تلمات ون.هجرس، (المركز الوطني لمراقبة البذور والشتائل وتصديقها، ccncc) ص:62.

المطلب الأول : شروط إحياء الأرض الموات

للإحياء شروط متنوعة أسهب الفقهاء في تعدادها وهذه الشروط خاصة بنشوء حق الإحياء وليست شروطا للملكية، فالملكية لا تكون إلا بعد تمام عملية الإحياء أي بعد تحويل الأرض من حالتها المجدبة إلى حالة الخصوبة، والنشاط.

فالإحياء كعملية لا يمكن أن تقام إلا بعد توافر شروط عديدة، وهي ليست محل اتفاق بين الفقهاء في مجملها فلقد اتفق الفقهاء على ثلاثة منها، واختلفوا في البقية وسأتناول بالدراسة كل شرط من هذه الشروط بعد أن قمت بتقسيمها إلى شروط متفق عليها بين الفقهاء وشروط مختلف فيها، في فرعين مستقلين.

أولا : شروط الإحياء المتفق عليها بين الفقهاء

يشترط لإحياء الموات شروط ثلاثة اتفق الفقهاء على وجوب توافرها قصد إحياء الأرض المراد تعميرها أو استصلاحها بقصد التملك هذه الشروط هي:

1_أن تكون الأرض غير مملوكة لأحد

يشترط في الأرض الموات المراد إحياؤها أو استصلاحها، أن تكون غير مملوكة لأحد بعينه حتى يمكن تملكها بالإحياء.

فالأرض المملوكة هي الأرض التي تكون رقبتها ملكا لصاحبها، وتمنحه حق استعمالها، واستغلالها، والتصرف فيها، وهذا الشرط مأخوذ من الحديث الشريف: (**عادي الأرض لله ولرسوله، ثم هي لكم من بعد)**[1]. وهذا ما نص عليه الفقهاء بأن تكون الأرض عادية أي قديمة من عهد عاد وخربت، ولا مالك لها في أرض الإسلام، وهذا باتفاق الفقهاء وقال ابن عبد البر: "أجمع العلماء على أنه ما عرف بملك مالك غير منقطع أنه لا يجوز إحياؤه لأحد غير أربابه"[2].

2_أن تكون الأرض مجردة من الحقوق الثابتة عليها

لا يكفي في الإحياء أن تكون الأرض مجدبة فحسب بل لا بدّ أن تكون متجردة عن سائر الحقوق العامة، والخاصة لأن الأرض المجدبة قد تكون مثقلة ببعض الحقوق الخاصة كالتحجير، والإقطاع حيث تظل الأرض الموات لبعض الوقت تحت سيطرة الشخص، وحيازته إلى حين القيام بإحيائها.

ومن أبرز ما تناوله الفقهاء بالبحث من هذه الحقوق، وأكدوا على ضرورة تجرد الأرض الموات المراد إحياؤها من الحقوق الأربعة المبينة كالآتي:

3_انتفاء كون الموات حريما للعامر

مفهوم الحريم

(1) الحديث سبق تخريجه.

(2) الميداني، اللباب في شرح الكتاب، (مرجع سابق)، 220/2. الشربني، مغني المحتاج، (مرجع سابق)، 365/2. الشيرازي، المهذب، (مرجع سابق)، 424/1.

في اللغة: هو ما حرم فلا ينتهك، ولا يمس [1]، وحريم الشيء ما حوله من حقوقه ومرافقه، سمي بذلك لأنه يحرم على غير مالكه أن يستبد بالانتفاع به [2].

في اصطلاح الفقهاء: يقصد بالحريم في الاصطلاح: (هو ما تمس الحاجة إليه لتمام الانتفاع بالمعمور) [3].

أوهو حسب ما ورد في الموسوعة الفقهية ملك لمالك المعمور، بمعنى أنّ له أن يمنع غيره من إحيائه بجعله داراً مثلاً، وليس له منع المرور فيه، ولا المنع من رعي كلأ فيه، والاستقاء من ماء فيه، ونحو ذلك. والدّار المحفوفة بدور لا حريم لها. و حريم البئر ما لو حفر فيه نقص ماؤها، أو خيف انهيارها. ويختلف ذلك بصلابة الأرض و رخاوتها.[4]

قال ابن قدامة: وما قرب من العامر، ويتعلق بمصالحه من طرقه ومسيل مائه، ومطرح قمامته، وملقى ترابه، وآلاته فلا يجوز إحياؤه بغير خلاف في المذهب، وكذا ما تعلق بمصالح القرية كفنائها، ومرعى ماشيتها، ومحتطبها، وطرقها، ومسيل مائها، لا يملك بالإحياء ولا نعلم فيه أيضا خلافا بين أهل العلم، وكذا حريم البئر، والنهر، والعين، وكل مملوك لا يجوز إحياء ما تعلق بمصالحه [5]لقوله_*صلى الله عليه وسلم* _: **(من أحيا أرض ميتة في غير حق مسلم فهي له)**[6].

ثانيا : شروط إحياء الأراضي الموات المختلف فيها

اختلف الفقهاء حول البعض الآخر من شروط إحياء الموات، هل هي شروط لازمة وضرورية لإجراء عملية الإحياء أم لا؟

فالبعض يرى ضرورة توفر هذه الشروط لإجراء عملية الإحياء، بينما البعض الآخر يرى أنها ليست بشرط لإتمام عملية الإحياء. تناولت في هذا المطلب أهمها وهي :

1_اشتراط القصد

معنى القصد في الإحياء بأن ينوي من عمله منفعة معينة كالبناء للسكن، أو البناء للمستودع، أو الإحياء للزرع أو الغرس، أو الحظيرة، أو كمن يحفر بئرا فيحتمل أنه يريد تسييلها للنفع، ويحتمل أنه يريد تملكها، فلا بد من قصد التمليك.

ولقد اختلف الفقهاء في شرط القصد الخاص بالإحياء وذلك على قولين:

القول الأول: لا يشترط في الإحياء توفر القصد الخاص، ويكفي القصد العام، وهو مجرد نية الانتفاع بالأرض على أي وجه من الوجوه، فيكفي أن يهيأ الأرض تهيئة عامة أو يزيل عنها صفة الموات لتصير صالحة لأي انتفاع من زراعة، أو غرس وهذا قول الحنابلة، والمالكية، والحنفية[7].

---

[1] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط:4، (الشروق الدولية: 2004)، 129.لسان العرب لابن منظور، (مرجع سابق)، 845/10.

[2] الفيومي، المصباح المنير،ط:2، (مصر::المطبعة الأميرية،)، 161/1.

[3] الرملي، نهاية المحتاج، (مرجع سابق)، 161/1.

[4] الموسوعة الفقهية الكويتية، عن موقع نداء الإيمان www.aleman.com تاريخ الزيارة: 17-02-2013

[5] ابن قدامة، المغني، (مرجع سابق) 151/6.

[6] الحديث سبق تخريجه.

[7] الدردير، الشرح الصغير، (مرجع سابق)، 335/3. المرغيناني، الهداية، (مرجع سابق)، 72/10.

القول الثاني: يشترط القصد الخاص في الإحياء لأن الإحياء يختلف باختلاف الغرض المقصود منه من أرض للزراعة، أو الغرس ومن بناء للسكن أو حظيرة للغنم، وهو قول الشافعية. لكن لو شرع في الإحياء لنوع كأن قصد الإحياء للسكن فأحياه لنوع آخر كالزراعة، فإنه يملكه باعتبار القصد الطارئ، فإن قصد بالإحياء نوعا ما ثم أحياه بما لا يقصد به نوعا آخر فلا يملكه لعدم النية. كأن حوّط أرضا لتكون زريبة ثم قصد السكن بها فلا يملكها لأن الضابط عند الحنفية في الإحياء هو التهيئة للمقصود[1].

يتضح أن رأي الشافعية الأول يتفق مع التنظيم الحديث للأماكن والعمران كتخصيص أمكنة للسكن، وأخرى للمناطق الصناعية، أو تخصيص أرض لزراعة الحبوب منها، وأخرى لزراعة القطن وثالثة للأشجار والغرس، ويجب على المحيي أن يلتزم بهذه الأنظمة، وهي مقدمة على المصلحة الخاصة عند التعارض.

2_انتفاء القرب من العامر

يشترط في الأرض الموات المراد إحياؤها ألا تكون قريبة من العامر، وعموما فقد قسم الفقهاء الموات القريب من العامر إلى قسمين رئيسين هما:

القسم الأول:موات متعلق بمصالح هذا العامر تعلقا مباشرا.

القسم الثاني:موات ليس له مثل التعلق أو الارتباط المباشر بمصالح العامر.

والخلاف بين الفقهاء في شرطية انتفاء قرب الموات من العامر ينصب في الواقع على القسم الثاني وحده،

الموات القريب من العامر غير المتعلق بمصالح العامر فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز إحيائه، وبالتالي تملكه ومن بينهم المالكية[2]، والشافعية [3]، ومحمد بن الحسن خلافا لأستاذته[4]، كما ذهب أيضا أيضا فقهاء الحنابلة إلى تملك الموات القريب من العامر بالإحياء إن لم تتعلق مصلحة العامر به[5]،ولكن نسب إليهم قول آخر بعدم جواز إحيائه [6]، وثالث بالتفرقة بين صاحب العمران فيجوز له الإحياء، وبين غيره فلا يجوز [7].

هذا والرأي أنّ جعل البعد عن العمران من عدمه مدارا للتفرقة بين ما يجوز إحياؤه من الموات، وما لا يجوز، لا نصيب له من الصحة، حيث لا يوجد نص محدد في ذلك، إنما الأمر محل اجتهاد قائم على العرف السائد المرتبط بالمكان المعمور والوقت، فالقرية تحتاج إلى مرافق، وخدمات من مرعى، ومحتطب، ومكان لدرس المحاصيل وترع ومناخ للإبل، ونحوها، وذلك بما لا تحتاج إليه المنطقة الحضرية، كذلك فإنه مع

---

(1) الشيرازي، المهذب، (مرجع سابق)، 424/1. الشربني، مغني المحتاج، (مرجع سابق)، 365/2.

(2) دامندا أفندي، مجمع الأنهر، (مرجع سابق)، 757.

(3) ابن قدامة، المغني، (مرجع سابق)، 567/5.

(4) المرغيناني، الهداية، (مرجع سابق)، 98/4. حيث جاء عنه: أنّ محمد اعتبر في الأرض الميتة التي يجوز إحياؤها انقطاع ارتفاق أهل القرية عنها حقيقة، وإن كانت قريبة من القرية.

(5) البهوتي، الروض المربع، (مرجع سابق)، 425/2

(6) ابن قدامة، المغني، (مرجع سابق)، 576/5.

(7) المرداوي، الإنصاف،ط:1، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، 361/6.

تقدم الوقت لم يعد يوجد في الغالب المرعى المباح بالقرية، وإنما كل يرعى في أرضه الخاصة، على أنه إذا كانت القرية، أو البلدة قد استكملت المرافق الضرورية لأهلها فلا داع لاشتراط البعد في الموات، ما دام لا ينتفع به ولو كان قريبا من العامر.

والرأي الذي يتناسب مع وقتنا الحاضر هو رأي أبي الحسن الشيباني من حيث النظر إلى حقيقة الانتفاع أو عدمه بالأرض الميتة بالنسبة لأهل العامر حتى يجوز إحياؤها بلا فرق بين كونها قريبة أو بعيدة.

3_إذن الحاكم

اختلف الفقهاء المسلمون في إذن الحاكم لتملك الأرض الميتة بالإحياء وهل هو شرط في التملك أو ليس شرطا على ثلاثة أقوال:

القول الأول

لا يثبت الملك في الموات بمجرد الإحياء، بل لا بد مع الإحياء من إذن الإمام سواء كانت الأرض قريبة من العمران أم بعيدة عنه، ويقوم الوالي أو القاضي أو الجهة المكلفة بذلك مكان الإمام في الإذن، وهذا قول الإمام أبي حنيفة، وهو المعتمد في المذهب[1].

القول الثاني:

وهو قول الصاحبين، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن حزم ومفاده:

لا يشترط إذن الإمام لثبوت الملك في الإحياء، فالإحياء وحده سبب للملكية ما دامت الأرض لا مالك لها ووجه قولهم.

بأن الأراضي الموات ليست ملكا لبيت المال، بل هي مال مباح، والمباح لمن سبقت اليد إليه بالإحياء، فهو لمن أحياه، فلا حاجة إلى إذن الإمام في ثبوت الملكية، كمن يحتطب حطبا مباحا، أو يحتش كلأ مباحا، فإنه يملك بمجرد الإحراز والاستيلاء وكمن يصطاد حيوانا لا مالك له فإنه يملكه بمجرد الاصطياد[2].

القول الثالث:

هو قول المالكية بالتفصيل بين الأرض القريبة من القرية، والعمران فيشترط فيها الإذن والأرض البعيدة عن العمران فلا تفتقر إلى الإذن في الراجح عندهم، وفي القول أنها تحتاج إلى الإذن كالقريبة موافقة للحنفية في رأيهم.

ويفهم من نصوص المالكية أن العبرة في التفصيل، هو حاجة الناس للأرض وعدم حاجتهم إليها، فيشترط الإذن في الأولى للنظر في توقع الضرر منه لأهل البلد فلا يأذن الحاكم به، وعند عدم الضرر يأذن للمحيي.

ولا حاجة للإذن في البعيد لعدم حاجة البلد إليه، وعدم حصول الضرر من الإحياء[3].

---

[1] الكاساني، بدائع الصنائع،ط:2 (بيروت : دار النشر، 1982)، 195/6.

[2] مالك، المدونة الكبرى،ط:1، (دار الكتب العلمية،1415_1994) (مرجع سابق)، 195/6.الشربيني، مغني المحتاج، (مرجع سابق). ابن قدامة، المغني، (مرجع سابق). ابن حزم، المحلى، (مرجع سابق). أبو زهرة، الملكية ونظرية للعقد، (دار الفكر العربي)، 114-115.

[3] ابن جزيء، القوانين الفقهية، (مرجع سابق)، ص 244.

أرى والله أعلم ترجيح رأي أبي حنيفة القائل باشتراط الإذن لقوة الأدلة الموافقة للمصلحة العامة التي تناسب المجتمعات الحديثة، حيث ترى أن الدولة هي التي تملك الأرض البور، ومنه فهي وحدها من يملك حق منح الإذن بالإحياء للأفراد، ولا يملك المواطن في أية دولة حق المبادرة في الإحياء سواء كان قريبا أو بعيدا عن البلدة ويعد هذا إجماعا عالميا يوافق رأي أبي حنيفة في المسألة.

وأرى أن هذا الحس الحضاري في تنظيم كافة شؤون الحياة لا يمكن المجادلة فيه، وذلك محافظة على النظام العام. ولأن عدم اشتراط إذن الدولة أو أحد أجهزتها قد يكون سببا في فتح باب الفوضى في المجتمع، فقد يختصم الناس في أسبقيتهم إلى الأرض الموات ويزعمون وضع اليد عليها، وربما اختلفوا في حدود أراضيهم قبل الإحياء، وكل هذا وغيره من الخلافات الناتجة عن سلطان المال وتمكنه من نفوس البشر، يمكن تجنب وقوعه لو أن عملية الإحياء تمت بطريقة منظمة وأشرف على ذلك أجهزة متخصصة تدير العملية بإحكام. لتكفل حسن الاستثمار وعدالة التوزيع وعدم استنزاف المياه وفق خطة علمية مقننة.

فهذا الذي حدا بكثير من الفقهاء إلى القول باستحباب الإذن من الدولة خروجا من الخلاف.

المطلب الثاني : مدى الحق المكتسب بالإحياء

أعالج في هذا المبحث مدى الحق الذي يترتب على عملية الإحياء في حالة أذنت به الدولة للفرد، هل تنتقل إليه ملكية الأرض التي أحياها بكل مقوماتها من عين ومنفعة، أو أنّ حقه فيها لا يتجاوز نطاق الاختصاص، وملكية الانتفاع دون ملكية العين.

إن الملكية الكاملة تمنح صاحبها حق الاستعمال بالانتفاع بنفسه بالشيء المملوك، وحق الاستغلال بالاستفادة من المنفعة عن طريق غيره، كالإيجار، وحق التصرف بالبيع، والهبة، والعارية، والوصية والإرث بانتقال المملوك إلى آخر، وتسمى الملكية الكاملة ملك الرقبة.

اتفق الفقهاء على أن الإحياء يفيد صاحبه حقا، واختصاصا، ولكنهم اختلفوا في حدود هذا الحق والاختصاص، هل هو ملكية كاملة تمنح صاحبها السلطان دون غيره كحق الانتفاع فقط؟

وقد انقسم الفقهاء في ذلك إلى قسمين:

القول الأول:

وهو للجمهور. من مالكية، وشافعية، وحنابلة، والمشهور عند الأحناف ومؤداه أن الإحياء يفيد الملكية كاملة، وأن المحيي يملك رقبة الأرض ويحق له استعمالها بنفسه، واستغلالها بالانتفاع بها عن طريق غيره، وحق التصرف الكامل في البيع وغيره، وأنها تنتقل من بعده إلى ورثته[1].

القول الثاني:

ومفاده أن الإحياء ملك المنفعة فقط لا ملك الرقبة فيثبت بالإحياء حق الاستعمال الشخصي، والاستغلال عن طريق آخر، ولا يملك المحيي حق التصرف بالبيع وغيره، ولا تنتقل إلى ورثته إرثا، وإنما

[1]– راجع : الزيلعي، تبيين الحقائق، (مرجع سابق)، 35/6،و الكاساني، بدائع الصنائع، (مرجع سابق)، 194/6،و الشربيني، مغني المحتاج، (مرجع سابق)، 36/2،و الدردير، الشرح الصغير، (مرجع سابق)، 333/3،و الشيرازي، المهذب، (مرجع سابق)، 424/1.

بإحياء جديد منهم، لأن حق المحيي ملك ناقص، وأن ملك الرقبة لا يثبت له، وهذا رأي بعض علماء الحنفية، ونسبه البابرتي إلى أبي القاسم البلخي، وأخذ به كثير من الإمامية، وقالوا تبقى ملكية الرقبة للدولة(وكذا حقه في الخراج[1].

المبحث الثالث : إحياء الموات في الأنظمة الحديثة ومدى فعالية التشريعات

وقد اتخذت كنموذج تطبيقي لهذه الدراسة كل من دولة الجزائر، والمملكة العربية السعودية باعتبارهما نموذجان مختلفان من حيث الطبيعة أي السياسة التشريعية لكل منهما؛ بهدف بيان مدى نجاعة التشريعات الخاصة بإحياء الموات، والتي عرفت تعديلات متوالية أحاول التركيز على الحديثة منها ومقاربتها بنظام الإحياء في الفقه الإسلامي.

المطلب الأول : نظام استصلاح الأراضي في الجزائر ومدى فعالية التشريعات الحديثة

تبعا للتغيير السياسي الذي مسّ الجزائر في نهاية الثمانينات، وبداية التسعينات، وميل السلطة إلى تبني نظام الاقتصاد الحر أصبح لزاما التأقلم مع أسس، ومبادئ هذا النظام، وعلى عكس المرحلة الأولى التي اتسمت بالانغلاق، والحد من الملكية الخاصة لحساب الملكية الجماعية، ثم التراجع عن هذا التوجه وبرز جليا ذلك من خلال مجموعة من التشريعات التي صدرت في تلك الحقبة، وما يليها على رأسها قانون التوجيه العقاري، الذي أعاد ترسيم سياسة عقارية جديدة سواء بالنسبة للعقار الفلاحي أو العقار الحضري[2].

اضطرت السلطة أمام تناقص وعاء العقار الفلاحي إلى تشجيع عمليات الاستصلاح، والتي تشهد ركود نسبي، رغم التدابير التشجيعية المنصوص عليها في القانون رقم 18/83، وقصد إنعاش الاستصلاح أصدرت السلطة المرسوم التنفيذي رقم 483/97، الذي يحدد كيفيات منح الامتياز في القطع الأرضية التابعة للأملاك الخاصة للدولة في المساحات الاستصلاحية، وأعبائه، وشروطه، حيث عرفت المادة الثانية منه الاستصلاح على أنه " عملية الاستثمارات الرامية إلى جعل طاقات الأملاك العقارية منتجة، وإلى تثمينها "[3].

أولا : مفهوم تقنية الامتياز

أوضح المشرع الجزائري تقنية الامتياز في دفتر الشروط الملحق بالمرسوم التنفيذي رقم 483/97 المؤرخ في 1997/12/15 في نص المادة الثانية منه على أنها "تصرف تمنح الدولة بموجبه، ولمدة معينة حق الانتفاع بأراضي متوفرة تابعة لأملاكها الوطنية الخاصة لكل شخص طبيعي، أو معنوي في إطار الاستصلاح في المناطق الصحراوية، والجبلية، والسهبية[4].

وبهذا المفهوم يتميز عقد الامتياز المتبنى من طرف المشرع بالخصائص التالية:

[1]– البابرتي، الهداية شرح العناية، (دار الفكر)، 71/10.

[2] راجع: آليات تطهير الملكية العقارية الخاصة في القانون الجزائري، ل: عزوي حازم: رسالة ماجستير غير مطبوعة، (جامعة باتنة:2009-2010).

[3] راجع: القرار رقم 47242 المؤرخ في 1995/04/12 الصادرة عن المحكمة العليا.

[4] المرسوم التنفيذي رقم 483/97 المؤرخ في 1997/12/15 والمحدد لكيفيات منح امتياز قطع أرضية من الأملاك الوطنية الخاصة التابعة للدولة في المساحات الاستصلاحية، الجريدة الرسمية رقم 83 لسنة 1997، المادة 2 منه.

أولا: كونه عقد إداري

ويستند هذا التكييف إلى صيغة النص التي تعرف الامتياز على أنه تصرف يصدر عن الدولة، وهي إشارة إلى تبني المشرع للمعيار العضوي عند تحديد أطراف العقد حيث يتكون العقد من الدولة مانحة الامتياز، ومن شخص طبيعي، أو معنوي خاضع للقانون الخاص كصاحب امتياز(1).

ثانيا: كونه عقد مؤقت

حيث يبرم العقد لمدة معينة يتم تحديدها بموجب دفتر شروط تعده الدولة مانحة الامتياز، وأغلب الظن أنّ تقدير المدة يخضع للإرادة المنفردة للدولة رغم أنّ المرسوم السالف الذكر يكتفي بالنص على منح الامتياز لمدة معينة، ومتغيرة حسب طبيعة عملية الاستصلاح لكن هذا التفسير من الممكن إثبات عكسه بما أنّ الإدارة هي السلطة المكلفة بتقدير آجال برنامج الاستصلاح، وبالتالي فتحديد المدة اختصاص أصيل لها(2).

ثالثا: كونه عقد ذو محل

يتمثل في استصلاح الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة، والمتواجدة تحديدا في الأراضي الصحراوية، والجبلية، والسهبية، كما أنّ ضبط حدود المساحة محل الاستصلاح يخضع لنص تنظيمي خاص تصدره الدولة مثلما تنص على ذلك المادة الرابعة من المرسوم الآنف الذكر، والتي تقضي على أنه " تضبط المساحة بقرار وزاري مشترك بين وزير الفلاحة، والري، والمالية، وبناء على معايير تقنية، واقتصادية، وحماية المحيط، ويمكن تمديد مساهمة الدولة إلى القطاع الخاص شريطة تحرير الملاك لتعهد بالانضمام إلى برنامج الاستصلاح المعد من قبل مدير المشروع (3).

إنّ هذا القانون يعدّ حسب الدراسات الحل المناسب لاستخلاف نظام قانوني لم يعد يتماشى مع الرؤية الاقتصادية الجديدة للدولة.

فهو يكرس مبدأ بقاء الأراضي الفلاحية ملكا للدولة.كما يسد الطريق أمام كل من يريد الاستيلاء على أراضي الدولة ثم التلاعب بها.

و تكمن روح هذه المبادرة التي اتخذتها وزارة الفلاحة والتنمية الريفية لتأمين القطاع وإعطائه الوسائل القانونية للتطور والاندماج في إطار الصيغ الجديدة للسوق العالمية للمنتوجات الفلاحية، حيث تعطي الكثير من أحكام هذا القانون أكثر استقلالية للفلاحين المستثمرين وفي المقابل تكون لهم إمكانية إقامة شراكات باستثناء مع أطراف غير جزائرية.

ويتمحور هذا القانون الذي يعد امتدادا لقانون الفلاحة التوجيهي لسنة 2007 حول 15 مبدءا منها "تحول حق الاستغلال إلى امتياز كنظام حصري لاستغلال الأراضي" لمدة أربعين عاما قابلة للتجديد، في حين

---

(1) راجع: المادة 03من المرسوم التنفيذي رقم 483/97.

(2) المادة 04 من المرسوم التنفيذي رقم 483/97.

(3) المادة 5 من المرسوم التنفيذي رقم 483/97.

يقصى من أهلية الاستفادة من هذا الامتياز "كل شخص سبق له أن أبرم صفقات بشأن أراض فلاحية عمومية أو حاز هذه الأراضي خرقا للقانون الجاري به العمل وكذا كل شخص كان له سلوك مشين خلال حرب التحرير الوطني".

وتأسيسا على هذه الخصائص يمكن لنا إدراك الطبيعة القانونية لهذا العقد، والتي هي أقرب إلى النظام "statut " أكثر منها إلى العقد كاتفاق بالمفهوم القانوني له حيث يطغى على الامتياز الطابع التنظيمي، على حساب الطابع التعاقدي، ويتجلى لنا ذلك صراحة من خلال الالتزامات المترتبة على عقد الامتياز [1].

المطلب الثاني : إحياء الموات في النظام السعودي وجدوى التشريعات الحديثة

تستقبل المملكة العربية السعودية نهضة شاملة في الميدان الزراعي ولذلك كان من الضروري الأعداد لهذه النهضة بأسس ثابتة تقوم عليها ومن ذلك إبدال النظام القائم في إحياء الأراضي يضمن أن يحقق تمليك الأرض الزراعية الأهداف الاجتماعية، والاقتصادية التي تحرص الحكومة القائمة على رسمها بوعي وحكمة ولذا فقد وضع هذا النظام فقبل تاريخ 1387/11/9هـ كان النظام يتيح إثبات المحاكم لتملك المواطنين بالإحياء، وإخراج صكوك التملك (حجج استحكام) بعد التأكد من حصول عملية الإحياء الشرعي بالشروط المعتبرة دون الحاجة إلى أخذ إذن ولي الأمر، فكان المتقدم للمحكمة يقدم ما يثبت حصول الإحياء سواء كان زراعيا أو سكنيا، ثم يتولى القاضي العمل على تطبيق المادتين (85_86) من نظام تنظيم الأعمال الإدارية بالدوائر الشرعية الصادر بالتصديق العالي رقم 1372/1/24 هـ ونص المادتين [2]:

المادة الخامسة والثمانون : على المحكمة إذا طلب منها عمل استحكام أن تكتب إلى كل من البلدية والأوقاف والمالية للاستفسار عما إذا كان هناك مانع لديها من إجراء ذلك، فإن لم يكن لديها مانع أجرى الاستحكام بعد إعلانه في الجريدة الرسمية لمدة شهر [3].

المادة السادسة والثمانون : على المحكمة إذا طلب منها عمل استحكام للأرض، أن ترفع للمراجع العالية لأخذ رأيها في ذلك، علاوة على الإجراءات المدرجة في المادة (85)، وإذا كان على الأرض الفضاء أنقاض فلابد من التحقيق لمن هذه الأنقاض لتصور حقيقة الطلب [4].

واستمر العمل على وفق ما سبق قرابة خمسة عشر سنة حتى صدر المقام السامي رقم 21679 في 1387/11/9 هـ، أو إذن ولي الأمر فيما بعد هذا التاريخ، علما أنه قد أكّد في المادة رقم (87) من نظام تنظيم الأعمال الإدارية السابق، على أن الإحياء لا يلتفت إليه في أراضي منى أصلا [5].

وقد راعى النظام استثمار الأراضي البور البعيدة عن العمران وتوزيعها التوزيع العادل لمن يقوم

---

(1) المادة 6 من المرسوم التنفيذي رقم 483/97.

(2) أحمد بن عبد العزيز العميرة، نوازل العقار، ط:1،(السعودية : دار الميمان، 1432هـ_2011)،85 .

(3) نظام المرافعات الشرعية لسنة 1435.

(4) نظام المرافعات الشرعية لسنة 1435.

(5) نظام المرافعات الشرعية لسنة 1435.

باستصلاحها، ومنع الإحياء المتبع قديما، وهذه أهم ملامح نظام توزيع الأراضي البور [1]:

1_ المقصود بالأراضي البور في النظام:

بينت المادة الأولى من النظام المقصود بالأراضي البور، وهي التي تتوافر فيها الشروط التالية :

_ أن تكون منفكة عن الاختصاص والملك.

_أن تثبت الجدوى الاقتصادية من استثمارها واستغلالها.

_أن تكون خارجة عن النطاق العمراني، وما يتعلق بمصالحه في المدن والقرى.

2_الشروط اللازم توافرها في المتقدم للحصول على أرض للقيام باستصلاحها :

وقد بينت المادة الثالثة هذه الشروط وهي :

_أن يكون المتقدم سعوديا.

_ أن يكون متمتعا بأهلية الأداء.

_أن لا يكون سبق له أن حصل بموجب هذا النظام على أرض بما يثبت له حق الملكية فيها.

3_**أثر قرار التوزيع** : رتب المنظم على صدور قرار التوزيع آثارا بينتها المادة السابعة وهي :

_ يكون لمن صدر لصالحه قرار التوزيع حق اختصاص في الأرض محل القرار.

_يجب على من صدر لصالحه قرار استثمار الأرض خلال المدة المحددة فيه، وتعتبر الأراضي مستثمرة زراعيا بري جزء منها لا يقل على 25% من مساحتها بما من شأنه الإنتاج الفعلي، وتعتبر مستثمرة حيوانيا إذا ثبت جدية الإنتاج الحيواني خلال المدة المحددة للاستثمار.

4_ **متى يحصل التملك**: بينت المادة التاسعة متى يحصل التملك بم يثبت رسميا حيث جاء فيها " إذا قام من صدر لصالحه قرار التوزيع باستثمار الأراضي وانتهت المدة المحددة للاستثمار، تملك الأرض الموزعة لمن صدر لصالحه قرار التوزيع، وذلك بقرار من وزير الزراعة على أن هذا القرار لا يعتبر نافدا إلا بعد أن تتم المصادقة عليه من جلالة الملك أو من يفوضه".

لقد حقق الاستصلاح الزراعي في المملكة العربية السعودية تطورا كبيرا في فترة وجيزة بالرغم من المعوقات العديدة كقلة الأمطار، ومحدودية المياه، غيرها إلا أن جهودا حثيثة قد بذلت ؛ لإنعاش القطاع الزراعي أهمها توزيع الأراضي البور مجانا على المستثمرين الزراعيين، وتقديم القروض الزراعية طويلة الأجل دون فوائد، وشراء الدولة للمحاصيل الإستراتيجية خاصة الحبوب من المزارعين بأسعار عالية، وغير ذلك كل هذه جهود نقلت البلاد من مرحلة استيراد معظم حاجياتها إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي والتصدير الخارجي في بعض السلع الغذائية [2].

خاتمة

إنّ القواعد، والضوابط التي وضعها الفقهاء في كيفية الإحياء تنطبق على الإحياء في العصر الحديث

---

(1) مجموعة الأنظمة السعودية 7/360_361.

(2) نقلا عن موقع: http://ency.kacemb.com.

لأنها تعتمد على الغرض، والهدف من الانتفاع بالأرض، والاستفادة منها، وتحويلها من أرض ميتة إلى أرض عامرة، وقاعدة الفقهاء مرنة ومتوافقة مع اختلاف العصر؛ لأنها تعتمد على العرف والعادة فيما يعتبر إحياء باختلاف الزمان والمكان.

والجدير بالذكر أن المحيي يجب أن يراعي الأنظمة المرعية في تقسيم الأراضي، وتخصيصها للبناء عامة أو للسكن أو للصناعة أو الزراعة، وأن يقوم فعلا بالأعمال التي تنص عليها الأنظمة المطبقة والتي تراعى فيها المصالح العامة، وهذا بمقتضى السياسة الشرعية في التصرف على الرعية.

فبقاء الأراضي ضمن سلطان الدولة، حيث تشرف على استثمارها بالشكل المناسب، ومن ثم إعادة توزيع هذه الثروة على كافة فئات المجتمع، وتقوم بتنظيم الإحياء على ضوء من قواعد العدل ومراعاة الفوارق والقدرات بين الناس.

لذلك فقوله_*صلى الله عليه وسلم* _: "من أحيا أرضا ميتة فهي له"[1]، هو تصرف منه _*صلى الله عليه وسلم* _بوصفه حاكما، وإماما للمسلمين، يتخير، وينظر في الأصلح لهذه الأمة، تشجيعا منه_*صلى الله عليه وسلم* _ على العمران والبناء. فإذا رأى الإمام في وقت من الأوقات أنّ عملية الإحياء قد ينتج عنها ضرر يخالف المقصود منها، وذلك كأن تحتاج الدولة الأرض مثلا لأغراض عسكرية، أو للمرافق العامة، أو لما فيها من مناطق أثرية، أو ثروة معدنية، وما إلى ذلك من الاعتبارات فلها حينئذ منع الإحياء.

بالنسبة لاشتراط الإذن فقد ذهب كل من المشرع الجزائري وكذا السعودي إلى الأخذ بالرأي القائل باشتراط الإذن في الإحياء فقد نص في القانون الجزائري على أنه: "تعتبر ملكا للدولة جميع الأموال الشاغرة التي ليس لها مالك، وكذلك أموال الأشخاص الذين يموتون من غير وارث، أو الذين تهمل تركتهم"[2]. وقد جاءت بعد ذلك عدة نصوص تنظيمية تحدد مساحات الاستصلاح، والجهة الوطنية المخول لها منح الإذن بالاستصلاح[3].

وحذا حذوه المشرع السعودي فقبل تاريخ 1387/11/9هـ كان النظام يتيح إثبات المحاكم لتملك المواطنين بالإحياء، وإخراج صكوك التملك (حجج استحكام) بعد التأكد من حصول عملية الإحياء الشرعي بالشروط المعتبرة دون الحاجة إلى أخذ إذن ولي الأمر واستمر العمل على وفق ما سبق قرابة خمسة عشر سنة حتى صدر المقام السامي رقم 21679 في 1387/11/9 هـ، أو إذن ولي الأمر فيما بعد هذا التاريخ.

بالنسبة لتملك المحيي للأرض المحياة فقد اختلف الفقهاء في المسألة بين من يقول أن الإحياء يفيد الملكية كاملة، وأن المحيي يملك رقبة الأرض وهذا ما أخذ به النظام السعودي فقد بينت المادة التاسعة متى يحصل التملك وبم يثبت رسميا حيث جاء فيها " إذا قام من صدر لصالحه قرار التوزيع باستثمار الأراضي وانتهت المدة المحددة للاستثمار، تملك الأرض الموزعة لمن صدر لصالحه قرار التوزيع، وذلك بقرار من وزير الزراعة على أن هذا القرار لا يعتبر نافدا إلا بعد أن تتم المصادقة عليه من جلالة الملك أو من يفوضه".

---

(1) الحديث سبق تخريجه.

(2) – المادة 773 ق م ج.

(3) – سيأتي بيان هذه المراسيم واللوائح بالتفصيل في الفصول الموالية.

وهذا على خلاف المشرع الجزائري الذي وافق في تشريعه الرأي الثاني للفقهاء والقائل بأن الإحياء ملك المنفعة فقط لا ملك الرقبة فيثبت بالإحياء حق الاستعمال الشخصي، والاستغلال عن طريق آخر، ولا يملك المحيي حق التصرف بالبيع وغيره، ولا تنتقل إلى ورثته إرثا.

فبقاء الأراضي ضمن سلطان الدولة، حيث تشرف على استثمارها بالشكل المناسب، ومن ثم إعادة توزيع هذه الثروة على كافة فئات المجتمع، وتقوم بتنظيم الإحياء على ضوء من قواعد العدل ومراعاة الفوارق والقدرات بين الناس، كان ذلك مضمون آخر التشريعات التي تخص الإحياء في الدولة الجزائرية والمعروف بنظام الامتياز؛ حيث لا تنتقل حسب هذا التشريع ملكية الأرض للمحيي، وإنما تبقى ملكية الرقبة لصالح الدولة أما المنفعة الناتجة عن استثمار الأرض تعود للمحيي وفق محددات يضعها دفتر الشروط، ولمدة زمنية تحددها الدولة قابلة للتجديد كما وضحت ذلك سابقا.

إن هذا التشريع يتفق مع الحكمة من الإحياء الذي يهدف إلى تنمية الأرض واستغلالها بما يفي بحاجات المجتمع من جهة. وضمان عدم تعارضه مع خطط الدولة التنموية من جهة أخرى.

كما أن بقاء رقبة الأرض في يد الدولة يعد حائلا دون تداولها بشكل يعود بالنفع على صاحبها ويبعده عن الهدف الأساسي من عملية الإحياء وهي عموم الفائدة من استثمار هذه الأرض واستغلالها بشكل يخدم الصالح العام ؛ هذا عن إيجابيات نظام الامتياز الذي اعتمده المشرع الجزائري..

أما عن سلبياته فهو لا يمكنه أن يشكل آلية لخدمة الاقتصاد الحقيقي المبني على الحق العيني الذي يعبر عن الاستقرار والثبات الذي يعد أقرب إلى واقع الإنسان في إشباع غريزة حب التملك التي فطر الله الناس عليها، وهذا الذي حققه النظام السعودي في تقريره لملكية المحيي لرقبة الأرض المحياة، وبالتالي تمكن من تنفيذ حلول اقتصادية إسلامية لتطوير قطاع من قطاعات الاقتصاد الحقيقي ألا وهو ملكية الأرض، واستثمارها في الزراعة.

أما التشريع الجزائري فبتبنيه لتقنية الامتياز فهو يساهم بشكل كبير في هيمنة القطاع المالي على الاقتصاد الحقيقي.

قائمة المصادر والمراجع والمواقع الإلكترونية المعتمدة مرتبة حسب حروف الهجاء

أحمد ابن حنبل، المسند، (القاهرة :مكتبة التراث الإسلامي).
أحمد الدردير، الشرح الصغير،(مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية، وزارة االشؤون الدينية).
أحمد بن عبد العزيز العميرة، نوازل العقار، ط:1،(السعودية : دار الميمان، 1432هـ_2011).
أحمد سيد أحمد محمد، مركز البحوث الزراعي، رقم النشرة 1030-2006 نقلا عن موقع.mazra3a.com
البابرتي، الهداية شرح العناية، (دار الفكر).
البهوتي، الروض المربع، (الرياض : مكتبة الرياض الحديثة،1970).

البيضاوي، الغاية القصوى، (مصر، دار النصر للطباعة، 1982).
الترمذي، السنن، (دار إحياء التراث العربي).
ابن جزي، القوانين الفقهية، (ليبيا، الدار العربية للكتاب).
ابن حزم، المحلي، (دار الفكر).
داماد أفندي، مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
الرملي، نهاية المحتاج، (بيروت :دار الفكر).
الزمخشري، اساس البلاغة، (دار الشعب، 1960).
أبوزهرة، الملكية ونظرية للعقد، (دار الفكر العربي).
الزيلعي، تبيين الحقائق،ط:2، (القاهرة : دار الكتاب الإسلامي).
الشافعي، الأم، (القاهرة : دار الشعب).
الشربيني، مغني المحتاج،ط:1، (دار المعرفة،،1418هـ_1997م).
الشيرازي، المهذب، (دار الفكر).
الصاوي، بلغة السالك، (دار المعارف).
صحيح ابن حبان، ط:2، (بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، 1414هـ-1993م).
الصنعاني، سبل السلام، (بيروت، المكتبة العصرية، 1992).
الطوري، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).
أبوعبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، ط1، (بيروت، دار الشروق، 1409هـ-1989م).
عزوي حاتم، آليات تطهير الملكية العقارية الخاصة في القانون الجزائري،: رسالة ماجستير غير مطبوعة، (جامعة باتنة:2009-2010).
العسقلاني، فتح الباري،(بيروت : دار الكتب العلمية،1425هـ_1993م).
الفيروزابادي، القاموس المحيط، ط3، (مصر المطبعة المنيرية، 1301هـ).
الفيومي، المصباح المنير،ط:2، (مصر::المطبعة الأميرية،).
ابن قدامى، الشرح الكبير، (بيروت :دار الفكر العربي،1983).
الكاساني، بدائع الصنائع،ط:2 (بيروت : دار النشر، 1982).
مالك، المدونة الكبرى،ط:1، (دار الكتب العلمية،1415_1994).
المرداوي، الإنصاف،ط:1، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط:4، (الشروق الدولية: 2004).
ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة : دار المعارف).
ميداني، اللباب في شرح الكتاب، (بيروت، دار الكتاب العربي).
النسائي، السنن الكبرى، ط:1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ-1991م).

نظام المرافعات الشرعية السعودي لسنة 1435.

القرار رقم 47242 المؤرخ في 1995/04/12 الصادرة عن المحكمة العليا.

مجموعة الأنظمة السعودية 7/360_361.

المرسوم التنفيذي رقم 483/97 المؤرخ في 1997/12/15 والمحدد لكيفيات منح امتياز قطع أرضية من الأملاك الوطنية الخاصة التابعة للدولة الجزائرية في المساحات الاستصلاحية، الجريدة الرسمية رقم 83 لسنة 1997

مقال بعنوان الزراعة البيولوجية في الجزائر، م.تلمات ون.هجرس، (المركز الوطني لمراقبة البذور والشتائل وتصديقها، ccncc)

الموسوعة الفقهية الكويتية

أنماط السلوك القيادي ومدى أثره

على الهوية المهنية للعمال داخل المنظمة

أ.مريم قيدوم -_د.عاشوري صونيا
جامعة باجي مختار عنابة

الملخص:

من المتعارف عليه أن السلوك القيادي هو جملة من السلوكيات و الإجراءات التي تؤثر في نشاطات الأفراد العاملين لتحقيق الأهداف المنشودة للمؤسسة في ظروف معينة، و لهذا فان فعالية القيادة و نجاحها يتجليان في المواقف التي تحقق الانسجام بين متطلبات الموقف و النمط القيادي اللازم للموقف و السمات الشخصية للقائد و يعد النمط القيادي لموقف ما فعالا بالقدر الذي يتمكن فيه القائد من تحقيق الأهداف والنتاجات التي وجد من اجلها المنصب القيادي، و على القائد الإداري أن يدرس جماعته، أدوارها و تماسكها و أهدافها و بناءها، و عليه أن يكون تأثيره في سلوك الجماعة و توجهيه لأعضائها في سبيل تحقيق الأهداف المنشودة.

هذا ما دفعنا إلى محاولة التناول العلمي لهدا الموضوع لمعرفة مدى تأثير السلوك القيادي على شخصية العمال داخل المنظمة، انطلاقا من محاولة الكشف عن السمات الشخصية للقائد وعن النمط القيادي الذي يتبعه في تسير الموارد البشرية وفهم سلوكياتهم، ومواقفهم اتجاه هذا النمط، ولهذا يجب أن يكون القائد قادرا على تحديد دوره ودور أتباعه وتكوينه في السعي لتحقيق الهدف أو السلوك الذي يحاول تنظيم العمل وعلاقاته وأهدافه.

الكلمات المفتاحية: أنماط، قيادة، شخصية، عامل، مؤسسة.

Abstract:

It is known that leadership is a set of behaviours and actions that affect people's activities to achieve the desired goals of an institution under certain circumstances. The effectiveness of leadership and success is reached in most positions that achieve harmony and requirements of the situation. The necessary leadership pattern, attitude and personality traits of the leader. The type of leadership in a particular case is only effective insofar as the leader can achieve the objectives and the expected results. The administrative manager must know his group and must share the roles to achieve his objectives he should have an impact on the behaviour of the group in order to achieve the desired objectives.

This is what prompted us to have a scientific approach on this topic to see the impact of leadership behaviour on the personality of workers within an organization. Our work is an attempt to disclose the personal characteristics of the leader and the type of leadership that the leader must adopt in displacing human resources and understand their behaviour and attitudes towards this model. A leader must be able to define his role and the role of his team and configure them for the pursuit of an objective or behaviour that attempts to organize work, relationships and goals
Keyswords :patterns(styles،) leadership، personality، organization.

مقدمة:

إن القائد الفعال الناجح لابد أن يتميز بالاتزان النفسي والانفعالي وهذا ما يشير إلى تمتعه بالصحة النفسية السليمة، في حين آن تميزه بالقدرة على الاتصال والتواصل والتفاعل مع الآخرين والتأثير فيهم والتأثر بهم يدل على توافقه الاجتماعي والقدرة على إقامة علاقات اجتماعية إنسانية مع أتباعه. فهو يركز على جانبين مهمين في الإدارة، الأول تحقيق أهداف المنظمة بشكل عام والتميز بإنتاجية مرتفعة، والثاني مراعاة مشاعر العاملين والعمل على تحقيق حاجاتهم الفردية وميولهم ورغباتهم، كما أن القائد الفعال يجب أن يتناسب سلوكه مع الموقف والمتغيرات البيئية المحيطة به داخل المنظمة وخارجها، ومع درجة تماسك الجماعة التي يقوم بقيادتها. وعلى هذا الأساس يستطيع القائد تحديد أفضل أسلوب يمكن أن يسلكه في إدارة مختلف الموارد التي تملكها المنظمة.

لدى فان التسيير الناجح للمؤسسة يعتمد على القائد وصفاته وعلى السلوك الذي يتبعه في تسير منظمته، ولكن هذا طبعا يختلف حسب طريقته في التسيير ودرجة التحكم في الأوضاع، وخلق المناخ عملي ملائم لأداء العمل... فكل قائد يمتلك شخصية معينة يريد إسقاطها على مهامه. فاختلاف شخصية كل قائد ترجع أساسا إلى الأهداف التي يريد تحقيقها، فيجسد ذلك من خلال توليه لمختلف المهام والمسؤوليات والسهر على إدارة موارده.

فالمورد البشري من بين أهم الموارد التي تملكها المنظمة، فمع ظهور الثورة الصناعية وكبر المصانع ما أدى إلى كثرة العمال، حيث واجه صاحب المصنع صعوبة في تسيير كل هذه الموارد، هنا أوكلت المهمة إلى القائد للقيام بعملية التسيير عوض صاحب العمل. فهذه المسؤولية خلقت نوع أخر من العلاقات اختلف اتجاهها من السلبي إلى الإيجاب حسب شخصية هذا القائد.

لذي يسعى كل قائد إلى تولي مسؤوليات وتحقيق أهداف وتنظيم عمليات التفاعل بين العمال والحفاظ عليهم وعلى تماسكهم وهذا ما ينمي شعور الولاء لديهم وتنمية روح الانتماء ويعملون على إنجاح منظمتهم وزيادة الإنتاج وعلى هذا الأساس ارتأينا في موضوع دراستنا هذه بالتركيز على إدارة السلوك القيادي داخل المنظمة ومدى تأثيرها على شخصية العمال.

حيث سنحاول في هذه الدراسة تناول العناصر التالية:

أولا: ما هية القيادة.

ثانيا: شخصية العامل.

ثالثا: تأثير النمط القيادي على شخصية العمال داخل المنظمة.

أولا : ما هية القيادة :

1.1مفهوم القيادة : :

لقد اختلفت وجهات النظر حول تحديد مفهوم القيادة، فليس هناك تعريف واحد محدد متفق عليه، ولهذا سنحاول تقديم أهمها:

يعرفها ريزيس ليكرت بأنها:" قدرة الفرد على التأثير على الأشخاص و توجيهم وإرشادهم لنيل تعاونهم وحفزهم للعمل بأعلى درجة من الكفاية من أجل تحقيق الأهداف المرسومة. [(1)]

كما يعرفها الدكتور أسامة خيري : "هي القدرة و الفاعلية و البراعة للقائد بمساعدة النخبة على تحديد الأهداف وترتيبها تصاعديا حسب أولوياتها، و اختيار الوسائل الملائمة لتحقيق هده الأهداف بما يتفق مع القدرات الحقيقة، وإدراك الإبعاد المختلفة للمواقف." [(2)]

2-1 خصائص القيادة:

في إطار ما سبق فان القيادة عي روح الإدارة، و طبقا لما يراه البعض و تتميز بمجموعة من الخصائص يمكن إجمال أهمها فمايلي :

- ❖ المهارات الذاتية والشخصية: ويقصد بها الصفات والقدرات اللازمة في بناء الشخصية للقائد من سمات جسدية والقدرات عقلية كالاستعدادات الفكرية والذهنية واهما الذكاء وضبط النفس وهي القوة المحركة للعمل حتى يتمكن القائد من صنع القرار واتخاذه دون تردد وبحسم وتوقع الاحتمالات ومواجهتها بهدوء.
- ❖ المهارات الفنية: وهي المعرفة المتخصصة في فرع من فروع العلم وتطويعها في كيفية التعامل مع الأشياء بسهولة بما يكفل تحقيق الهدف، بمعنى أخر قدرة القيادة على استخدام الوسائل العلمية والتكنولوجية لتحقيق الهدف المنشود.
- ❖ المهارات السلوكية: وتعني قدرة القائد على التعامل مع البشر بصفة عامة، وتابعيه بصفة خاصة والعمل على تنسيق جهودهم والعمل بروح الفريق، وقد ثبت أن هذا النوع يعد من المهارات الضرورية لنجاح أو فشل القادة في قيادة التنظيمات الحديثة.
- ❖ المهارات السياسية والإدارية: ويقصد بالأولى قدرة القائد على رؤية التنظيم الذي يقوده ومهارته في تبصر المصالح العام والأهداف العامة وما يتطلبه ذلك من ربط التنظيم الذي يقوده وسياسته من ناحية، وأهداف وسياسة النظام القائم. [(3)]

3-1 عناصر القيادة:

هناك أربعة عناصر أساسية ينبغي توافرها في أي موقف قيادي ׳ نتناولها فمايلي:

1-3-1 القائد:

يعتبر ركنا أساسيا في العملية القيادية ׳ويلعب دورا كبيرا في نجاحها. وبالرغم من أن دور القائد يختلف من عملية قيادية إلى عملية قيادية أخرى.

1-3-2: الأتباع:

يمثل الأتباع ركنا مهما في المواقف القيادية، وكلما زاد التوافق والانسجام بين أعضاء الجماعة. زادت فرصة نجاح العملية القيادية׳ بحيث يكون لدى أعضاء الجماعة خلفية عامة ومشتركة ׳ كالتقارب في المستويات التعليمية والعمرية والاجتماعية والاقتصادية ׳ويؤثر التابعون على سلوك قائدهم.

1-3-3 الهدف والموقف المناسب:

يجب أن يكون لدى أعضاء الجماعة هدف مشترك يعملون من اجل تحقيقه أو مشكلة مشتركة يسعون إلى إيجاد حل لها [(4)]

2-السلوك القيادي:

2-1 **مفهوم السلوك القيادي**: نظرا لقلة المراجع سنحاول تقديم مفهوم إجرائي حول السلوك القيادي والذي هو جملة من السلوكيات والإجراءات التي تؤثر في نشاطات الأفراد العاملين لتحقيق الأهداف المنشودة للمؤسسة في ظروف معينة.

2-2 **الدور السلوكي للقائد**: أجمعت الأبحاث على اعتبار أن السلوك القيادي يتمثل في تلك الأفعال أو الأعمال التي يؤديها القائد وترتبط وظيفيا بمايلي :

- تحقق أهداف وغايات الجماعة.
- صيانة وتعزيز قوة الجماعة وتماسكها.

أ- **الموجه نحو تحقيق أهداف الجماعة** وغاياتها على:

- تقديم الاقتراحات العملية البناءة.
- تقويم عمل الجماعة ورعاية تقدمها نحو الأهداف.
- الحيلولة دون أية أعمال غير منتمية للأهداف.

ب- تقديم الحلول التي تسهم في تحقيق تلك الأهداف

ت- **الموجه نحو الحفاظ على تماسك الجماعة** فيشمل كل ما من شأنه تلبية حاجات الجماعة مثل:

- حفز الأعضاء وتشجيعهم.
- التخفيف من حدة التوتر الذي ينشأ أو يتراكم في الجماعة لأي سبب.
- توفير الفرصة لكل عضو في الجماعة ليعبر عن رأيه.[(5)]

فعملية التحريك للجماعة والتأثير فيهم يستدعي استراتيجيات خاصة يتبعها القائد في تسيير أموره والتي تسمى بوسائل التأثير القيادي للسلوك حيث يتمكن القائد من التأثير في التابعين.

ج -دور الجماعة في إنجاح سلوك القائد:

حيث تلعب الجماعة دور كبير في نجاح السلوك القيادي للقائد، وسنحاول توضيحها في النقاط التالية:

- تفاعل الجماعة مع القائد ومساعدته على تنفيذه ما يخططه مما يصل بالجماعة إلى هدفها المنشود.
- استخدام اللباقة في استثارة اهتمام القائد مما يساعده على نجاحه وتحقيق مصلحة الجماعة.
- إدراك الجماعة أخطاء القائد ومواطن ضعفه حتى يمكن للجماعة توجيه وسد النقص لديه بلباقة تحقيقا لصالح الجماعة.
- على الجماعة تسوية المسائل البسيطة من تلقاء نفسها وتخفيف العبء عن القائد. (6)

رغم أن القائد الناجح هو الذي يساهم في نمو جماعته ′ويكسبها كثيرا من الخصائص المرغوب فيها ′ إلا وأن قدرات أفراد الجماعة ونوع العلاقة التي تربطهم وكذلك معتقداتهم وخصائصهم لها تأثير أيضا على العملية القيادية.

-2-3 صفات القائد الناجح: قام علماء النفس والاجتماع بدراسات عديدة للتعرف على الصفات الرئيسية للقيادة وقد أشارت تلك الدراسات إلى أن هناك بعض الصفات العامة التي تميز القادة عن غيرهم وأهمها هي: أن يتمتع بوسع الأفق وامتداد التفكير.

- أن يتمتع بطلاقة اللسان وحسن التعبير.
- أن يتمتع بقوة الشخصية والطموح.
- أن يتمتع بمستوى من الذكاء أعلى من مستوى ذكاء أتباعه (7)

فالبرغم من صعوبة تحديد صفات القائد الناجح بصفة عامة لان هذه الصفات ترتبط بطبيعة الموقف وبمتغيرات أخرى، ورغم وجود صفات متنوعة في القائد والتي تناولها سابقا والذي تحدد الكاريزما للقائد إلا أننا نجد كثيرا من القادة لا تتوفر فيهم هذه الصفات وهدا النوع موجود في القيادة الاجتماعية المختلفة ومصدر قيادتهم مبني على التقليد، فيكفي أن يكون الشخص لديه أسلوب الترفع والعظمة ليصبح له.

2-4 وسائل التأثير القيادي:

- المبادأة والابتكار والمثابرة والطموح، فالجماعة تنتظر من القائد أن يكون أكثر الأعضاء مبادأة في العمل وأكثرهم قدرة على الابتكار في المواقف الاجتماعية.
- التفاعل الاجتماعي: فالجماعة تنتظر من القائد أن يكون أكثر القائد مساهمة ونشاطا ايجابيا في التفاعل الاجتماعي وبدرجة أكبر من الوعي والذكاء الاجتماعي وتنظر منه أن يكون أكثر ودا واستجابة انفعالية
- السيطرة: فقد يكون لدى القائد رغبة أكثر من أعضاء الجماعة في السيطرة وعلو المركز والمكافئة الاجتماعية وتركيز السلطة والقوة في يده.
- التمثيل الخارجي للجماعة: وهنا يعمل القائد كممثل خارجي للجماعة، وكسفير لها لدى الجماعات الأخرى، والأفراد الآخرين خارج الجماعة.

- العلاقات العامة والتكامل: إن لعمل القائد على بسط العلاقات العامة الداخلية بين أعضاء الجماعة، لضمان سلامة التماسك الاجتماعي، ويعمل على تحقيق التكامل الاجتماعي في جماعته وعلى تخفيف حدة التوتر وجمع شمل الجماعة واحترام مبدأ القيادة الجماعية والعمل على تدعيمه.
- التخطيط والنظام والتنظيم: يستطيع القائد بالاشتراك مع أعضاء الجماعة بقدر أكبر من غيره في عملية التخطيط السلوك الجماعي للجماعة وتنظم هذا السلوك وتنسيقه وتوجيهه وتركيز انتباه الجماعة على الهدف.(8)

من خلال هذه الأساليب المتبعة لكل قائد، والتنوع في كيفية التسيير يولد نوع من الخصوصية للجماعة المتبعة والتي تعطي بصمة كل جماعة تتبع نوع قيادة معينة أو تابعة لقائد ما.

5-2النظريات السلوكية في القيادة:

في أواخر الأربعينيات وخلال الخمسينيات من هذا القرن العشرين تم إجراء دراستين واسعتين ' الأولى في جامعة ولاية ميتشغان ' بغية دراسة السلوك الفعلي الصادر عن القادة الأكفاء ' والناجحين. وتوصلت الدراسات إلى نتائج متشابهة لسلوك القادة 'والقيادة الفعالة. ويطلق اسم النظريات السلوكية في القيادة في الوقت الحالي على ما تفرع من هاتين الدراستين من نظريات تهتم فقط بدراسة السلوك الذي يؤدي إلى قيادة فعالة وناجحة.

أ- **دراسة جامعة ولاية أوهايو:** جمع الباحثون في جامعة ولاية أوهايو في قائمة واحدة مئات من تصرفات القادة باستخدام أسلوبي الملاحظة والتقرير الذاتي للقادة ومرؤوسيهم. ووجد الباحثون أن هذه القائمة المكونة من مئات التصرفات يمكن اختزالها بواسطة أسلوب التحليل العاملي إلى فئتين عامتين , هما التنظيم ' و المراعاة ة، و يعمل التحليل العاملي على فحص كيفية اتصال المتغيرات يبعضهما البعض ' ويجمعهما في فئات ذات معنى نسميها عوامل أو أبعاد.

العامل الأول: تنظيم تصرفات القائد أو نشاطاته التي يؤدي إلى تحديد العمل وترتيبه 'وتنظيمه. وقد يتطلب هذا تكليف كل فرد على حدة بواجبات محددة 'وإسناد أدوار محددة إلى جماعات العمل 'وانجاز الأعمال في أوقات محددة 'واتخاذ قرارات لها علاقة بالواجبات 'والحفاظ على مستويات معينة من جودة الأداء.

أما العامل الثاني: وهو المراعاة ' فيشير إلى سلوك يعبر عن الاهتمام بمشاعر المرؤوسين ' واتجاهاتهم ' وحاجاتهم عن طريق تطوير علاقات طيبة معهم ' ومعاملتهم باحترام ' وإظهار الثقة بهم ' ومثل هذه النشاطات تتضمن سؤال العاملين عن آرائهم واقتراحاتهم ' وإظهار الاهتمام بمشاعرهم ' وتشجيع الاتصال بينهم ومعهم 'الأمر الذي يؤدي إلى تدعيم مشاعر الثقة بالذات 'والرضا المهني 'وتنفيذ اقتراحاتهم.

وخلص باحثو جامعة ولاية أوهايو إلى أن هذين البعدين ' التنظيم والمراعاة 'مستقلان عن بعضهما البعض ' وأن درجة أحد القادة على أحدهما ' لا علاقة لها بدرجته على البعد الثاني. و هذا يعني أن كلا البعدين يرتبطان بالقيادة الفعالة ' ولكنهما لا يتعايشان معا ' بعبارة أخرى ' يتمتع بعض القادة الأكفاء بقدرة

تنظيمية عالية وحسب , أما البعض الأخر فيتصف بسلوك المراعاة في حين يتوافر في بعض القادة الجانبان معا.[9]

ب- **دراسة جامعة ميتشغان للقيادة:** في الوقت الذي كان فيه الباحثون في جامعة ولاية أوهايو يدرسون سلوك القادة ٬ بدأ عدد من الباحثين في جامعة ميتشغان بدراسة السلوك الذي يتميز به القادة الأكفاء أيضا ٬ وتوصلوا إلى نتائج متشابهة مع تلك التي توصل إليها الباحثون في جامعة ولاية أوهايو ٬ فقد توصل الباحثون في جامعة ميتشغان إلى أن القادة الأكفاء والناجحين يتصرفون عادة بطريقتين.

الطريقة الأولى أطلقوا عليها اسم الاهتمام بأداء الواجبات وفي بعض الأحيان اسم الاهتمام بالإنتاج، والثانية أطلقوا عليها اسم الاهتمام بالعلاقات أو الاهتمام بالعامل، ويبدو أن سلوك الاهتمام بالإنتاج يشبه فئة السلوك التنظيمي في تصنيف جامعة أوهايو ٬ فالمدير يهتم بوضع معايير للعمل ومراقبته ٬ وتحقيق أهداف العمل الإنتاجية ٬ كما ونوعا. لكن سلوك الاهتمام بالفرد ٬ الذي يشبه فئة سلوك المراعاة في تصنيف أوهايو ٬ يركز على الاهتمام بالعلاقات الإنسانية في موقع العمل عن طريق إظهار الاهتمام بالعامل ٬ ومشكلاته ٬ وإشراكه في عملية اتخاذ القرار.[10]

من هنا نستنتج أن النمطين ٬ التنظيمي والمراعاة – الاهتمام بالإنتاج والاهتمام بالعلاقات-فيهما قدر كبير من الثبات في وصف سلوك القائد فالنمطان يمثلان أنواعا متباينة من السلوك ٬ ومع ذلك فهما مرتبطان أو متصلان بالإدارة الفعالة والناجحة. فان وجود نمط سلوكي معين أو سمات شخصية معينة مميزة لجميع القادة الناجحين ٬ فان هذا التباين لا يمكن إن يكون ممثلا لسلوك مشرف واحد ناجح. لكن قد يكون هناك تفسير مقبول لهذا التناقض، فهناك متغيرات خاصة بالواجبات، مثل نوع العمل، أو سمات شخصية خاصة بمجموعة العمل تؤثر في تحديد ما إذا كان سلوك معين للمشرف فعالا أم غير فعال.

بعبارة أخرى ٬ قد يكون المدير أكثر ميلا إلى اهتمام بالواجبات ٬ أكثر نجاحا في مواقف معينة ٬ في ظل ظروف معينة، وربما يكون المدير ٬ الأكثر ميلا إلى الاهتمام بالعلاقات أكثر نجاحا وفاعلية في مواقف أخرى. وبالفعل ٬ أصبحت الدراسات – منذ دراسات أوهايو و ميتشيغان-تميل إلى فحص العلاقة والتفاعل بين القائد و الموقف.

6_2-أنماط القيادة على أساس السلوك القيادي المتبع:

1_6_2القيادة الديموقراطية:

المناخ الاجتماعي الديمقراطي يسود فيه إشباع حاجات كل من القائد والأعضاء ويسود الاحترام المتبادل وتحدد السياسات نتيجة المناقشات التي تجري بصورة جماعية والقرارات الجماعية كذلك تتوزع المسؤوليات والعمل يكون دائما مبني على مناقشة وقرار جماعي.

_القائد يشترك في مناقشة الجماعة ويشجع الأعضاء ويعاونهم ويوجههم ويحيط الأعضاء عاما بخطوات العمل والهدف التي تسع سأليه الجماعة لتحقيقه، ويترك حرية توزيع العمل بين الأفراد يكون موضوعيا ويشجع النقد والنقد الذاتي.

_السلوك الاجتماعي يميزه الشعور بالثقة المتبادلة بين الأفراد فيما بينهم، وبين الأفراد والقائد، ويسود الشعور بالراحة النفسية والاستقرار.

فالأسلوب القيادي المتبع هنا، إذا ترك القائد مكانه او تنحى كان الإنتاج والعمل والنشاط في غيابه مساويا لإنتاج والعمل والنشاط في حضوره

2_6_2القيادة الديكتاتورية:

القائد يحدد بنفسه السياسة تحديدا كليا ويملي خطوات العمل ويوجه النشاط ويحدد نوع العمل الذي يختص يه كل فرد ولا يشترك مع الجماعة اشتراكا فعليا إلا حين يعرض عملا من الأعمال كنموذج، ويعطي أوامر كثيرة تعارض رغبة الجماعة أو توقف نشاطا معينا لها لتحل محلة رغبته، "ويظل محور انتباه الجماعة ويهتم بضمان طاعة الأعضاء حتى لقد يعمل على انقسام الجماعة وتقبل الاتصال بين أعضائها لتحقيق ذلك".

الأفراد ينفذون خطوات العمل خطوة خطوة بصورة يصعب عليهم معها معرفة الخطوات التالية آو الخطة الكاملة، وليس لهم حرية في اختيار رفاق العمل يل يعين القائد العمل ورفاق العمل.

المناخ الاجتماعي استبدادي ديكتاتوري إرغامي تسلطي، والسلوك الاجتماعي يميزه الاعتماد على القائد وكثرة المنافسة وانعدام الثقة ويسود التملق والتزلف نع القائد ويسود القلق وانخفاض الروح المعنوية.

وفي الأسلوب القيادي المتبع هنا إذا ترك القائد مكانه أو تنحى حدثت أزمة شديدة تؤدي إلى انحلال الجماعة والهبوط بالروح المعنوية.

3_6_2القيادة الفوضوية:

القائد محايد لا يشارك إلا بحد ادني من المشاركة وإظهار الاستعداد للمعاونة ويترك الحرية للفرد وللجماعة وتعليقاته على العمل سطحية لا يحاول بها تنظيم مجرى العمل أو تحسنه ولا يمدح ولا يذم.

_المناخ الاجتماعي فوضوي، أي تمتع الجميع بالحرية المطلقة بلا قيود، فالأفراد يختارون الأصدقاء ورفاق العمل بحرية تامة.

وأخيرا في هذا الأسلوب القيادي المتبع، إذا ترك القائد مكانه أو تنحى فقد يكون الإنتاج في غيابه مساويا أو قل أو أكثر مما لوكان موجودا حسب ظروف التفاعل الاجتماعي.[(11)]

مما عرض سابقا نلاحظ أن هنالك اختلاف في الأساليب القيادية التي يتبعها كل قائد في تسيير موارده وهذا راجع لطبيعة القائد في حد ذاته، إن كان ديكتاتوريا أو ديمقراطيا أو فوضيا، إلا وأن الأهداف تبقى نفسها ألا وهي السعي إلى تحقيق الأهداف المنشودة للمنظمة والعمل على زيادة المنتوج.

ثانيا: شخصية العمال داخل المنظمة:

1-1مفهوم الشخصية:

يعد مفهوم الشخصية من أكثر المفاهيم علم النفس تعقيدا، لأنها تشمل الصفات الجسمية والعقلية والوجدانية كافة، المتفاعلة مع بعضها البعض داخل كيان الفرد، ولهذا تعددت الآراء وتباينت المفاهيم في معالجتها من حيث مفهومها وخصائصها ومكوناتها.

حيث أن فرويد يعرف الشخصية: "بأنها هي تنظيم نفسي أشبه بالبناء يتكون طبقة بطبقة، وترتكز طبقاته العليا على طبقاته السفلى إلى حد بعيد، لدى فان توكيد أثر خبرات الماضي وبخاصة خبرات الطفولة المبكرة في تكوين الشخصية. (12)

تعريف كاتل للشخصية فيرى: " بأنها هي ذلك التنظيم المتكامل من الخصائص المتميزة للفرد والعلاقة بين هذه الخصائص والتي تساعد الفرد على مواءمة نفسه مع الآخرين والبيئة من حوله."

يعرفها أيزنك:" بأنها ذلك التوازن الثابت والدائم إلى حد ما لطباع الفرد ومزاجه وعقله وبنيته الجسمية والذي تحقق توافقه الفريد لبيئته". (13)

والمفهوم الجيد للشخصية يجب أن يرتكز على عدة اعتبارات هي: التكامل، ويتضمن كون الشخصية ليست مجرد مجموعة الصفات التي تكونها وإنما الوحدة الناتجة منها، فقوة الشخصية تقاس بقدر ما يكون بين مكوناتها من تماسك وانسجام وتكامل، كذلك كما يجب أن تكون هناك دينامية: وهي التي تشير إلى أهمية التفاعل المستمر بين عناصر الشخصية وهي التي لا تتغير كثيرا على طول الزمن مثل هيئة الجسم والذكاء العام والاستعدادات المورثة.

من خلال ما سبق نستطيع القول بان الشخصية ليست مجرد النواحي الجسمية فحسب ولكن تتضمن أيضا النواحي الأخرى للشخص مثل أفكاره وأماله وميوله، ولدى لا يمكن دراسة شخصية الفرد منعزلا عن المجتمع الذي يحيط به، بل دراسته خلال تفاعله الاجتماعي مع بيئته التي يعيش فيها.

1 -2 مفهوم العامل:

تطلق كلمة العامل على المؤثر أو السبب في اقتصاد العمل الذي يبذل الجهد البدني أو العقلي في مجال النشاط الاقتصادي لإنتاج الخدمات والسلع الاقتصادية لغرض الاكتساب سواء كان القيام بهذا النشاط ذاتي وبصورة مستقلة بتوجيه إدارة الفرد أركان ذلك لحساب الغير وتحت توجيهه وإشرافه مقابل عوض معين.

ويطلق كذلك على كل من يقوم بعمل في مجال النشاط الاقتصادي لغرض الاكتساب آو الربح سواء كان باستخدام الجهد البدني آو العقلي فقط باستخدام ذلك مع رأس المال معا.

وهو من يؤجر عمله في مجال النشاط الاقتصادي لغرض التكسب للعيش سواء كان للمصلحة شخص معين باجر أو لمصلحة الغير دون تعيين غرض معين، مشروع لمدة معينة ويمارسه تحت إشراف أو لمصالح الغير آو من يقوم مقامه. (14)

1_3خصائص الشخصية ذات التأثير على السلوك في المنظمة:

مركز التحكم:

يشير إلى الاعتقاد الشخصي العام بالتحكم الذاتي في مقابل التحكم الخارجي فيما يحدث له. فالفرد الذي يعتقد بان لديه التحكم في أموره يعتبر داخلي التحكم ' وأما الفرد الذي يعتقد بان الظروف أو الناس الآخرين هم الذي يتحكمون في مصيره فيقال عنه بأنه خارجي التحكم.

تقدير الذات:

يشير إلى الشعور العام بقيمة الذات، فالفرد صاحب الدرجة العالية من تقدير الذات لديه شعور ايجابي عن نفسه ' ولديه إدراك بجوانب القوة وجوانب الضعف في شخصيته مع إعطاء أهمية أكبر لجوانب القوة. وهم أكثر رضاء وظيفيا ' ويتطلعون إلى وظائف ذات مستويات عالية ' وفرق العمل التي تشكل منهم تكون أكثر نجاحا.

الكفاية الذاتية:

تدل على إدراك الفرد لقدرته وفعاليته في مواجهة أحدث الحياة. والأفراد ذو الدرجة العالية من الكفاية الذاتية يعتقدون بان لديهم القدرة على أداء المهام المطلوبة منهم ' لديهم الإمكانية لبذل الجهد المطلوب للإنجاز ' وبإمكانهم التغلب على أية صعوبة يمكن إن يوجهها.

الضبط الذاتي:

يشير إلى المدى الذي يبني الفرد سلوكه على التلميحات أو المؤشرات التي تصله من الآخرين أو المواقف. فذوي الدرجة العالية من الضبط الذاتي يضعون بالاعتبار خصوصية الموقف وطبيعة سلوك الآخرين ويبنون تصرفهم على هذا الأساس ' عكس ذوي الدرجة المنخفضة من الضبط الذاتي الذين يعتمدون على ما تمليه عليهم حالتهم الداخلية وليس المواقف. ولذا فسلوكهم متسق عبر المواقف ' وبالإمكان التنبؤ به.

الحالة الوجدانية:

ترتبط بالاستعداد المزاجي للفرد ' حيث أن أصحاب الحالة الوجدانية الايجابية هم اقل تغيبا في العمل ' أقدر على مواجهة ضغوط العمل وأكثر تعاونا مع الآخرين، ويرى المتخصصون في السلوك التنظيمي بان هناك الحاجة إلى الحصول على إجابات تتعلق بالعناصر أو العوامل التي من شانها المساهمة في إيجاد حالة وجدانية ايجابية في مكان العمل.(15)

ثالثا : تأثير السلوك القيادي على شخصية العمال داخل المنظمة

عند تطرقنا للفرد و لشخصيته قلنا انه لا يجب عزل الفرد عن مجتمعه وذلك لتحقيق الانسجام والتفاعل الاجتماعي إذ يعتبر هذا الأخير وسيلة الاتصال الأساسية بين أفراد الجماعة، إذ عن طريقه يتم التواصل بين الأفراد في سبيل حركة الجماعة،فبذلك يتميز التفاعل الذي ينشأ بين أفراد المجموعة بالتنبؤ، فإذا قام الفرد بأداء معين داخل الجماعة فإنه يتوقع الاستجابة بالقبول أو الرفض من بقية أعضاء الجماعة لما قام به من سلوك، وقد يتوقع أيضا الفرد الثواب أو العقاب و يكون توقعه مبنيا عنى أساس الخبرات السابقة أو على أساس القياس بالنسبة لأحداث متشابهة في إطار القاعدة القيمة التي تسود الجماعة، أنه في جميع الحالات لما يتوقع الفرد استجابة معينة ثم يفاجئ باستجابة مقابلة فإن ذلك يزيد

من معدل التفاعل الاجتماعي و الذي يساعد في إعطاء الفرصة للأفراد لكي يتميز كل منهم بشخصيته، و هذا يعتبر نزوعا طبيعيا، كما أن الجماعة بحكم تكوينها الديناميكي فذلك يساعد على إتاحة مثل هذه الفرص.

و لهذا يبقى التفاعل الاجتماعي من أهم العناصر للعلاقات الاجتماعية التي تختص في الجماعة، ووحدة شخصياتها المتفاعلة و الذي يتم التوقع من قبل الأفراد و أيضا من خلال إدراك الدور الاجتماعي و سلوك الفرد في ضوء القيم و المعايير السائدة في المجتمع، و الذي يعمل على تدعيم الاستمرارية و التواصل في بناء العلاقات و تحقيق التكامل و الانسجام حينما يشعر الفرد بالانتماء إلى المجموعة التي يتفاعل معها فيها مما يساعده على الشعور بالراحة و الاطمئنان في المحيط الذي يكون فيه مما سيدفعه جاهدا للعمل على تقديم أحسن ما لديه من قدرات ومعارف و يعمل على تطويره و تقدمه.

فمن خلا ل ما ورد سابقا و ما تعرضنا إلى ذكره نستطيع إسقاط هذا الانسجام و التكامل في العلاقات التي يقوم بها الفرد، و التفاعلات على مكان عمله حيث أن العمل هو جزء معلوم من حياته، وبمرور الوقت داخل هذا العمل يتشكل لدى كل فرد مجموعة من المعتقدات والمشاعر حول هذا العمل، وهذا ما يطلق عليه بالرضا عن العمل، ويبدأ الأمر بقيام كل فرد بتكوين حصيلة من المعرفة والمعلومات والخبرات حول هذا العمل، وبناء عليها يتشكل وجدانه ومشاعره ناحية عمله، الأمر الذي يحركه في النهاية إلى أن يتصرف سلوكياً بشكل معين قد يظهر في أسلوب تعامله مع الزملاء، وفي غيابه، وتأخيره، وتركه للعمل، وطريقة احترامه لرئيس وأنظمة العمل. فالفرد الراضي عن وظيفته أو مهنته يقبل عليها في همة ونشاط ويكون سعيداً بها مما يزيد من كفايته الإنتاجية، أما عدم الرضا عن المهنة فينتج عنه سوء تكيف، غير متوازن انفعالياً ويظهر الكثير من مظاهر الضجر والملل والاستياء والإحباط. و بالتالي يجب عليه تكوين علاقات ليحقق تفاعله خاصة إدا كان فيه اتصال بينه و بين الإدارة بصفة عامة و بين مرؤوسه و زملاء عمله بصفة خاصة حيث من خلالها يشعر الفرد أو العامل بوجود تلك الصلة والترابط مما يساعده على تحقيق الانسجام، إذ يعتبر العامل كوحدة و كجزء من المؤسسة، فينمي لديه مشاعر الألفة و التأقلم و التكيف مما ينمي روح الانتماء والتبادل الرمزي و المعنوي و الشعور بالولاء و الذي يتكون خلال فترة زمنية تتماشى معها الخبرة المهنية و التحكم في تقنية معينة، وعلاقات العمل و التي تكون بتبادل الخبرات و الآراء و الأفكار من هنا نكون أمام ما يسمى بالتكوين أين الشخص يقوم بتكوين نفسه و بتنمية مهاراتها وتطويرها، كذلك زيادة قناعاته بان نجاحه مرتبط بنجاح المؤسسة.فالمعروف عليه أن العامل داخل المنظمة التي ينتمي إليها يقوم بسلوكيات معينة ترمي إلى تحقيق أهداف مؤسسته كزيادة المنتوج و الازدهار و التطوير، دون أن ننسى تحقيق أهدافه الشخصية كتحقيق ذاته و تطوير مهاراته باعتباره عنصر بشري مهم داخل منظمته، كما عليه القيام بدور معين يعكس وظيفته داخل المنظمة و هذا ما يسمى بتوزيع الأدوار و الذين يكون بين أعضاء الجماعة ويحقق و وظيفة اجتماعية ويشبع حاجة نفسية لفائدة الجماعة منبعها الشعور بالحاجة إلى التقدير و إلى الإنجاز والتفاعل الاجتماعي، كذلك توزيع الأدوار يساعد الجماعة على الوصول إلى هدفها عن طريق تحقيق مطالب الجماعة التي تتطلب أن يقوم كل فرد بدوره على أساسا تخصصه واكتسابه

لمهارات معينة ، فالأدوار تتوزع في نسق نعترف به غالبا من أعضاء الجماعة فنجد أفراد معينين هم الذي يحق لهم لوحدهم اتخاذ القرارات ووضع السياسات و إصدار الأوامر، و ذلك بسبب تخصصهم في مهارات معينة لا يجيدها أعضاء آخرون أو بسبب حصولهم على مؤهلات أخرى،واعتمادا على أساليب القيادة المختلفة التي يتبعها القائد وكيفية التعامل مع عماله من استخدام السلطة عليهم، وعدم ترك مجال للتفهم في أمور المنظمة أو اتخاذ قرارات في مواقف، و منهم من يكون لين في تعامله معهم و يعطي لمرؤوسيه فرصة التعرف على حيثيات القرار، كما يشاركهم في تسطير أهداف المنظمة، و تكون هناك عملية تفاعل، كما يكون على دراية بمشاكلهم و يحاول تقديم حلول أو تقديم حوافز معنوية كانت آو مادية تعمل على دفعهم إلى زيادة مستوى أدائهم، وكل هذا يرجع بالفائدة على صالح المنظمة مع العلم أن الأسلوب القيادة هو كذلك يحقق أهداف المنظمة و لكن الاختلاف يكمن في كيفية التسيير.

لهدا فإن لسلوك القائد أهمية كبيرة على العامل. حيث نجد أن النوع الأول من القائد يجعل اهتمامه هي نشاطات المنظمة وأهدافها أهم من الموارد البشرية عكس القائد من النوع الثاني الذي يسعى إلى إرضاء عماله وإعطائهم الأولوية في تحقيق رغباتهم وتحفيزهم وبالتالي يعود على مرد ودية المنظمة.

كما يحدد الدور الاجتماعي سلوك الفرد الذي يتوقعه الآخرون فإنه يحدد سلوك الآخرين الذي يتوقه الفرد بحكم قيامه بهذا الدور فمثلا نجد القائد يتوقع عماله منه أن يزودهم بالمعارف و المهارات الإشراف على مهامهم وعلى تسيير أمورهم و أن يكون لهم قدوة حسنة، كذلك هو أيضا ينتظر منهم أن ويحترموه و يحسنوا الإصغاء إليه و يعطوه حقه من التقدير وتنفيذ أوامره، وهذا راجع إلى الصفات القيادية الناجحة التي تتمثل في شخصيته وقدرته على توظيف إمكانياته نحو العمل البناء من اجل بناء علاقات إيجابية بين العاملين و تحفيزهم على العمل المستمر، فكل هذه الظروف ترمي إلى زيادة أداء الدور للعمال و الجعل منهم أعضاء فاعلين ونشيطين داخل المؤسسة، ولهذا فالقائد له تأثير كبير داخل المؤسسة في تسيير الأمور الإدارية و عمليات التفاعل بين العمال

-خاتمة:

تبقى أهمية السلوك القيادي تركز على سلوكيات العامل المختلفة بما فيها أداء دوره الذي يمليه عليه المنصب الذي وجد من اجله بالإضافة إلى التفاعل مع زملائه داخل المنظمة و بناء علاقات إنسانية فيما بينهم وهذا ما يرفع من معنويات العامل و ينمي روح الانتماء لديه و الشعور بالولاء داخل هذه المنظمة هذا ما يخلق جو عملي ملائم للعمل ويعود بالإيجاب عل تسهيل في تسير أمور المنظمة و كيفية إدارة مواردها و هذا حسب النوع القيادي الذي يسلكه القائد مع أتباعه و كيفية التواصل معهم و التفاعل بهدف تحقيق الأهداف المنشودة للمنظمة و السعي على إنجاحها حيث أن نجاح المنظمة مرهون بنجاح تفعيل العنصر البشري وتحسين أدائه, وبجانب هذه الأهمية يجب أن نعترف بصعوبة إدارة السلوك القيادي, وذلك لتعدد المتغيرات التي تؤثر في هذا السلوك من ناحية, ولعدم استقرار هذه المتغيرات المؤثرة فيه من ناحية أخرى.

5-قائمة المراجع:

1- د.أسامة خيري-(2012)الجديد **في القيادة الإدارية**،(د/ط)، عمان الأردن، دار الراية للنشر والتوزيع،.

2- د.حسين حريم(2009) -**السلوك التنظيمي** (سلوك الأفراد و الجماعات في منظمات الأعمال)،(ط3)، دون بلد، دار الشروق للنشر و التوزيع.

3- د.خليل عبد الرحمن المعايطة (2010)**علم النفس الاجتماعي**، (ط3)، عمان، الأردن دار الفكر للنشر وال توزيع.

4- جمال الدين محمد مرسي(2006)-إدارة الثقافة التنظيمية و التغيير، (دط)،الإسكندرية،مصر،الدار الجامعية،

5- د. صالح محمد على أبو جادو(د.س)-سيكولوجية **التنشئة الاجتماعية**، (د/ط)، عمان الأردن، دار المسيرة،.

6- أ.د سهير كامل أحمد(2004) -**سيكولوجية الشخصية** (د/ط)، مصر، مركز الإسكندرية،

7- د شقيق رضوان(2008)-علم **النفس الاجتماعي** (ط2)، بيروت، لبنان، مجد المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع،

8- رونالدي ريجيو، ترجمة فارس حلمي (1999) **المدخل الى علم النفس الصناعي والتنظيمي** (ط2)، عمان الأردن، دار الشروق للنشر وال توزيع.

6- الهوامش:

(1) (حريم،2009،ص 195).

(2) (خيري،2012،ص102).

(3) (نفس المرجع،ص ص17،18).

(4) (أبوجادو،دس،ص ص167،168).

(5) (المعايطة،2010،221).

(6) (رضوان،2008،244).

(7) (أبوجادو،مرجع سابق،ص170).

(8) (أبوجادو،نفس المرجع،ص ص 169،170).

(9) (ريجيو،1999،ص ص 413،414).

(10) (ريجيو،نفس المرجع،ص ص،416،417).

(11) (رضوان،مرجع سابق،ص-ص222،224).

(12) (أحمد،2004، ص307).

(13) (أحمد،نفس المرجع،ص402).

(14) (محمدمرسي،2006،ص15).

(15)(المعايطة،مرجع سابق،ص168.

الجودة في الكشف المبكر

عن صعوبات التعلم داخل الصف المدرسي

د.مباركة خليفة –أ. حورية لحامة
جامعة لونيسي علي – البليدة 2-

ملخص:

يعد الطفل اللبنة الأساسية في بناء أي مجتمع وأي أمة، لاسيما إن كان هذا الطفل يمثل دور التلميذ المتمدرس - في إطاره العادي وحقه المشروع- ولهذا أصبح من الاهتمامات الكبيرة للدول المتقدمة ما يعرف بجودة التعليم في المدارس وذلك على جميع الأصعدة وشتى المجالات، وقد انصب محور الاهتمام في هذه المداخلة حول الجودة في تشخيص المشكلات المعرفية داخل الصف على وجه الخصوص مشكلة صعوبات التعلم التي باتت محل استفهام أمام الباحثين في ذات السياق حول ماهية أسبابها وإيجاد الطريقة الأنجع للتمكن من التشخيص المبكر لها داخل الصف المدرسي وذلك قبل تفاقم المشكلة وتطورها.

الكلمات المفتاحية: الطفولة- صعوبات التعلم- التشخيص المبكر.

Abstract:

The child is the main building block of any society and any nation, especially if this child represents the role of the student in the school - in its normal framework and legitimate right - so it became a major concern of developed countries what is known as the quality of education in schools at all levels and various areas, Attention in this intervention on quality in the diagnosis of cognitive problems in the classroom in particular the problem of learning difficulties, which have become a question before researchers in the same context on the causes and finding the most effective way to be able to early diagnosis within the classroom before the problem and the development.

Keywords: childhood - learning difficulties - early diagnosis.

مقدمة:

باتت ظاهرة الصعوبات التعلمية من الظواهر المتداولة بشكل متواصل في الأوساط التربوية في الآونة الأخيرة، وقد صار الاهتمام بها يتزايد بشكل ملحوظ مع تزايد الوعي تجاه أهمية اكتشافها ومعالجتها، في الأجيال المبكرة على قدر الإمكان، لما لها تأثير كبير على الطلاب من النواحي الاجتماعية والتعليمية، إضافة إلى الأبعاد

النفسية التي تتركها على الأطفال، لذلك فإن هذه المداخلة تبحث في أهمية الكشف المبكر عن ذوي صعوبات التعلم التي تبدأ بمرحلة ما قبل الروضة وتستمر إلى المرحلة الابتدائية.

هذا وقد تم تسليط الضوء على الأسس التطورية للمهارات المختلفة لدى الأطفال، لكونها المرجعية التي من خلالها تتم المقارنة ما بين المراحل الطبيعية والصعوبات التطورية التي قد تشير إلى وجود الصعوبات التعلمية لاحقًا، إضافة إلى التعريج على أهداف التشخيص المبكر وكذا مراحله للوصول إلى أهمية هذا التشخيص المبكر.

الإشكالية:

تزايد الاهتمام بصعوبات التعلم، وخاصة بعد إدراجها ضمن الفئات الخاصة، فأجريت دراسات وبحوث عديدة ، اهتم بعضها بالجانب الأكاديمي، بينما اتجه الآخر نحو خصائص شخصيات ذوي صعوبات التعلم، في شتى جوانب نموها، ذلك أن ذوي صعوبات التعلم يمثلون مشكلة نفسية تربوية واجتماعية، تؤثر في الفرد، وعلاقته بالآخرين من أفراد أسرته، وزملائه، نظرا لعدم مقدرة البعض منهم في التعبير عن مشاعره، لذا قد ينتج عن ذلك بعض من الاضطرابات النفسية التي تؤثر فيهم.

إن الأنماط التربوية التي تتبعها الأسر في تنشئة أطفالها إذا لم تكن سليمة فإنها قد تؤدي إلى وجود اضطرابات نفسية أو سلوكية لدى الأطفال، ومن هذه الأساليب، الحماية الزائدة والدلال، والتوقعات العالية، أو المتدنية، والتمييز بين الإخوة ، والتجاهل، والرضا، والقسوة الزائدة ، وحرمان الطفل والمراهق من مشاعر الحب والحنان(العزة، 2002: 24).

وتلعب المؤثرات الأسرية والاجتماعية دورا في تطور المشكلات السلوكية أو النفسية، لذا يبرز الدور التربوي للآباء والمعلمين والأخصائيين وكذلك الأطباء النفسانيين للتوجيه والإرشاد والعلاج من خلال البرامج التوجيهية والعلاجية للتخفيف مما يعانيه الأطفال والمراهقين جراء الاضطرابات الانفعالية أو النفسية إن وجدت، وتحقيق اكبر قدر من التوافق النفسي والاجتماعي (خلف الله، 2004: 533).

ومن هنا فإن عملية التشخيص المبكر يلعب دورا هاما مع الأطفال الذين يتواجدون في مرحلة المدرسة الابتدائية أو ما قبل ذلك، ممن لديهم إعاقة معينة أو لديهم احتياجات خاصة يمكن لها أن تؤثر على تطورهم الطبيعي كباقي الأطفال في مثل جيلهم، وذلك من أجل التدخل المبكر لتقديم خدمات ومساعدات للطفل ولذويه، للحد من تفاقم الإعاقة في المستقبل، ويمكن لهذه الخدمات أن تكون وقائية تمنع إمكانية حدوث الإعاقة، أو علاجية تقلل من تأثيراتها في أقرب وأسرع وقت ممكنين ومن هنا فإن السؤال المطروح كيف يكون هذا التشخيص وفيما تكمن أهميته مع ذوي صعوبات التعلم؟

تحديد المفاهيم:

1 - مفهوم الطفولة: Childhood Definition

هي تلك الفترة المبكرة من الحياة الإنسانية التي يعتمد فيها الفرد على والديه اعتماداً كلياً فيما يحفظ حياته، ففيها يتعلم ويتمرن للفترة التي تليها وهي ليست مهمة في حد ذاتها بل هي قنطرة يعبر عليها الطفل حتى النضج الفسيولوجي والعقلي والنفسي والاجتماعي والخلقي والروحي والتي تتشكل خلالها حياة الإنسان ككائن اجتماعي.

2 - مفهوم صعوبات التعلم: Learning Disabilities

قدمت فردوس الكنزي (2008: 23) تعريفا لصعوبات التعلم ينص على أن صعوبات التعلم هو مصطلح يطلق على أولئك الذين يعانون من وجود صعوبة أو أكثر في العمليات العقلية، وفي التحصيل، ولا يستطيعون الإفادة من الأنشطة التعليمية داخل الفصل العادي، ولا يشمل هذا المصطلح الإصابات المخية، والإعاقات العقلية، والسمعية، والبصرية، والحركية (إبراهيم، 2010: 30).

3 - مفهوم الكشف المبكر: Le dépistage précoce

1- التعريف اللغوي:

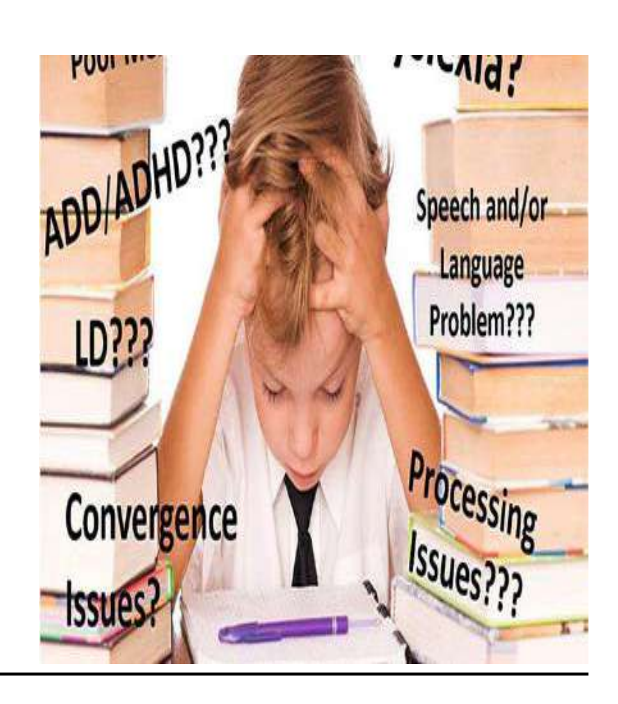
الكشف المبكر: كلمة مركبة تتكون من:

-الكشف : كشف الشيء و كشف عن الشيء ومعنا أظهره ورفع عنه ما يواريه

-المبكر : من مبكرا و يعني ما يأتي غدوة أي في بداية الشيء (المنجد 1982).

2- التعريف الاصطلاحي:

يقصد بالكشف المبكر ذلك **الإجراء التربوي الوقائي** الذي يهدف إلى تحديد، في مرحلة الطفولة المبكرة، الجوانب غير المتطورة أو نواحي القصور لدى التلميذ الأكثر عرضة لصعوبات تعلم القراءة مستقبلا (الزياد، 2004).





الدراسات السابقة:

تناولنا في هذه الورقة البحثية أهم الدراسات السابقة التي اهتمت بالكشف المبكر من خلل المؤشرات السلوكية و أخرى بالعلامات النيورولوجيا، التي ركزت على قصور السيرورات المعرفية الأساسية للتعلم عامة و لتعلم القراءة خاصة كمؤشرات عن احتمال تعرض الأطفال الذين يعانون منها إلى صعوبات القراءة مستقبلا ونذكر منها:

1 - دراسة محمد وكمال (2005):

وهدفت إلى التعرف على إمكانية التنبؤ بصعوبات التعلم الأكاديمية اللاحقة لأطفال الروضة، وذلك من خلال العلاقة الناشئة بين المهارات قبل الأكاديمية (التعرف على الحروف، الإدراك الفونولوجي للكلمات، التعرف على الأعداد، التعرف على الألوان، التعرف على الأشكال) وصعوبات التعلم الأكاديمية، وقد تألفت عينة الدراسة من (40) طفلا مقسمين إلى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى تضم (10) أطفال يعانون من قصور في المهارات قبل الأكاديمية، الخاصة بالوعي والإدراك الفونولوجي، والتعرف على الحروف، والمجموعة الثانية تضم أيضا (10) أطفال ممن يعانون من قصور في مهارة التعرف على الأرقام والأشكال، أما المجموعة الثالثة فقد ضمت (20) طفلا من الأطفال العاديين، وقد أسفرت الدراسة عن العديد من النتائج أبرزها وجود علاقة بين المهارات قبل الأكاديمية وصعوبات التعلم اللاحقة، وكذلك إمكانية التنبؤ بصعوبات التعلم الأكاديمية من خلال تحديد القصور بهذه المهارات.

2 - دراسة عادل عبد الله محمد (2006):

تناول الباحث بالدراسة مستوى بعض المتغيرات المعرفية (الانتباه، الإدراك و الذاكرة) لدى أطفال الروضة وعلاقتها بقصور المهارات قبل الأكاديمية كمؤشر لصعوبات التعلم، وقد أجرى دراسته على 30 طفل بالسنة الثانية بالروضة قسموا إلى ثلث مجموعات متساوية،حيث تعاني الأولى من قصور في المهارات قبل الأكاديمية (الوعي الفونولوجي و التعرف على الحروف)، بينما تعاني الثانية من قصور في التعرف

(على الأرقام والأشكال) وتضم الثالثة أطفال عاديين.طبق عليهم مجموعة من الاختبارات لقياس المهارات قبل الأكاديمية وأخرى لقياس المتغيرات المعرفية بالإضافة إلى مقاييس الذكاء واختبار المسح النيورولوجي للتعرف على ذوي صعوبات التعلم.و توصل الباحث إلى أن أطفال الروضة المعرضين إلى لصعوبات التعلم يتأخرون عن أقرانهم العاديين في مستوى النمو العقلي المعرفي عامة، كما يتسمون بقصور في الانتباه و الإدراك و خصوصا التناول البصري و السمعي للمثيرات و الذاكرة قصيرة وطويلة المدى.

3 - دراسة محمد (2006ب):

واستهدفت دراسة محمد (2006 ب) تعرف مستوى النمو العقلي المعرفي عند (30) من أطفال الروضة، قسموا إلى ثلاث مجموعات كل مجموعة تتألف من (10) أطفال، مجموعة تعاني من قصور في

المهارات قبل الأكاديمية الخاصة بالوعي والإدراك الفونولوجي والتعرف على الحروف، والمجموعة الثانية ممن يعانون من قصور خاصة بمهارة التعرف على الأرقام والأشكال، أما المجموعة الثالثة فهي من الأطفال العاديين، وقد أسفرت الدراسة عن العديد من النتائج أبرزها عدم وجود فروق في مستوى النمو العقلي المعرفي بين المجموعة الأولى والمجموعة الثانية، كما أسفرت النتائج عن وجود فروق بين المجموعة الثالثة والمجموعتين الأولى والثانية لصالح المجموعة الثالثة في مستوى النمو العقلي المعرفي.

4 – دراسة أحمد (2014):

هدفت إلى التعرف على المتغيرات المعرفية لتلاميذ المرحلة الابتدائية ذوي قصور المهارات قبل الأكاديمية كمؤشر لصعوبات التعلم، وذلك عند (60) تلميذاً من تلاميذ الصف الأول الابتدائي بمدينة الخرج بالمملكة العربية السعودية، بينت وجود فروق بين التلاميذ العاديين والتلاميذ المعرضين لخطر صعوبات التعلم ممن يعانون من قصور في المهارات قبل الأكاديمية في المتغيرات المعرفية، ووجود علاقة بين المتغيرات المعرفية والمهارات ما قبل الأكاديمية.

5 – دراسة الظفيري والصانع (2014):

التي هدفت إلى التعرف على علاقة بعض المتغيرات الديموغرافية (الجنس، المنطقة التعليمية، الجنسية، عمل الأم، المستوى التعليمي للأم، المستوى التعليمي للأب، الدخل الشهري، نوع السكن، الحالة الاجتماعية للوالدين) بنسبة انتشار صعوبات التعلم النمائية، عند (57) طفلا من أطفال مرحلة الرياض، يعانون من صعوبات تعلم نمائية، بينت عدم وجود اختلاف في نسب انتشار صعوبات التعلم النمائية يعزى لهذه المتغيرات.

6 – دراسة الظفيري والكندري (2015):

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف أداء ذوي صعوبات التعلم النمائية في بيئة تعليمية تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وذلك عند عينة بلغ قوامها (858) من أطفال الرياض بدولة الكويت، بينت قدرة مجتمع المعرفة على الكشف عن حالات صعوبات التعلم النمائية والحالات المشابهة لها.

-7 دراسة (Cathrine Billard et al 2000):

قام بهذه الدراسة فريق عمل متعدد التخصصات من أجل إعداد بطارية اختبارات مقننة تسمح للمختصين في مجال الصحة تحديد القصور المعرفي لدى الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 4 و 9 سنوات كطريقة للكشف المبكر عن صعوبات اللغة الشفهية و المكتوبة تتكون هذه البطارية التي أطلق عليها اسم "La brev" من 18 اختبارا فرعيا تقيس: اللغة، الوظائف غير اللغوية و المهارات الأكاديمية، وتسمح بحديد بدقة القصور المعرفي و ذلك من المنظور النفس-عصبي أن بطارية الاختبارات موجهة إلى الأطباء و الأرطفونيين من أجل الكشف و التدخل المبكرين لتقديم الخدمات العلاجية.

8 – دراسة ريفر (Rever,2003):

واستهدفت دراسة ريفر(Rever, 2003) التعرف على العلاقة بين النمو العاطفي والاستعداد المدرسي عند أطفال ما قبل المدرسة في ولاية مينيسوتا، وقد أسفرت الدراسة عن وجود علاقة طردية بين النمو العاطفي والاستعداد المدرسي والتحصيل المدرسي الجيد في المستقبل .وتبين الدراسات السابقة التنوع في الدراسات حول أطفال الروضة كدليل على أهمية هذه المرحلة وحساسيتها.

يتبين لنا من خلال عرضنا لهذه الدراسات أهمية الاستعداد المدرسي لدى أطفال هذه المرحلة، كما تبين الدراسات أيضا وضع الأطفال الذين يعانون من مشكلات في هذه المرحلة واحتمال إصابتهم بمشكلات مستقبلية كصعوبات التعلم أو غيرها، ومن كل هذه الدراسات وغيرها يمكن أن ينظر إلى مشكلة الدراسة الحالية وأهميتها وكذا مدى أهمية الكشف المبكر عن ذوي صعوبات التعلم من أجل التدخل الناجع.

1 - الأسس التطورية لمهارات الأطفال في المراحل المبكرة:

تقترن ظاهرة الصعوبات التعلمية بالطفولة المبكرة عادة، بمدى معرفة الأخصائيين والأهل والمعلمين، بالمراحل التطورية الأساسية لدى الأطفال، ومن خلال المقارنة ما بين المهارات المتوقعة لكل فئة عمرية، والمهارات الموجودة لدى الطفل يمكن التعرف على مهارات الاستعدادية لديه، إن عملية التعلم لدى الأطفال تبدأ عند الطفل من خلال البيئة المحيطة ومن خلال جمع المعلومات والتجارب من الأفراد المحيطين والظواهر المرافقة للأحداث الاجتماعية والطبيعية على كافة أشكالها .

يعمل الطفل على تنظيم المعلومات وتخزينها بالدماغ بطرق عدة، بهدف الاستعانة بها أو استخدامها عند الحاجة أو في المواقف الشبيهة التي تتطلب المعالجة بواسطة المعطيات المخزنة، حيث يقوم بمقارنة المعلومات المخزنة بالتجارب الجديدة وعقد مقارنات ما بين المتشابه والمختلف مستعينًا بالخبرات السابقة . عندما تكتمل هذه المراحل الذهنية، يتصرف الطفل بطريقة توحي للمحيطين بأنه قد تعّلم مهارات جديدة ويمكنه التقدم للمراحل القادمة بالسلم التطوري. بشكل عام يمكن التنبؤ بحدوث المهارات التطورية لكل طفل مسبقًا بناء على التجارب الكثيرة التي تؤكدها الأبحاث والعلوم الإنسانية المتعلقة بالأطفال .مثلا الزحف والوقوف والمشي والكلام لدى الأطفال مهارات يمكن تخمين وقت حدوثها، والعمل على تحفيزها لدى الطفل . حيث يطلق على هذه المهارات بالأسس التطورية أو السلَّم التطوري (milestones developmental)، وبالرغم من أن بعض الأطفال لا يصلون إلى جميع المهارات التطورية بنفس الوقت، إلا أن هناك إطارًا زمنيًا عامًا متوقعًا، يجب الوقوف عليه لكل مهارة عند الطفل (National Center for L. D., 2003).

تعتبر النقاط التالية من الأسس والمهارات التطورية للأطفال في المراحل المبكرة، ويتم العمل على مراقبتها من خلال جداول السلَّم التطوري للطفولة المبكرة، ومن أهمها:

1 - التآزر الحركي العام : المهارات الحركية الغليظة والدقيقة، القفز، الحجل، الوثب، القذف والقبض، والرسم وبناء أبراج من أشكال مختلفة.

2 - مهارات اللغة (فهم اللغة استخدامها) :التعبير والاستقبال اللغوي.

3- المهارات الذهنية العليا :إدراك والتفكير، والمنطق، وحل المشاكل، والفهم والإصغاء والتركيز.

4- التفاعل الاجتماعي، كالمبادرة في الاتصال بالآخرين، واللعب الجماعي .إضافة إلى السلوك والضبط الذاتي : مثل الاندفاعية، انتظار الدور، تحمل الإحباط.

5- العناية بالذات : ارتداء الملابس، وتناول الطعام وغسل الوجه واليدين أو الجسم (L. D. Association, 2002e).

2 - أهداف تشخيص صعوبات التعلم:

يمكن حصر الهدف من تشخيص الأطفال ذوي صعوبات التعلم في النقاط الآتية:

1 - الكشف عن نقاط القوة ونقاط الضعف لدى الفرد.

2 - الكشف عن المشكلات النمائية لدى الفرد: (العجز في الانتباه، والتفكير، والذاكرة، والإدراك، واللغة).

3 - تمييز الأطفال الذين يعانون صعوبات التعلم عن الذين يعانون إعاقات أخرى.

4 - المساعدة في الوقاية من خطر تفاقم المشكلات الناتجة عن صعوبات التعلم (التدخل المبكر).

5 - تحديد الأطفال الذين يعانون صعوبات تعلم دراسية (أكاديمية)، وتحديد نوع الصعوبة التي يعانونها (القراءة، والحساب.)

6 - مساعدة التربويين في وضع البرامج العلاجية.

7 - أن التشخيص يساعد الباحثين في الفهم الدقيق والعميق لمشكلات صعوبات التعلم، فالتشخيص يكشف عن أشكال أخرى لصعوبات التعلم، ويساعد على جمع المعلومات الخاصة عن مستوى الطفل التعليمي

ومما يجدر ذكره هنا أن هناك عدداً من التحديات التي تواجه عملية قياس الطلبة ذوي صعوبات التعلم وتشخيصهم، وفيما يلي عرض لأهم هذه التحديات:

1.عدم الاتفاق على تعريف محدد لصعوبات التعلم أو الاتفاق على إيجاد صيغة تعريف إجرائي، الأمر الذي ينعكس على إيجاد محكات متفق عليها للتشخيص.

2.عدم اتفاق الباحثين على إيجاد صيغة لتحديد عامل التباين بين القدرة العقلية والتحصيل، فهناك أكثر من طريقة لاستخراج قيمة التباين هذه.

3.عدم تجانس مجتمع الأفراد ذوي الصعوبات التعليمية، الأمر الذي يؤدي إلى صعوبة إيجاد قائمة موحدة لمعايير الكشف أو القياس.

4. إحالة عدد كبير من الأطفال ذوي التحصيل المنخفض أو المشكلات السلوكية إلى برامج صعوبات التعلم بهدف الحصول على خدمات تربوية خاصة لهؤلاء الطلبة، وهذه الممارسات تؤدي إلى الالتباس في تحديد الطلبة الذين يعانون صعوبات التعلم فعلاً.

5. قلة تدريب أعضاء فريق التربية الخاصة على وسائل قياس الطلبة ذوي صعوبات التعلم وتشخيصهم، وقلة معرفتهم بالمعلومات التي تخص هذا الميدان قد يدفعهم إلى اتخاذ قرارات غير صائبة خلال مرحلة القياس والتشخيص.

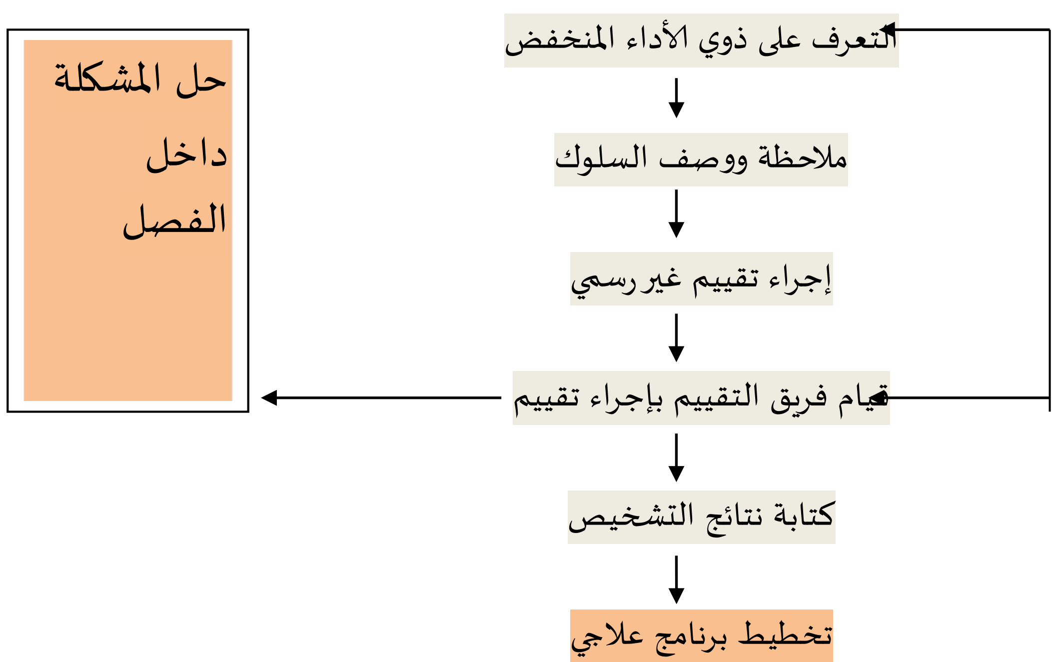
ورغم التحديات والمشكلات آنفة الذكر إلا أن عملية قياس الطلبة ذوي صعوبات التعلم وتشخيصهم تعد عملية ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها ,وتعد هذه العملية أكثر فاعلية عندما تؤدي إلى معلومات يمكن الاستفادة منها مباشرة في عملية التدريس (أبو الديار، 2012: 69).

3 - محكات تشخيص صعوبات التعلم:

يرى كثير من المتخصصين في شئون هذه الفئة أن عملية تشخيص صعوبات التعلم يجب أن تتم بواسطة نظام العمل اليومي، والملاحظة المقصودة من خلال السجل المدرسي الخاص بالمتعلم الذي يرافقه حين إنهائه المرحلة الابتدائية، فتعرف أسباب صعوبات التعلم والعوامل المؤثرة فيها تساعد على تشخيصها وتعرف العوامل المؤدية إليها، وليس المقصود هنا تشخيص صعوبات التعلم التي ترجع إلى خلل في الجوانب الحسية والعصبية أو تدني في الذكاء والقدرات، و إنما المقصود هنا هو تشخيص الأسباب، والعقبات النفسية والتربوية والأسرية التي تقف حائلاً ضد التعلم الجيد لدى المتعلمين، مثل تلك التي تسبب قلة استفادة المتعلمين من خبرات التعلم المتاحة لهم و أنشطتها.

وقد قدم كيرك وكالفانت (1988، 83 -89) خطة مكونة من ست مراحل تهدف إلى التعرف إلى الأطفال ذوي صعوبات التعلم وهي:

1. التعرف إلى الأطفال ذوي الأداء المنخفض : ويمكن أن تتم تلك العملية داخل المنزل أو المدرسة.
2. ملاحظة السلوك ووصفه : مثل كيف يقرأ؟ ومهارات القراءة.
3. إجراء تقييم غير رسمي ويستبعد بعض الحالات مثل : الحرمان البيئي والثقافي.
4. قيام فريق التقييم ب إجراء تقييم، وتعد هذه العملية بمثابة التشخيص المبني على تعدد المحكات.
5. كتابة نتائج التشخيص.
6. تخطيط برنامج علاجي (أبو الديار،2012: 70).



(الشكل رقم 01) خطة كيرك وكالفانت للتعرف إلى ذوي صعوبات التعلم

4 - محكات تحديد صعوبات التعلم والتعرف عليها: هناك أربعة ممحكات وهي:

1. محك التباعد: يشير محك التباعد إلى وجود تباين بين العديد من السلوكيات النفسية كالانتباه، والتميز، والذاكرة، و إدراك العلاقات، كما يشير إلى تباين القدرة العقلية للفرد (الذكاء) وتباعدها والتحصيل الدراسي "الأكاديمي"، وأخيراً قد يظهر التباين في جوانب النمو المختلفة ,ك أن ينمو حركياً في سن مبكرة، فيم شي في السنة الأولى أو أقل بينما يبدأ في نطق اللغة في سن الخامسة (أي يتأخر في النمو اللغوي).

وفي الاتجاه نفسه يشير عبد الرحيم (1982) إلى أن الصعوبة الخاصة في التعلم تشخص بناء على محك التباعد في الحالة الآتية:

أ. الحالات التي يبدو فيها واضحاً أن مستوى تحصيل الطفل يقل عن معدل تحصيل الأطفال الآخرين في السن نفسه أو الحالات التي لا يتناسب فيها تحصيل الطفل مع قدراته.

ب. التأكد من أن الطفل في الحالات جميعها يتلقى خبرات تعليمية ملائمة لعمره الزمني وقدراته العقلية.

2 - محك الاستبعاد:

حيث يستبعد عند التشخيص وتحديد فئة صعوبات التعلم الحالات الآتية:

التخلف العقلي، والإعاقات الحسية، والمكفوفين، وضعاف البصر، وضعاف السمع، وذوي الاضطرابات الانفعالية الشديدة، مثل : الاندفاعية، والنشاط الزائد، وحالات نقص فرص التعلم أو الحرمان الثقافي.

3. محك التربية الخاصة :

ويرتبط بالمحك السابق ومفاده أن ذوي صعوبات التعلم لا تصلح لهم طرائق التدريس المتبعة مع المعوقين، وإنما يتعين توفير شكل آخر من التربية الخاصة من حيث: (التشخيص، والتصنيف، والتعليم) يختلف عن الفئات السابقة.

4. محك المشكلات المرتبطة بالنضوج :

حيث نجد معدلات النمو تختلف من طفل إلى آخر مما يؤدي إلى صعوبة التهيئة لعمليات التعلم، فالمعروف أن الأطفال الذكور يتقدم نموهم بمعدل أبطأ من الإناث مما يجعلهم في حوالي الخامسة أو السادسة غير مستعدين أو مهيئين من الناحية الإدراكية لتعلم التمييز بين الحروف الهجائية قراءة وكتابة مما يعوق عمليات التعلم سواء أكان هذا القصور يرجع إلى عوامل وراثية أم تكوينية أم بيئية، وهذا المحك يعكس الفروق الفردية بين الجن سين في القدرة على التحصيل (أبو الديار، 2012: 71-72).

5 - مراحل الكشف المبكر:

بشكل عام، تمر عملية الكشف المبكر للصعوبات التعلمية، بأربع مراحل متعلقة الواحدة بالأخرى وقد حددت ليرنر (Lerner, 1993) هذه المراحل وهي: البحث، والمسح، والتشخيص والتقييم. تعمل هذه المراحل كحلقة مكملة لبعضها البعض على النحو التالي:

البحث (Locating):

تتطرق هذه المرحلة الى طرق الكشف والبحث عن ذوي الإعاقات في المجتمع المحلي، حيث يتم التركيز هنا على زيادة الوعي لدى الجمهور حول الإعاقات المختلفة، وفي هذه الحالة صعوبات التعلم بالتحديد، عادة يتم العمل على هذه المرحلة في الأطر غير الرسمية وقبل مرحلة المدرسة، مثل دور الرعاية والحضانة والمكتبات العامة، والأندية المحلية والمراكز الجماهيرية، والراديو والتلفزيون والجرائد والمجلات .الهدف بشكل عام تحذير الأهل وإرشادهم حول المظاهر العامة للظاهرة (Lerner , 1993).

المسح العام (Screening):

تعمل هذه المرحلة على دراسة الذين يحتاجون إلى متابعة حالاتهم، وذلك بهدف تحديد الأطفال الذين قد يحتاجون إلى خدمات التربية الخاصة .حيث يتم دعوة العديد من الأطفال الذين، تتراوح أعمارهم ما بين 3-5 سنوات للحصول على فحوصات مجانية، للسمع والبصر والمقدرة على النطق والكلام، كما ويتم الكشف عن المهارات الذهنية العليا، كالإصغاء والتركيز والتمييز والذاكرة، والمهارات الحركية الدقيقة والغليظة، والمقدرة على العناية بالذات والاتصال والتفاعل مع الآخرين.

التشخيص (Diagnosing):

في المرحلة الثالثة، يتم تحديد مدى الإعاقة إذا تواجدت لدى الفرد، والتفكير بالاقتراحات والخدمات العلاجية التي قد يحتاج إليها الطفل لاحقًا .يتم التركيز هنا على طبيعة المشاكل التي يجب إيجاد السبل للتدخل بشأنها . يشارك في تنفيذ التشخيص، فريق من المتخصصين، وقد يشمل أخصائي نطق ولغة، وأخصائي نفسي، وأخصائي في الصعوبات التعلمية، وأخصائي علاج وظيفي أو أخصائيين آخرين إذا دعت الحاجة.

التقييم (Evaluating): في المرحلة الرابعة، يتم العمل على تحديد فيما إذا كان الطفل بحاجة للبقاء في إطار التربية الخاصة، ولأي وقت وما هي الكثافة أو الكمية المعقولة للمادة التعليمية، أو الخدمات التي قد يحتاجها، كما ويتم التركيز على أساليب التشخيص، لمعرفة مدى التقدم الذي يحرزه الطفل، عملية التقييم، تحدد فيما إذا كان الطفل بحاجة للاستمرار في العلاج (Lerner , 1993).

6 - أهمية الكشف المبكر للصعوبات التعلمية:

يوجد أهمية وقبولا واسعين للمسح المبكر لمراحل النمو والتطور، لدى الصغار في مراحل الطفولة المبكرة .فمن خلال المؤشرات التي يحصل عليها القائمون على هذه الفحوصات المسحية الأولية يمكن أن يتم تحديد الجوانب غير المتطورة لدى الطفل ويتم العمل عليها، بهدف التقليل من الفجوات في جيل مبكر على قدر الإمكان .فالمهارات الرئيسية كاللغة والحركة والإدراك والقدرة على التفاعل الاجتماعي لا تتطور منفردة الواحدة

عن الأخرى، بل مترابطة؛ وإذا كان هناك خلل في أي منها فإنها ستؤثر سلبًا على باقي المجالات .فعلى سبيل المثال، يمكن لنا أن نتخيل ركوب طفل على دراجة ثلاثية العجلات، وبنفس الوقت يريد أن يرد التحية على الآخرين، أو يصغي للتعليمات.

إن هذا لا بد وأن يتطلب دمج العديد من المهارات في آن واحد؛ ولكن بدون نضج كاف في جميع المجالات فإّنه سيواجه صعوبات مستقبلية، كما وتكمن أهمية الكشف المبكر لأي من الفجوات التطورية لدى الطفل، في المراحل المبكرة، في إمكانية تحديد المشكلة والعمل عليها مبكرًا لتحضير الطفل للمدرسة في الوقت المناسب (McLaughlin and Lewes, 1994).

يبدأ الكشف المبكر في بيئة الطفل، في بيته أو مكان ترعرعه في المراحل المبكرة من عمره، وغالبًا ما يقوم بمهمة الكشف إما الأهل أو المختصين في الطفولة المبكرة، إذ تبدو على الطفل بعض السلوكيات والاستجابات، غير الملائمة لمتوسط تطوره الطبيعي، أما المجالات التي يتم التركيز عليها، فتتمحور حول الفئات الرئيسية التالية : المهارات اللغوية كالحديث وفهم اللغة المحكية، والمهارات الإدراكية والذاكرة والمهارات الحركية الغليظة والدقيقة والقدرة على توظيفها بالتنسيق مع الحواس الأخرى، ومهارات الإصغاء والتركيز في ظروف مختلفة، وكذلك القدرة على التفكير وحل المشاكل، إضافة إلى بعض الجوانب السلوكية العامة.

إن للكشف المبكر أهمية بالغة، في عملية العلاج لاحقًا .فالطفل الذي يتم تحديد مواطن قوته وضعفه في جيل مبكر، يستفيد مباشرة من الخدمات التي تقدمها مراكز الرعاية والأمومة والروضات والمدارس في المرحلة الابتدائية، ويمكنه عندها أن يحظى باهتمام والديه بالشكل الكافي إذا كان لديهما الوعي المناسب للتعامل مع المشكلة في بداياتها قبل تفاقمها؛ ويمكن عندها البدء بخطوات وقائية ومتابعات إجرائية بهدف عدم تحول الصعوبة البسيطة إلى إعاقة دائمة ترافق الطفل في جميع مراحل حياته .من هنا جاءت أهمية الكشف المبكر، بغية تفادي التعامل مع الظاهرة في وقت تكون فيه البرامج العلاجية عاجزة عن توفير الحاجة المطلوبة للطفل (McLaughlin and Lewes, 1994).

الخاتمة:

بناء على ما سبق فإنه يمكننا القول أن العمل على كشف وتشخيص الظاهرة وتقديم أساليب الوقاية والعلاج لها، تتطلب من المعلمين والأهل معرفة واسعة بمراحل النمو والتطور الطبيعية لدى الأطفال . إذ أن الإنسان البالغ **الذي** يلم بالأسس التطورية العادية للأطفال، يمكنه التنبه مباشرة لوجود صعوبات قد تؤشر إلى احتمالية وجود إعاقة لاحقًا .من هنا يبدأ العلاج السليم، بالكشف والتشخيص السليمين في الوقت المناسب، وبناء على ذلك يتم بناء خطة تدخل وقائية أو علاجية.

إن الكشف والعلاج المبكرين للعديد من الظواهر السلوكية، والمهارات الحركية والذهنية والاجتماعية، لذوي الصعوبات التعلمية في الطفولة المبكرة، من شأنهما أن يقللا من حدة المشاكل المستقبلية المتوقعة،

والمتمثلة بالصعوبات التعلمية والأمية، ومن نسبة عوامل الخطورة الاجتماعية المتمثلة بالتسرب المبكر من المدارس؛ وانتشار ظواهر الجنوح لدى المراهقين والانجرار نحو الجريمة والمخدرات.

قائمة المراجع:

1- إبراهيم، سلمان عبد الواحد يوسف (2010). ***المرجع في صعوبات التعلم: النمائية والأكاديمية***. ط1، مكتبة الأنجلو مصرية: القاهرة.

2 - أبو الديار، مسعد النجاح (2012). ***القياس والتشخيص لذوي صعوبات التعلم***. ط1، مركز تقويم وتعليم الطفل: الكويت.

3 - الزياد محمد (2004). ***الصعوبة التعلمية في الطفولة المبكرة:الكشف والتدخل المبكرين***، الكرمة.

4 – الظفيري نواف وعبد الهادي العجمي ومحمد العجمي وحمدان العدواني وأحمد السعيدي ومناحي العازمي وسلامه العنزي (2014). ***صعوبات التعلم النمائية***. مطبعة التواصل للنشر والتوزيع: الكويت.

5 - الظفيري نواف وعلي الكندري (2015) . ***أداء الأطفال ذوي صعوبات التعلم النمائية في مجتمع المعرفة*** . مجلة العلوم التربوية: جامعة الملك سعود، 27 (1) 65-85.

6 - العزة ، سعيد حسني (2002) ***صعوبات التعلم، المفهوم، التشخيصٌ، الأسباب، أساليبٌ التدريسٌ واستراتيجيات العلاج***. عمان، الأردن، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع.

7 - المنجد الإعدادي، ط5 ، دار المشرق، بيروت، لبنان،1982

خلف الله، سلمان (2004). ***الطفولة المشكلات الرئيسية التعليمية والسلوكية العادية وغير العادية***. (ج1)، عمان، الأردن، جهينة للنشر والتوزيع.

8 - محمد عادل وصافيناز كمال (2005) . ***قصور بعض المهارات قبل الأكاديمية لأطفال الروضة وصعوبات التعلم الأكاديمية اللاحقة***، المؤتمر السنوي الثالث عشر لكلية التربية لجامعة حلوان.

9- National Center for Learning Disabilities (2003). ***Normal & Atypical Development: Every Child is Learning***: A Training Program for Parents and Teachers.

10- Learning Disabilities Association of America (2002e). ***Developmental milestones: Adaptive Milestone Chart***. Available on line at: http://www.ldonline.org/ld-indepth/early-identification/adaptivemilestones.html. 20 March 2003].

11- Lerner, J. (1993). ***Learning disabilities: Theories, diagnosis, and teaching strategies (Sixth Ed.)***. U.S.A.: Houghton Mifflin Co.

12- McLaughlin, J., & Lewes, R. (1994). ***Assessing Special Students (4th ed)***. New York: Macmillan College Publishing Company, Inc.

عـــلانية التقييـــم...

أداة في خدمة إدارة الموارد البشرية لتحسين أداء عامليها

د.ناقة نهلـة
مركز البحوث في الاقتصاد التطبيقي من أجل التنمية
الجزائر

الملخص:

موضوع تقييم الأداء حظي بكثير من الاهتمام من طرف عدة باحثين، ولكن الأساس الذي ستبنى عليه دراستنا في هذا المقال، هذه ليس التقييم في حد ذاته وإنما علانية هذا التقييم ودورها في تحسين مردودية المورد البشري في المؤسسة الجزائرية، حيث أن إعلان نتائج تقييم الأداء تعتبر أحد أبعاد تنمية العاملين، ومن هنا تظهر الأهمية التي تكتسيها هذه الدراسة من خلال الإحاطة بدور العلانية في تحسين الأداء التنظيمي، والتعريف بفائدتها خاصة إذا كانت قواعدها علمية وموضوعية.

الكلمات المفتاحية : تقييم، الأداء، مقابلة تقييم الأداء، تحسين الأداء، إدارة الموارد البشرية

Abstract :

In this paper, we will discuss the process of performance evaluation in a public Algerian company specializing in the production of clothing and leather goods. The objective of this study is to show the role played by the publication of results in the improvement of employee performance, which effectively regulates the relations between employees and managers within the framework of a clear result contract of performance and relationships.

Mots clés : performance evaluation – evaluation interview – amélioration de la performance - Human Resource Management

مقدمــة:

إن العلاقات الاقتصادية اليوم أصبح يميزها الطابع التنافسي الحاد بواسطة المؤسسات العملاقة، حيث أصبح كل طرف يبحث عن مكان له في الأسواق نتيجة العولمة والتغير الذي عصف على دول العالم، ومن بينها البلدان النامية عامة التي اعتقدت أن التنمية لا تكون إلا عن طريق استعمال الآلات والتكنولوجيا، ونسيت مسالة جوهرية أن هذه التكنولوجيا لن تتحقق إلا بسواعد الموارد البشرية الفعالة التي تمتلك المهارات المتنوعة.

لذا كان على هذه الدول تفعيل دور إدارة الموارد البشرية لديها باعتبارها الجهة المسؤولة عن شؤون قوة عملها ورعايتها والسهر على تحسين أدائها، لأن التحديث الصناعي وتحسين الجودة والتصدي للمنافسة لن يتحقق إذا لم تهتم هذه الإدارة بموردها البشري، والذي تأكدت قيمته خاصة في الدول النامية وذلك بسبب حاجتها إلى اليد العاملة المؤهلة القادرة على تطوير التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولهذا كان على هذه الوظيفة الحرص على تنظيم مواردها البشرية كونها عنصرا هاما في الإنتاج ومحركا أساسيا للمؤسسة، وذلك عن طريق تدريبها وتوجيهها ورفع نجاعتها الإنتاجية بواسطة إلمامها بتقييم لأدائها بمختلف الطرق وعلى كافة المستويات.

فوظيفة تسيير الموارد البشرية هي سلسلة القرارات بالعلاقات الوظيفية المؤثرة في فعالية المنظمات والعاملين بها، واتسع مفهومها ليشمل أنشطة رئيسة من أهمها: التحليل وتوصيف الوظائف، تخطيط الموارد البشرية، جذب واستقطاب الموارد البشرية، تحفيز هذه الموارد، ترقيتها، تنميتها وتدريبها وتقييم أدائها الذي يعتبر من العوامل الأساسية التي يتوقف عليها نجاح أي منظمة لتبلغ أهدافها.

لعملية تقييم الأداء أهمية كبيرة فهي التي تضمن تحقيق المنظمة لأهدافها وأحد أسس النجاح فيها، حيث أن العاملين يمثلون أهم المتغيرات لذا فضمان تحقيق الأهداف مرتبط بأداء فعال للعاملين وتطوير ما يطلق عليه بثقافة الأداء.[1]

- **مشكلـة البحـث:**

لتكون عملية التقييم ناجحة، يجب أن تصمم لتعطي الموظفين أهدافا وتقيس أدائهم بشكل موضوعي، هذا من الناحية النظرية، ولكن بالنظر إلى واقع مؤسساتنا اليوم وطريقتها في تقييم أداء موظيفها، نجد أنها لازلت في أحيان كثيرة تعتمد على التقارير السرية في تقييم الموظف، وهي طريقة متخلفة حيث أنه لا يوجد أي عامل ايجابي يجعل المنظمات تخفي نتائج تقييم عامليها، فالتقييم إن لم يكن فوريا ومباشرا وواضحا للموظف فلن يستفيد منه.

إن الاعتماد على التقارير السرية في تقييم الأداء عملية غير مجدية، لأنه في هذه الحالة لا يعرف الموظف أخطاءه وبالتالي سيبقى في مكانه من غير تطور في أدائه ومن ثم انخفاض مستواه، خاصة في ظل التحديات التي

[1] باري، كشواي (2005) . **إدارة الموارد البشرية**. الأردن: دار الفاروق للنشروالتوزيع، الطبعة 2، ص ص 114،115.

تواجهها المنظمات لاشباع حاجات المواطنين والوقوف عند طلباتهم، لذا كان لابد على وظيفة تسير الموارد البشرية الاهتمام بالعنصر البشري لأنه أساس التنمية فتطويره وتحسين أدائه لم يعد خيارا للمنظمات بل أصبح شيء ضروري يجب وضعه كأولوية في الاستراتجيات والأهداف المرجوة.

وما سنحاوله في هذه الدراسة، هو تسليط الضوء على واقع تقييم الأداء بصفة عامة وواقع علانية التقييم بصفة خاصة في المؤسسات العمومية، أي ما سنحاول تقديمه هو معرفة إلى أي مدى تطبق المؤسسة هذا الاجراء (علانية تقييم الاداء) في تقييم أداء موظفيها، كون إعلان نتائج تقييم الأداء يعتبر حلقة مهمة في عملية تقييم الأداء، حيث تسعى هذه الحلقة إلى تحقيق الرضا بين العاملين واستقرارهم وثقتهم بمنظمتهم وولائهم لها، ومن ثم تحسين أدائهم وبالتالي تحقيق متطلبات المواطنين الذين يلجؤون إلى هذه المنظمات لاشباع حاجاتهم.

- فما هو واقع تقييم الأداء في المؤسسات العمومية الجزائرية وهل تطبق هذه الأخيرة تقييم أداء معلن؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار علانية تقييم الأداء عاملا ايجابيا يساهم في رفع مستوى أداء الموظف واستثمار قدراته مما يساعده على التطور والتحسن؟

- **الفرضيــات:**

من أجل الإلمام بالإشكالية المطروحة سابقا، كان لابد من وضع الفرضيات التالية:

- لثقافة إعلان نتائج تقييم الأداء أثر على تحسين أداء العامل عندما يعرف نقاط قوة وضعف أدائه، خاصة إذا تم ذلك وفق ظروف بعيدة عن الضغط والتوتر.
- تطبيق التقييم المعلن للأداء يساهم في زيادة ثقة العامل بعملية التقييم ويجعلها أكثر عدالة وموضوعية وبذلك يتحسن أدائه حين يعرف أنه أخذ بعين الاعتبار.
-

I. الإطــار النظـري لعمليــة تقييــم الأداء:

1. مفهوم تقييم الأداء

أ- تعـريف الأداء:

يعتبر الأداء من المفاهيم التي نالت النصيب الأوفر من الاهتمام والتمحيص والتحليل في البحوث والدراسات الإدارية بشكل عام وبالمواضيع المتعلقة بالموارد البشرية بشكل خاص، وذلك لأهميته على مستوى الفرد والمؤسسة من جهة، وتداخله مع العلوم والاتجاهات الفكرية من جهة أخرى.

واعتبر الأداء من أبرز الإشكاليات في مجال نظريات التنظيم، وعلى الرغم من تناوله من عدة اقترابات إلا انه لم يتفق على مفهوم واحد له.[1]

[1] Charles, LUSTHAUS. Marie-Hélène, ADRIEN et autres (2003). **Evaluation organisationnelle : Cadre pour l'amélioration de la performance**. Québec : centre de recherches pour le développement international, p 103.

فالأداء هو "القيام بأعباء الوظيفة من واجبات ومسؤوليات وفقا للمعدل المفروض أداؤه من العامل الكفء المدرب[1]".

كما أنه " انجاز مهمة وأدوار، وهو في المجال الإداري مبرمج لخطة عمل تستلزم القيام بعدة وظائف متكاملة وتتحدد بموجبها شروط الأداء – الواجبات والمسؤوليات -ومستواه[2] ".

وبالتالي فإن الأداء هو نشاط يساهم فيه العامل في تحقيق أهداف المنظمة، وذلك بانجاز الأعمال الواجب انجازها بنوعية وجودة عالية وبالتالي يمكن إخضاعه للقياس كونه يعبر عن قدرة العامل في تحقيق أهداف المنظمة.

ب. تعريـف تقييـم الأداء:

هناك عدة تعريفات استعملت للدلالة على هذه العملية، وذلك بكونها نظام تقييم وتقدير الكفاءات أو نظام تقرير أداء العامل:

" فتقييم أداء العاملين يعني قياس كفاءتهم ومدى مساهمتهم في انجاز الأعمال الموجهة إليهم، وكذلك الحكم على سلوكهم وتصرفاتهم أثناء العمل .كما يقصد به أيضا أنه عملية يتم بموجبها تقدير جهود العاملين بطريقة منصفة وعادلة، وذلك لمكافأتهم بقدر ما يعملون وينتجون استنادا إلى عناصر ومعدلات يتم بموجبها مقارنة أدائهم بها لتحديد مستوى كفايتهم في العمل الذي يقومون به .[3]"

ويعرف تقييم الأداء كذلك على أنه نشاط تقوم به إدارة الموارد البشرية للحكم الكلي والموضوعي على أداء العامل في المنظمة خلال فترة زمنية، آخذة بعين الاعتبار المعايير والمتطلبات المحددة[4].

ويمكن تعريفه أيضا بأنه المسار الذي يوصلنا للحكم على الأداء الماضي والأداء المستقبلي، إضافة إلى قدرة العامل في الأداء مستقبلا في بيئة عمله.[5]

نخلص إلى القول أن تقييم الأداء هو نظام يحدد مستوى أداء العامل عن فترة زمنية محددة، وذلك بمقارنة الأداء الفعلي بالمقاييس والمعايير والمؤشرات المحددة مسبقا على أسس علمية وموضوعية، وبذلك يساعد في الكشف عن الانحرافات والضعف في الأداء وتنمية مهارات المورد البشري.

2. الخلفيــة الفكريــة لتقييــم الأداء:

عرفت عملية تقييم الأداء كممارسة في الحضارات القديمة، تطورت مفاهيمها بتطور وسائل القياس وتطور الفكر الإداري. توسع استخدام هذه العملية بنشوء الحضارات القديمة؛ ففي حضارة وادي الرافدين

---

1 أحمد، زكي بدوي (1984) .**معجم مصطلحات العلوم الإدارية** .القاهرة :دار الكتاب المصري، الطبعة1، ص 302.

2 خليل، أحمد خليل(1995)**معجم المصطلحات الاجتماعية** .بيروت :دار الفكر اللبناني، الطبعة 1، ص98 .

3 عمر، وصفي عقيلي(2005) .**إدارة الموارد البشرية :بعد استراتيجي** .عمان :دار وائل، الطبعة1 ، ص 226.

4 Lakhdar, SEKIOU (2002) . **Gestion des ressources humaines**. Belgique : De Boeck, 2ème édition, p 304.

5 Fayçal, BENCHEMAM. (2004). **Gestion des ressources humaines**. Paris : Géraldine Galindo, p 33.

بالعراق، تم ممارسة فنون الإدارة واستخدام مبادئ العملية الإدارية وعملية تقييم الأداء كالرقابة الإدارية التي تهدف إلى متابعة أداء الإدارات للأقاليم التابعة لها من خلال مراقبة أداء العاملين.

واستخدمت حضارة الصين القديمة أنظمة شغل الوظائف على أساس اختبارات التسابق التي اعتبرت إحدى مستلزمات إجراء القياس والتوقع لأداء من يشغل الوظيفة. كما تميزت الحضارة الرومانية بكونها الحضارة التي امتلكت أضخم جهاز إداري بيروقراطي، كان يتمتع بدرجة عالية من المركزية والكفاءة مما استلزم ممارسة دقيقة للعمليات الإدارية ومنها الاختيار والتقييم.

وفي العصر الحديث، اهتمت مجموعة من المدارس بعملية تقييم الأداء بدءا من حركة الإدارة العلمية مرورا بمدرسة العلاقات الإنسانية إلى إدارة الأداء، التي سنلخصها فيمايلي:

- **مدرسـة الإدارة العلميـة:**

أفكار هذه النظرية مستلهمة من دراسات تايلور وفايول، وقد سيطر هذا الاقتراب في النصف الأول من القرن العشرين ودام إلى غاية بداية الستينات، ومفهوم الأداء بالنسبة لهذا الاتجاه يعكس أداء المنظمة ككل[1]. لتوسيع دائرة معارفهم ومهامهم من أجل ترشيد الأداء، فالاهتمام بترشيد الأداء أدى إلى ظهور تقنيات تحدد الأداء معوضة بذلك الطرق التقليدية .كما اعتمد حركة الإدارة العلمية على نظام التنقيط في الوظيفة لجعلها أكثر موضوعية، إضافة إلى تحديدها للأداء ومستويات الكفاءة[2].

- **مدرسـة العلاقـات الإنسانيـة:**

عكست حركة العلاقات الإنسانية اهتماما خاصا بعملية تقييم الأداء، من خلال اعتبارها العامل إنسان أولا ثم عاملا ثانيا، وعليه دعت إلى ضرورة المزج بين المعايير الموضوعية والسلوكية عند تقييم الأداء.

ركزت هذه النظرية على اثر العوامل الإنسانية وظروف العمل المادية على الأداء، حيث ترى أن تحفيز العامل ماديا وكذا حصوله على تقدير والاعتراف به وبأدائه من طرف مسؤوليه يساعد على تحقيق ذاته وإشباع حاجاته وتحسين أدائه، وانصب الاهتمام في هذه المدرسة على مقابلة تقييم الأداء التي تتم بين المشرف والعامل لمناقشة مواطن الضعف والقوة في أدائه.[3]

- **الإدارة بالأهداف في تقييم الأداء:**

أهم ما ترتكز عليه هذه النظرية، هو مشاركة العامل في صياغة الأهداف والتي يتوقع تحقيقها مستقبلا، مستندة على مسؤولية العامل في تحقيق الأهداف التي سطرها، وبذلك تكون لديه الرغبة في بذل مجهودات لتحقيقها بما انه هو من حددها، كما يتم تقييم العاملين وفق معايير يمكن التحقق منها[4].

---

[1] Dimirti, WESS (2003) . **Ressources Humaines**. Paris: Edition d'Organisation, 2ème édition , p260.

[2] عتيقة، حرايرية"(2003) « **إشكالية تقييم الأداء في السلوك التنظيمي وعلاقته بتوجيه وتطوير المسار الوظيفي للإطارات**. "رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، ص 2

[3] الياس، سالم" (2006) **تأثير الثقافة التنظيمية على إدارة الموارد البشرية**". رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص ص 50،51.

[4] عتيقة، حرايرية .مرجع سابق، ص2.

بمعنى أن طريقة الإدارة بالأهداف تعتمد على أن العبرة بالنتائج التي يستطيع العامل تحقيقها بعيدا عن السلوك والصفات الشخصية له.1

- **نظريـة العدالـة:**

تشير نظرية العدالة التي وضعها **آدمز** على الافتراض بأن هناك حاجة مشتركة بين العاملين للتوزيع العادل للحوافز في المنظمة، ويقيس الفرد من خلال هذه النظرية درجة العدالة من خلال مقارنته لنسبة الجهود التي يبذلها في عمله إلى المكافآت والحوافز التي يحصل عليها مع تلك النسبة لأمثاله من العاملين في نفس المستوى ونفس الظروف.

وتتضح هذه النظرية، في النمط الإداري والأداء الوظيفي، حيث يشعر العاملون بأن مكافآت المنظمة كالراتب والاحترام والتقدير والمشاركة، موزعة بالتساوي بينهم وفقا لجدارتهم ودرجة استحقاق لكل واحد منهم.[2]

أي أن هذه النظرية، تشير إلى أن الأفراد يحفزون بتحقيق العدالة الاجتماعية في المكافآت التي يتقوقعون الحصول عليها مقابل العمل الذي يقومون به.

3. أهميـة تقييـم الأداء:

تقييم الأداء يعتبر من أهم وظائف المنظمة، فمن المهم أن تتبنى المنظمة اقتراب نسقي الذي يهتم بتحسين أداء العامل مبني أساسا على الأسباب الحقيقية لضعف الأداء[3] وتتضح أهميته في ما يلي:

- تزويد المسؤولين ومتخذي القرار عن مستوى الأداء في المنظمة.
- يساعد التقييم على معرفة مدى مساهمة العمال في تحقيق أهداف المنظمة ومدى ملائمة العامل للمنصب الذي يشغله بشكل عادل وموضوعي.
- إشعار العاملين بالمسؤولية، وإعلامهم أنه سيتم تقدير جهودهم من قبل الإدارة، وأن عملية الترقية والعلاوات لا تتم إلا عن طريق ذلك، وتزويدهم بمعلومات عن مستوى أدائهم[4].

كما تتجلى أهمية تقييم الأداء في تحديد الاحتياجات التدريبية اللازمة للعاملين، تخطيط القوى العاملة، تحسين عملية الإشراف ومعرفة معوقات العمل، متابعة تنفيذ الأهداف، تقييم النتائج وتحديد مراكز المسؤولية، التأكد من كفاءة الأداء في المؤسسة، الانضباط والمعاقبة، الأجور والحوافز والتعويضات.

4. معايير وخطوات تقييم الأداء:

- **معايير تقييم الأداء:**

---

[1] مؤيد، سعيد سالم (1991)**إدارة الموارد البشرية** .بغداد :مطبعة الاقتصاد، ص136 .

[2] عبد الله عبد الرحمان، النميان (2003) . **"الرقابة الإدارية وعلاقتها بالأداء الوظيفي في الأجهزة الأمنية"**. رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، السعودية، ص 44.

[3] Patrice, ROUSSEL (2007) . **Gestion des performances au travail**. Belgique : De Boeck, 1ère édition, p 42.

4 فيصل، حسونة (2008) . **إدارة الموارد البشرية** .الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة1، ص 147.

يعتبر المعيار أداة قياس كمية أو نوعية صممت لمساعدة مراقبة الأداء، وهي تستخدم لتحديد التقدم أو التأخر عن الأهداف فطبيعة المعيار المستخدم تعتمد على الأمر المراد متابعته.

المعايير هي تلك العناصر التي تستخدم كركائز للتقييم، ومن الضروري أن تحدد كونها تختص بقياس كمية و جودة الأداء، فيمايلي سنذكر بعضا منها: عدد مرات التأخر، الدقة في أداء العمل، الإبداع والتعاون، القدرة على اتخاذ القرارات، القدرة على حل المشاكل، القدرة على الاتصال، القدرة على التخطيط...

- **خطوات تقييم الأداء:** باعتبار عملية تقييم الأداء نظام، فهو يتركب من عناصر تعبر عنه وتفسره، وتتمثل هذه العناصر في خطوات الممارسة التطبيقية والسليمة لهذه العملية، التي يجب التخطيط لها جيدا حتى نحصل على النتائج المرجوة كونها عملية معقدة جدا لأن لها علاقة مباشرة مع المورد البشري.

ويمكن حصر هذه الخطوات فيمايلي :

- مناقشة متطلبات التقييم مع العاملين، أي توضيح المعايير للأفراد لمعرفة ما يجب أن يعملوا وما يتوقع منهم، ويتم مناقشة هذه المعايير بين المسؤولين والعاملين والتأكد من فهمها، ولابد أن تكون هناك تغذية عكسية من العاملين إلى المسؤولين للاستفهام عن الأمور الغامضة.
- مراقبة وملاحظة كيفية أداء العامل لعمله، ويمكن استخدام في هذه الخطوة التقارير الإحصائية، التقارير الشفوية، والتقارير المكتوبة لأن استعمال هذه المصادر يؤدي إلى زيادة الموضوعية في تقييم العاملين.
- تقييم أداء العامل وفقا للمعايير التي تم الاتفاق عليها في الخطوة الأولى والثانية، أي مقارنة الأداء الفعلي مع معيار الأداء.[1]
- مناقشة التقييم مع العاملين، حيث أنه لا يكفي أن يعرف العاملون بنتائج تقييمهم، بل من الضروري أن يناقش العاملون هذه النتائج مع مشرفيهم لتوضيح بعض الجوانب المهمة، خاصة إذا كانت سلبية وأيضا للتخفيف من حدة تأثير النتائج السلبية على روحهم المعنوية.
- اتخاذ القرارات المناسبة على ضوء ما خرج به التقييم[2].

ويمكن أن يقوم بهذه العملية أي من الأطراف التالية: الرئيس المباشر، المرؤوسون، الزملاء في العمل، إدارة الموارد البشرية، مقيمون من الخارج.

5. طـرق تقييـــم الأداء:

أ- الطرق التقليدية:

- **الترتيب البسيط:**

حيث يقيم المشرف العاملين تنازليا، فيحتل أفضل عامل أعلى رتبة، وأسوأ عامل أدنى رتبة ويترتب الآخرون بينهما. هذه الطريقة تعتبر الأكثر شهرة، ومن الأدوات السهلة الإعداد وهي الأولى التي يفكر فيها المشرف بمجرد تفكيره في التقييم[1].

---

[1] سنان، الموسوي (2004) .**إدارة البشرية وتأثير العولمة عليها** .الأردن :دار مجدلاوي للنشر ، ص166

[2] معن، محمود عياصرة .مروان، محمد بني احمد **(2008).القيادة و الرقابة و الاتصال الإداري** .عمان :دار حامد ، ص 108 ، الطبعة1 ، ص107.

- **المقارنة المزدوجة:**

تستعمل هذه طريقة أي مقارنة كل زوج من العمال على حدة، وتكون مقارنة كل عامل مع جميع العاملين، وتكون عدد المقارنات: [ن(ن-1)]/2 ، حيث ترمز ن إلى عدد الأفراد المطلوب ترتيبهم. هذه الطريقة صعبة الاستخدام وهذا ضمن المؤسسات الكبيرة[2].

- **الترتيب على المنحنى :**

يتوزع الأفراد وفق توزيع طبيعي، حيث تكون نسبة من الضعفاء وأخرى من المتوسطين وثالثة من المتفوقين. وميزة هذا الأسلوب أن القيم لا تقع كلها عند طرف واحد من القياس، حيث يتم توزيع العاملين على المنحنى الكلي[3].

- **قوائم المراجعة:**

هي استمارة تقييم تتضمن عددا من الأسئلة المحددة عن أداء العامل أو سماته، تطالب المقيم أن يؤشر ب "نعم "أو" لا "على كل سؤال. وتستخدم هذه الطريقة غالبا، عندما تهتم المؤسسة بسمات معينة للعامل كالطموح وتحمل المسؤولية، وهي تصلح للمنظمات الصغيرة أو متوسطة الحجم[4].

- **طريقة الاختيار الإجباري:**

يتم في هذه الطريقة وضع بعض القيود على حرية المقيم في توزيع العاملين وتقدير أدائهم، وعلى هذا فإن المقيم عليه أن يقوم بتوزيع ترتيب العاملين الذين يقوم بقياس أدائهم بالشكل الذي يرتكز على فكرة التوزيع الطبيعي، هذه الطريقة تتسم بالسهولة، ولكن ما يعيبها وجود حدود لما يجب أن تكون عليه النتائج ،كما أنها تصبح صعبة التقييم إذا قل عدد المرؤوسين[5].

- **طريقة المواقف الحرجة:**

تعتمد هذه الطريقة، على قيام المقيم بتسجيل الأحداث الجوهرية التي قام بها العامل، فيتم تسجيل وقت ومتى وأين ولماذا حدث هذا التصرف ومع من، ويمكن القرار هنا على معرفة السلوك الذي انتهجه العامل اتجاه الحدث[6].

---

[1] غياث، بوفلجة (2005).**مبادئ التسيير البشري** .وهران :دار الغرب للطباعة والنشر ، ص 53.

[2] نفس المرجع، ص 53.

[3] المرجع السابق، ص 54.

[4] سعاد، نايف برنوطي (2007) .**إدارة الموارد البشرية** .عمان :دار وائل للنشر والتوزيع، الطبعة3، ص ص 407، 408.

[5] سمير، محمد عبد الوهاب .ليلى، مصطفى البرادعي (2006).**إدارة الموارد البشرية :المفاهيم والمجالات الجديدة** .القاهرة :مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة،ص ص 112،113.

[6] محمد، الصريفي (2006).**هندرة الموارد البشرية** .الإسكندرية :مؤسسة حورس للنشر والتوزيع، الطبعة 1 ، ص359 .

ب-الطرق الحديثـة:

- **طريقة مقياس السلوكية المتدرجة:**

تعتمد هذه الطريقة على الصفات السلوكية المحددة على المقياس العمودي المتدرج، حيث أن كل صفة من الصفات السلوكية المرتبطة بالأداء المطلوب تحدد لها درجات ويتم وضع وصف كامل لكل درجة من هذه الدرجات.

- **طريقة مقياس الملاحظات السلوكية:**

تعتمد على السلوك الملاحظ أي تتم ملاحظة السلوك بدلا من السلوك المتوقع، أي أن المقيم يقوم هنا بمراقبة ومتابعة العاملين[1].

- **الطريقة الإحصائية:**

وتشمل التقارير التي تعتمد على بيانات الأداء التي تم معالجتها إحصائيا وتحليلها لاستخراج مؤشرات دقيقة، مع استخدام التمثيل البياني لإثراء المعلومات المقدمة والتعبير عنها في صور مرئية سريعة.[2]

6. **مشاكل عملية تقييم الأداء والشروط الواجب توفرها لنجاحها:**

بالرغم من الأهمية القصوى التي تكتسيها هذه العملية إلا أنها لا تخلو من المشاكل التي تؤثر فيها، والتي بسببها يقع المقيمون في أخطاء عند تقييمهم لأداء عامليهم. وهذه المشاكل يمكن تلخيصها في وجود اعتقاد خاطئ بعدم الحاجة لتقييم العاملين بالدرجات العليا، الميل إلى التقييم العشوائي، خطا التأثير بالهالة، التأثر بالأداء الحديث، الوقوع في التحيزات الشخصية، الميل إلى التساهل أو التشدد[3].

لذا لابد من بعض الإرشادات لتطوير هذه العملية في ظل التغيرات الحاصلة وفيما يلي بعض الإرشادات لتطوير عملية تقييم الأداء:[4]

- إجراء تحليل وظيفي لضبط المعايير والمقاييس المطلوبة لأداء ناجح.
- دمج هذه المعايير والمقاييس في وسيلة تقييم مناسبة.
- استخدام أبعاد فردية محددة للأداء الوظيفي مثل الكم والكيف.
- إخبار كل من العاملين والمقيمين بمعايير الأداء كتابيا.
- استخدام معدلات وتقييمات إشرافية كالمقالات كأحد عناصر التقييم الشامل.
- تدريب المشرفين على استخدام وسيلة التقييم بشكل صحيح، وإعطاء التعليمات حول كيفية استخدام معايير ومقاييس التقييم.
- السماح للمقيمين بالاحتكاك اليومي بالعاملين الذين يتم تقييمهم.

---

[1] عمر، وصفي عقيلي (2009).**إدارة الموارد البشرية :بعد استراتيجي** .عمان :دار وائل للنشر، الطبعة1 ، ص ص 248،250.

[2] طارق، طه (2006).**السلوك التنظيمي في بيئة العولمة والانترنيت** .الإسكندرية :دار الفكر الجامعي، ص370 .

3 معن، محمود عياصرة .محمد، بني أحمد .مرجع سابق، ص11 .

4 جاري، ديسلر (2007).**إدارة الموارد البشرية** .الرياض :دار المريخ للنشر، ترجمة محمد، سيد عبد المتعال. .عبد المحسن، جودة، ص34.

- يجب أن تتاح للعاملين فرصة مراجعة التقييم وكتابة التعليقات سواء على الورق أو شفهيا قبل أن يكون التقييم نهائيا.
- إعطاء إرشاد ودليل لمساعدة العاملين ذوي الأداء المنخفض لتحسين أدائهم.

II. إعلان نتائج تقييم الأداء:

كما ذكرنا في اشكاليتنا المطروحة، أنه لا يوجد أي عامل ايجابي من جعل تقييم الأداء سريا، خاصة وأن الأعوام القادمة سوف تشهد اتجاها كبيرا نحو جعل تقييم الأداء معلنا. فبعد تقييم أداء العامل، لابد من إتباع إجراءات معينة لتحقيق هدف التقييم، والإجراء الأساسي في هذه العملية هو إعلان نتائج التقييم أي مقابلة العاملين وإمدادهم بالمعلومات التي تم جمعها عن أدائهم، لأنه لا فائدة من وضع تقييم لأداء العامل دون أن يطلع على التقدير العام لمستوى أدائه والذي وضعه عنه المسؤولون.

فالعامل بحاجة إلى أن يعرف ماذا يتوقع منه مسؤوله، وكل هذا يتطلب بالضرورة أن يكون التقييم لأدائه معلن أي أن يطلع العامل على نتائجه ويناقشها مع مسؤوله.

ونقصد **بعلانية تقييم الأداء**، إخبار ومناقشة العامل بنتيجة تقييمه، والغاية من ذلك معرفة العامل لجوانب القوة وتعزيزها، وجوانب الضعف لتفادي حصول ذلك في المستقبل[1].

بطريقة أخرى هي جعل التقييم مكشوفا بالنسبة للمسؤول والعامل نفسه، أي أن المسؤول يطلع كل عامل على تقييمه له ويناقش نتائج التقييم مع العامل في مقابلة تقييمية.

1. أهمية علانية تقييم الأداء:

تتجلى أهمية تطبيق تقييم أداء معلن في:[2]

- وقوف العامل على جوانب الضعف والقصور في أدائه، وبذلك تكون لديه إرادة لتحسين أدائه.
- السماح للعامل بإبداء رأيه بحرية حول نتائج التقييم والصعوبات والمشاكل التي تعترض عمله، وكذا اقتراحاته لحلول يراها مناسبة.
- تصحيح سوء الفهم المحتمل بين العامل ومسؤوله حول عملية التقييم.
- إشباع رغبة العامل في معرفة ما يظنه المسؤولون به وبعمله.

أهمية إعلان نتائج تقييم الأداء لا تقتصر على هذا الحد فقط، وإنما العلانية تحرص على تقديم الحقيقة فيما يكتبه المسؤول عن عامله مادام التقرير المقدم منه سيكون تحت نظر العامل، وبذلك تتوفر العدالة إضافة إلى إن السرية قد تضيع أهم هدف لتقييم الأداء، وهو السمو بمستوى كفاية العامل وتحسين أدائه إلى الدرجة المنشودة من جهة، ومن جهة أخرى فإن السرية تشيع جوا من الشك في تصرفات الإدارة ونواياها ومن ثم تفشل عملية التقييم في تحقيق أهدافها لأن مبدأ السرية غير عملي .كما أن التقييم المعلن للأداء يساهم في

1 سمير، محمد عبد الوهاب .ليلى، مصطفى البرادعي .مرجع سابق ، ص 98.

2 Jean-Marie, PERETTI (2007). **Ressources humaines et gestion des personnes**. Paris : Vuibert, 6ème édition, p 92.

اطلاع العامل على حقيقة أدائه ومعرفة أن كفاءته في العمل منخفضة، ويقتنع حينئذ بفائدة التدريب إضافة إلى توفير العدالة لأن النتائج ستكون موضوع مناقشة بين المسؤول والعامل، مما يجعل الأول أكثر جدية وعدالة في تقييمه، والثاني تزداد ثقته في عملية التقييم ومن ثم يتحسن أداؤه.

1. **مقابلـة تقييـم الأداء وأنواعهـا:**

تعد مقابلة تقييم الأداء ركنا أساسيا ومهما من أجل تحسين وتطويرأداء الموارد البشرية .وهي تتم مع العاملين لتقييم أدائهم عن فترة سابقة بأهداف المنظمة، وبالتالي هي فرصة لمراجعة انجازاتهم مع مسؤوليهم المباشرين.

- إعطاء العامل فكرة واضحة عن طريقة أدائه للعمل، مع تبيين وشرح نقاط الضعف فيها ومناقشة سبل تحسينها.
- إرساء أسس لعلاقات طيبة بين العامل ورئيسه وذلك بتقريب وجهات النظر بينهما حتى يفهم كل منهما الآخر، بإزالة أوجه الخلاف بينهما.
- توضيح مستوى الأداء المطلوب وشرح أهداف العمل ومتطلباته.
- اقتناع العامل بحكم المقيم كونه كان جزءا من المقابلة.
- إعلان النتائج ومناقشتها مع العاملين تزيد من ثقتهم في التقييم على عكس إذا كانت سرية.

تختلف مقابلات تقييم الأداء من مقابلة إلى أخرى، فنجد:

أ. **مقابلات الإخبار والإقناع:**

يكون الهدف هنا، إخبار العامل بنتائج التقييم ويستخدم هذا النوع من المقابلات مع العاملين الجدد الذين يتوقعون معلومات مرتدة من رؤسائهم عن أدائهم في العمل وكيف يمكنهم تطويره.[1]

ب. **مقابلات الإخبار والاستماع:**

هنا يخبر المسؤول العامل بنتائج التقييم، ولكنه يرغب في الاستماع له، فهذه الطريقة تتيح الفرصة لشرح أسباب انخفاض الأداء وإبداء مختلف المشاعر الدفاعية بخصوص الأداء، ثم المشورة للأفراد في كيفية تحسين الأداء.[2]

ت. **مقابلات حل المشاكل:**

يستخدم هذا الأسلوب المفتوح مع طريقة حل المشاكل في مقابلة تقييم الأداء بشكل كبير، ويتبادل الطرفان في المقابلة التأثير حيث يلعب المشرف دور المساعد والمؤيد بدلا من المقيم، أي في ظل هذا المدخل يتم تحديد المشكلات التي تؤثر على أداء الفرد ومن ثم وضع الأهداف المستقبلية.[3]

2. **اعتبـارات أسـاسيـة لنجـاح مقابلـة التقييـم:**

---

1 سمير، محمد عبد الوهاب .ليلى، مصطفى البرادعي .مرجع سابق، ص 10.

2 عصام الدين، أبو علفة (2002).**اتجاهات معاصرة في إدارة الموارد البشرية :النظرية والتطبيق** .مصر :شركة الجمهورية،ص28 .

3 نفس المرجع، ص286 .

لتحقيق الفعالية المطلوبة في مقابلة تقييم الأداء، لابد من المشرف مراعاة عدة اعتبارات تضمن السير الحسن لهذه المقابلة ومن ثم تحقيق هدف نظام تقييم الأداء في تحسين أداء العامل والسمو به إلى أعلى المستويات، نذكر منها:[1]

- التركيز على جوانب القوة والضعف في الأداء على حد سواء، فالبعض يركز على الضعف و يهمل القوة وهذا خطأ بحد ذاته، فتحسين الأداء يتطلب معالجة الضعف وتنمية القوة في نفس الوقت.
- مشاركة الفرد في المناقشة، فالمناقشة هدف إلى تحسين الأداءوتنمية الاتصال باتجاهين.
- مراعاة الصراحة والصدق، فلا مجال للمجاملة في مقابلة الأداء طالما أن مسعاها الأول والأساسي هو تحسين الأداء.
- الابتعاد كل البعد عن الانتقاد، فهدف المقابلة هو علاج الضعف وتنمية نقاط القوة وتحسين الأداء، فالانتقاد يولد لدى العامل ردة فعل عكسية تجاه المقيم يفقد المقابلة فائدتها.

ومن العوامل التي يمكن أن تؤثر على نجاح أو فشل المقابلة2:

- كلما زاد عدد العاملين المشاركين في عملية التقييم كلما زاد رضاهم عن مقابلة التقييم وعن المسؤول، وكلما كان هناك احتمال أكبر لقبول أهداف تحسين الأداء.
- كلما زاد استخدام المشرف لأساليب تحفيزية ايجابية مثل :تقدير الأداء الجيد، كلما كان الفرد أكثر رضا عن المقابلة التقييمية.
- التحديد المتبادل من جانب كل من المشرف والعامل لأهداف تسعى لتحسين الأداء، يؤدي إلى تحسين اكبر في الأداء عنه في حالة الانتقاد.
- كلما زاد إدراك العامل بوجود علاقة بين نتائج تقييم الأداء وما يحصل عليه من مكافآت تنظيمية ورقي في أدائه، كلما زادت الفائدة المرجوة من المقابلة.

III. منهجيــة البحــث:

في موضوعنا هذا سلطنا الضوء على دراسة حالة لمؤسسة صناعية عمومية جزائرية، وهي مؤسسة سخاتة وملابس لبال الجلدية Mvl Cuir والتي يعود تأسيسها إلى سنة 1950 وهي مؤسسة مختصة في صناعة الملابس، و وبالتالي فإن دراستنا شملت جميع عمال هذه المؤسسة والذي يقدر عددهم ب 150عاملا، (29 إطار، 11 عون تحكم، 110 عون تنفيذ) أي قمنا بمسح شامل لهذه المؤسسة.

اعتمدنا في بحثنا على تقنية الاستمارة بالمقابلة يرجع استعمالنا لهذه التقنية لما لها من إمكانيات لتكميم الواقع على ضوء السلوكيات والتصورات الذهنية المتنوعة الموجودة فيه، كما أن المعلومات في هذا الصدد تكون موجزة. هذا وتضمنت استمارتنا أربعة محاور :المحور الأول ضم البيانات الشخصية للمبحوث

1عمر، وصفي عقيلي .مرجع سابق، ص 430.

2 حسن، راوية (2000).**إدارة الموارد البشرية :رؤية مستقبلية** .الإسكندرية :كلية التجارة ، ص231 .

أما المحور الثاني فكان حول ثقافة إعلان نتائج تقييم الأداء والكيفية التي تتم بها عملية تقييم الأداء في المؤسسة وكذا مدى اطلاع العامل على نتائج تقييمه ورأيه في هذه العملية .في حين المحور الثالث فقد ضم عدالة وموضوعية تقييم الأداء المعلن وكيفية إدارة المقابلة التقييمية، وأخيرا المحور الرابع خصصناه لمعرفة مدى تحسن الأداء بعد مناقشة العامل لنتائج تقييمه.

تكونت استمارتنا من 39 سؤالا، جلها مغلقة ولكن هذا لم يمنعنا من إدراج بعض الأسئلة المفتوحة والتي بلغ عددها 05 أسئلة مفتوحة.

في بحثنا هذا قمنا بتوزيع 150 استمارة، ولكن لم نسترجع سوى 132 ، وذلك بسب وجود 06 استمارات ملغاة و 12استمارة لم يرد العمال الإجابة عن أسئلتها، لأنه لم يسمح لنا بملء الاستمارات عن طريق المقابلة مع كل عاملي المؤسسة، بحيث أجرينا مقابلات إلا مع الإطارات والتقنيين وبعض العمال المنفذين أما البقية فوزعت عليهم الاستمارات على شكل استبيان.

IV. عـرض نتائـج الدراســة وتحليلها:

1- ثقافـة علانية تقييم الأداء في المؤسسـة:

في هذه المرحلة سنتعرف على عملية تقييم الأداء الموجودة في مؤسسة سخاتة وملابس لبال الجلدية، أي حاولنا الإحاطة بالكيفية التي يتم بها تقييم أداء العامل على هذه مستوى هذه المؤسسة.

ومن خلال عرضنا للبيانات في جداول إحصائية وتحليلها، وجدنا أن مؤسسة سخاتة وملابس لبال الجلدية تقيم أغلب عامليها بنسبة 84,09%، في حين بقية العمال لا يتم تقييم أدائهم. ويمكن إرجاع هذا، إلى نقص الوعي في أن عملية التقييم ليست مجرد نظام إداري فحسب، وإنما هي عملية هدفها الأساسي تحسين أداء العامل، أي أن المؤسسة تقيم أداء عامليها ليس من أجل تحسين أدائهم وإنما لكون عملية التقييم جزء من وظيفة الرقابة.

وعن العمال الذين يتم تقييم أدائهم، توصلنا إلى أن هؤلاء العمال يوافقون على أن يكون الرئيس المباشر هو المسؤول عن عملية تقييمهم، وذلك لثقتهم فيه بسبب معرفته ودرايته بقدرات العامل الذي هو تحت إشرافه نتيجة الاحتكاك اليومي معهم، حيث هذا الاحتكاك يجعله مؤهلا لتقدير أداء العامل بشكل صحيح مبرزا بذلك جوانب القوة والضعف في أدائهم من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذا المسؤول يتواصل مع العمال بطريقة مباشرة ويخلق جوا من مناسبا للاتصال، لذا يفضل العمال في أن يكون هذا الشخص هو المسؤول عن تقييم أدائهم.

واستخلصنا كذلك أن المؤسسة لا تطلع جميع العاملين على نتائج تقييمهم، ومع أن لجميع العمال الحق في معرفة مستوى أدائهم إلا أن إدارة هذه المؤسسة تبقيها سرية عن بعضهم، وسبب هذا يعود أساسا إلى الإهمال وجهل المسؤول مدى أهمية اطلاع جميع العمال على نتائج تقييمهم.

وما لاحظناه كذلك، أن الإدارة تقوم بإطلاع كل إطارات المؤسسة على نتيجة تقييمهم بسبب مناصبهم القيادية وبرامج الترقية التي تمس هذه الفئة، في حين نسبة قليلة من المنفذين ممن يتم إطلاعهم على هذه النتائج على الرغم من أن العملية الإنتاجية تتوقف على مستوى أدائهم كونهم أهم عناصرها.

واستخلصنا أيضا أن أقدمية العامل تؤثر على اطلاعه على نتيجة تقييمه، فكلما كان العامل يتمتع بأقدمية طويلة في المؤسسة كلما أطلعته المؤسسة على نتيجة تقييمه إما بهدف ترقيته وإما احتراما لسنوات العمل التي قضاها بالمؤسسة.

إلى جانب الأقدمية، فإن للجنس هو الآخر له تأثير على اطلاع العامل على تقدير أدائه، حيث أن العمال الذكور بمؤسسة سخاتة أكثر اطلاعا على نتائجهم من الإناث اللواتي لا يطلعن غالبا على مستوى أدائهن، بسبب النظرة التمييزية التي تفضل الذكور على الإناث والتي هي جزء من الثقافة التنظيمية المستمدة من مجتمع تقليدي ذكوري.

جدول رقم (01) يبين علاقة الاطلاع على نتائج التقييم بالمساهمة في تحسين أداء العامل:

الاطلاع على النتائج / المساهمة في تحسين الأداء	يطلع	لا يطلع	المجموع
تساهم في تحسين الاداء	85 89.47%	4 25%	89 80.18%
لا تساهم في تحسين الأداء	10 10.53%	12 75%	22 19.82%
المجموع	95 100%	16 100%	111 100%

نستخلص من خلال هذا الجدول الخاص بمدى مساهمة علانية تقييم الأداء في تحسين أداء العامل، أن الاتجاه العام يميل للعاملين الذين يرون أن علانية التقييم تساهم قي تحسين الأداء بنسبة 80،18% مدعمة بالعمال الذين يطلعون على نتائج تقييمهم بنسبة 89،47%، بينما نجد أن العمال الذين يرون أن إعلان النتائج نتائج تقييم الأداء لا تساهم في تحسين أدائهم بلغت نسبتهم 19,82% مدعمة بنسبة 75% ممن لا يطلعون على نتائج تقييمهم.

وعليه نلاحظ أن العمال الذين يطلعون على نتائج تقييمهم يرون أن علانية تقييم الأداء عملية مجدية تساهم في تحسين أدائهم، وهذا بسبب الفرصة التي تتيح معرفة النتائج في الاطلاع على مستوى الأداء الفعلي، وبالتالي فإن العامل في هذه الحالة يقف عند نقاط ضعفه خاصة إذا تم هذا في إطار مقابلة تقييمية بين الرئيس والمرؤوس، يناقش فيها الطرفان كل جوانب العمل ويسعيان لتحسين الأداء ببناء حوار بإمكانه تحقيق وإنجاح هدف تقييم الأداء المتمثل أساسا في تطوير أداء العامل لأن "مبدأ السرية غير عملي

ولا يحقق هدف نظام تقييم الأداء الذي يقوم على أساس اكتشاف وتحديد نقاط الضعف في أداء العامل للقيام بعلاجها وتطوير أدائه في المستقبل"[1].

أما فيما يخص الأسلوب المنتهج من طرف الإدارة في إعلان نتائج التقييم، فإننا توصلنا إلى أن المقابلة التقييمية هي التقنية الأساسية في ذلك، ووجدناها تساهم في تحسين أداء العامل والارتقاء به. إلا أن هذا لم يمنع الإدارة من استخدام تقارير الأداء في إخبار بعض العاملين على نتائج تقييمهم، وهذه التقارير تكون عادة موجهة إلى لفئة المنفذين.

إلا أن عمال المؤسسة يفضلون أسلوبا عن آخر، ويعود هذا إلى المعاملة التي يُعامَلون بها في مقابلة الأداء، حيث أن نسبة كبيرة من العمال أجمعت على تفضيل المقابلة التقييمية في إعلان النتائج نظرا للجو المريح الذي يخلقه القائم عليها من ألفة وتعاون، مما يبعث هذا الطمأنينة والراحة في نفسية العامل فتتقوى العلاقة بين الطرفين ويسهل الاتصال بينهما فيتحسن الأداء بمناقشة بناءة، وعلى عكس هذا توصلنا إلى أن الجو الديكتاتوري المتسلط يجعل العامل يتحاشى المقابلة التقييمية مفضلا بذلك تقرير الأداء الذي يجنبه الاصطدام بمسؤول ناقد، وبالتالي استخلصنا أن لمعاملة المسؤول تأثير على أسلوب العامل المفضل في اطلاعه على نتيجة تقييمه.

وفي متابعتنا لأطوار المقابلة التقييمية استنتجنا وجود عدة أسس تقوم عليها هذه المقابلة والتي تؤثر إما سلبا أو ايجابيا على أداء العامل، وأحسن الأسس تلك القائمة على ذكر الجوانب الايجابية والسلبية للأداء والتي نتج عنها أداء جيد لمجتمع بحثنا، حيث أن ذكر الجوانب الايجابية والسلبية يدل على وجود مسؤول ديمقراطي يسعى لتحسين أداء عامليه.

[1] عمر، وصفي عقيلي. مرجع سابق، ص 427.

جدول رقم (02) يبين علاقة اطلاع العامل على نتيجة تقييمه ورأيه في هدف تقييم الأداء:

الاطلاع على النتائج / هدف التقييم حسب رأي العامل	يطلع	لا يطلع	المجموع
الترقية والحوافز	20 21.05%	4 25%	24 21.62%
تحسين الاداء	63 66.32%	3 18.75%	66 59.46%
الانضباط والمعاقبة	12 12.63%	9 56.25%	21 18.92%
المجموع	95 100%	16 100%	111 100%

من خلال قراءتنا لهذا الجدول الذي يبين تأثير اطلاع العامل على نتيجة تقييمه على رأيه في هدف تقييم الأداء، يتجلى لنا أن اتجاهه العام يميل لفئة لعمال الذين يرون أن هدف التقييم في مؤسستهم هو تحسين الأداء بنسبة 59,46% مدعمة بنسبة 66,32% ممن يتم اطلاعهم على نتائج تقييمهم، بينما نجد نسبة 18,92 % من العمال ممن يرون أن تقييم أداؤهم هدفه الانضباط والمعاقبة مدعمة بنسبة 56,25% ممن لا يتم اطلاعهم على نتائج تقييمهم.

وعليه نستنتج أن اطلاع العامل على نتيجة تقييمه أو إبقاؤها سرية تؤثر على رأيه حول هدف تقييم الأداء في المؤسسة التي ينتمي إليها. حيث أن عمال مؤسسة سخاتة وملابس لبال الجلدية الذين يطلعون على نتيجة تقييمهم يرون أن هدف التقييم هو تحسين أدائهم، ويمكن إرجاع هذا إلى أن إعلان نتائج تقييم الأداء واطلاع العامل عليها تعني المقابلة التقييمية، التي تُحدد فيها نقاط قوة وضعف أدائه بتقديم الحلول المناسبة لتصحيح مواطن ضعفه وتعزز فيها عناصر القوة وذلك عن طريق مناقشة التقييم مع المشرف الذي يقدم تغذية عكسية لعامله ويعرفه بالمستوى الذي وصل إليه، وبالتالي يسعى العامل جاهدا لتطوير أدائه وتنميته لارتفاع روحه المعنوية نتيجة شعوره بالاهتمام والانتماء، لذل فكل عامل يطلع على نتائج تقييمه يشعر بمصداقية العملية وفعاليتها من جهة، ومن جهة أخرى فالثناء على أداء العامل بتحديد نقاط قوته من العوامل المحفزة لتحسين الأداء وتعزيزه، كما أن الوقوف على نقاط الضعف فيه والعمل على تلافيها يزيد من ثقته مما يدفعه عفويا لمعالجة هذا القصور.

إذن وبعد هذه التحليلات، نجد أن ثقافة إعلان نتائج تقييم الأداء متوفرة إلى حد ما في مؤسسة سخاتة وملابس لبال الجلدية، وتظهر هذه الثقافة في اطلاع العامل على نتيجة تقييمه، وفي مقابلة التقييم بمناقشة جوانب الأداء وحتى في معاملة المسؤول للعامل أثناءها. ويمكننا القول أن هذه الثقافة تساهم في

تحسين أداء العامل لأنه في هذه الحالة يعرف نقاط ضعف وقوة أدائه من جهة، ومن جهة أخرى الظروف المريحة المحيطة به أثناء مناقشته للأداء تعطيه دافعا لتطوير أدائه.

إلا أن ما يعيب هذه الثقافة هو عدم تعميها على جميع العمال على الرغم من دورها الفعال في تحسين أداء العامل مثلما جاء مبين في تحليل البيانات التي تتعلق بمجتمع بحثنا.

2. عدالـة وموضوعيـة التقييـم المعلـن:

سنحاول في هذا الجزء معرفة إلى أي مدى تطبق مؤسسة سخاتة تقييم أداء عادل وموضوعي، وتأثير هذا على تحسن أداء العامل، وبعد النتائج المتوصل إليها يمكننا القول أن:

إدارة مؤسسة سخاتة وملابس لبال الجلدية لا تقوم بمناقشة معايير التقييم مع جميع العمال، فأغلبية العمال لا يعرفون على أي أساس تم تقييم أدائهم إلا فئة الإطارات فإنها تعلم مسبقا متطلبات التقييم، ويقوم المسؤول بمناقشتها قبل إجراء التقييم ظنا منه أن الإطارات هي الفئة الوحيدة المعنية بالتقييم.

كما استنتجنا أن أي أن عمال مؤسسة سخاتة وملابس الجلدية الذين يطلعون على نتيجة أدائهم يرون أن عملية تقييم الأداء هي عملية عادلة، أما الذين لا يتم إخبارهم بمستوى أدائهم يصفون العملية التقييمية بالتحيز حسب الجدول التالي:

جدول رقم (03) يبين علاقة اطلاع العامل على نتيجة تقييمه ورأيه حول عملية التقييم:

الاطلاع على النتائج / رأي العامل في عملية التقييم	يطلع	لا يطلع	المجموع
عمليــة عادلــة	85 89.47%	4 25%	89 80.18%
عملية مبنيـة على أســاس التحيز	10 10.53%	12 75%	22 19.82%
المجموع	95 100%	16 100%	111 100%

يتضح لنا من خلال الجدول أعلاه الخاص بعلاقة اطلاع العامل على نتيجة تقييمه ورأيه حول عملية التقييم، أن اتجاهه العام يميل إلى فئة العاملين الذين يرون أن عملية التقييم هي عملية عادلة وذلك

بنسبة 79.28% مدعمة بنسبة 88.42% من العمال الذين يطلعون على نتيجة تقييمهم، في حين نجد نسبة 20.72% من العمال ممن يجدون أنها عملية فيها تحيز مدعمة بنسبة 75% من العمال الذين لا يطلعون على نتيجة تقييمهم.

ويمكن تفسير هذا، بالقول أن اطلاع العامل على نتيجة أدائه ومعرفته لمستواه الحقيقي من طرف مشرفه يشعره بعدالة التقييم، فاطلاعه على نتيجة تقييمه تعني مناقشته جوانب الأداء بالإضافة إلى اقتراح حلول مناسبة لتحسين الأداء خاصة إذا كان الأداء ضعيف، وتعزيز الايجابيات فيه، اطلاع العامل على نتيجة تقييمه تجعله أكثر شعور بالمسؤولية، وذلك لزيادة شعوره بالعدالة كون جهوده أخذت بالحسبان، حيث أن تقديم المعلومات للعامل على ما آل إليه أداؤه يزيده ثقة بعملية التقييم ويشعره أن تقييم الأداء هو اختبار عادل لأدائه، وبالتالي فإن هذا يدفعه للعمل وتحسين أدائه وحتى الولاء للمؤسسة، خاصة إذا استخدمت هذه النتائج كأساس للترقية أو الحوافز أو تحديد الاحتياجات من التدريب لتحسين الأداء، فكل هذا يُشعر العامل بعدالة عملية تقييم الأداء وتزداد ثقته بها وبالمسؤول عن تقييمه.

أما إذا حدث العكس وأخفت الإدارة النتائج على الرغم من أنها قيمت أداء عمالها، فإن هذا يولد الريبة في سلوك ونفسية العامل، وبالتالي يصف عملية تقييم الأداء بالتحيز نتيجة جعل التقييم في تقارير سرية لا يمكن الاطلاع عليها من طرف العامل، عندئذ لا شك في أن تفقد عملية التقييم مصداقيتها في نظر العامل لأنه ما من سبب يجعل الإدارة تخفي نتائج التقييم إلا إذا كان الأساس الذي بنيت عليه هذه العملية غير موضوعي.

وما توصلنا إليه كذلك، أن العامل الذي لا يثق في مقيمه يكون أكثر حرصا ورغبة في الاطلاع على نتيجة تقييمه لشكه في موضوعية التقييم بسبب تحيز مقيمه لعامل آخر على حسابه، فعدم الثقة هذه ينتج عنها انخفاض روحه المعنوية ومن ثم تراجع مستوى أدائه.

وما استخلصناه أيضا، أن أغلبية العمال يبدون رأيهم في مقابلة التقييم ويناقشون أدائهم بحرية، و مَرَدُّ هذا إلى المعاملة الجيدة التي يحيطهم بها القائم على المقابلة التقييمية عند مناقشته معهم لجوانب أدائهم، حيث توصلنا إلى أن هذا المشرف ديمقراطي يفتح المجال للعمال لإبداء رأيه حول نتيجة تقييمه، فيكون الاتصال بين الطرفين فعال ويبدي العامل استعدادا لتحسين أدائه بسبب هذه الظروف المريحة التي تزيد من ثقته وترفع روحه المعنوية.

إضافة إلى هذا وجدنا أن المسؤول في مؤسسة سخاتة وملابس لبال الجلدية أثناء إدارته للمقابلة التقييمية يقدم حلولا مناسبة لتحسين أداء العامل عند مناقشته لنقاط ضعفه مما نتج عن هذا أداء جيد لكل عامل تمت مساعدته بحلول ملائمة لتحسين أدائه، ومن أهم هذه الحلول إخضاع العامل للتدريب لتطوير مهاراته، حيث أن هذه المؤسسة تلحق نسبة كبيرة من العمال ببرامج تدريبية بعد تقييم أدائهم مما ساهم هذا في تحسن أداء أغلبيتهم وتطور قدراتهم ، حيث أن التدريب كان نتيجة لتقييم أداء العاملين وتحديد احتياجاتهم، وهذا التدريب أدى إلى تحسين أدائهم.

واستنتجنا، أن المقيم الديمقراطي الذي يتعامل بألفة وتعاون مع العامل والذي يفتح له المجال لإبداء رأيه في مقابلة التقييم لا يتوقف دوره عند هذا الحد، بل يحرص دائما على متابعة تحسن أدائه بعد التقييم وحتى بعد خضوعه للتدريب، ويعبر هذا عن مصداقية العملية في محاولة الارتقاء بأداء العامل.

وفيما يخص التظلم من نتائج تقييم الأداء، فقد وجدنا أن هناك عمال غير الراضين على نتائج تقييمهم وهؤلاء العمال يرفعون تظلمات إلى الإدارة والتي لا تأخذها بعين الاعتبار نتيجة غياب المساءلة والرقابة من جهة، ومن جهة أخرى إهمال التظلم واعتباره إجراء شكلي.

وفي سؤال وجهناه لمجتمع بحثنا حول أسباب جعل التقييم سري، فإن أغلب العاملين يرون أن السبب الرئيسي يكمن في التحيز لعامل آخر بسبب مصالح مشتركة بين العامل ورئيسه، مما يُفقد الثقة في العملية التقييمية وفي عدالتها حسب ما يبينه الجدول التالي:

جدول رقم (04) يبين سبب جعل التقييم سري:

أسباب جعل التقييم السري	التكرار (ك)	النسبة%
عدم محاسبة المسؤولين	43	32.58
التحيز لعامل آخر	65	49.24
عخد رغبة العامل في الاطلاع على نتيجة تقييمه	24	18.18
المجموع	132	100

من الجدول أعلاه الخاص بسبب جعل الإدارة التقييم سري، نجد أن عمال مؤسسة سخاتة وملابس لبال الجلدية يُجمعون بالتحيز لشخص آخر في تقييم الأداء وذلك بنسبة 42,24%، بينما عمال آخرون يرون أن سبب جعل التقييم سري هو عدم محاسبة المسؤولين عن عملية التقييم وبلغت نسبة هؤلاء العمال 32,58%، فيما نجد بقية العمال يتفقون على أن عدم رغبة العامل في الاطلاع على نتيجة أدائه تعد سببا من أسباب جعل التقييم سري وذلك بنسبة 18,18%.

ما نلاحظه في هذه المؤسسة أن التحيز في تقييم أداء العاملين من طرف المسؤول عن هذه العملية من أكثر الأسباب التي تدفع الإدارة إلى جعل التقييم سري، أي عدم إعلان نتائج هذا التقييم لتفادي الاصطدام مع العامل. فعمال هذه المؤسسة أكدوا لنا أن الإدارة تعلن التقييم لبعض العمال، فيتم ترقيتهم ومكافأتهم على هذا الأساس أما البعض الآخر فإن المؤسسة لا تقوم بإخباره بنتائج تقييمه وأحيانا كثيرة لا تقيم أدائه أصلا، وهذا ما يسمى بالتحيز.

إعطاء تغذية عكسية للعامل بعد تقييم أدائه من احد عوامل نجاح نظام تقييم الأداء، وذلك لتحسين أدائه، تقديم المكافآت والترقيات وحتى الفصل من العمل.

ففي ظل هذه الأمور من غير المعقول أن تتحيز الإدارة لعامل وتهمل عامل آخر، فالتحيز الذي نقصده هنا ليس تقييم عامل وإهمال آخر وإنما التحيز، أو إعلان النتيجة لعامل ما وإخفاءها عن آخر، وإنما التحيز الذي نعنيه هنا هو أيضا ذلك الذي تسلكه الإدارة وهو موجود في عملية التقييم بحد ذاتها، وهذا ما يُفقد الثقة في العملية التقييمية وفي عدالتها. ومن الأسباب أيضا عدم محاسبة المسؤولين عن دقة نتائج تقييم الأداء في ظل غياب الرقابة والمساءلة، فهذا الانحراف الإداري يساهم بشكل كبير في تردي الأداء، والعكس إذا اطلعت المؤسسة عامليها على نتائج تقييمهم، فإن هذا يسمح لهم بمعرفة نقاط ضعفهم ويحاولون تلافيها ومن ثم يضمنون تحسن أدائهم وتطوره.

العملية التقييمية تساهم في تحسين أداء العامل، إلا أن عدالتها ومصداقيتها تعتبر نسبية لعدم تعميمها على جميع عمال المؤسسة، فهي عادلة وموضوعية بالنسبة للعمال الذين يطلعون على نتيجة تقييمهم، بينما هي يرى البعض والذين لا يتم إطلاعهم على نتائجهم أنها عملية قائمة على أساس التحيز والمحسوبية والمحاباة.

فالعدالة والموضوعية والمصداقية التي يشعر بها العمال الذين يتم إخبارهم بنتائج تقييمهم تؤدي إلى تحسين أدائهم، بينما العكس إذا شعر العامل بالتحيز فإنه يفقد الثقة في العملية التقييمية وفي مقيمه ويتراجع أداؤه بسبب سرية نتائج التقييم التي تزرع بداخله شكوكا حول عدالتها ومصداقيتها.

خلاصـــــــة:

كما قلنا في بداية الدراسة، أن أهمية نظام تقييم الأداء تأتي من أهمية اطلاع العامل على نتيجة تقييمه، فعلانية تقييم الأداء تساهم بشكل كبير في تحسين أداء العامل حين يعرف نقاط ضعف وقوة أدائه من جهة، ومن جهة أخرى فإن اطلاع العامل على نتيجة تقييمه تزيد من ثقته في هذه العملية لشعوره بعدالتها وموضوعيتها مما يساهم في رفع روحه المعنوية وزيادة ولائه التنظيمي، إلا أن نظام تقييم الأداء بصفة عامة وعلانيته بصفة خاصة، لازالت تعاني من بعض المشكلات المتعلقة بتعميم هذا النظام على جميع العاملين، حيث أن واقع هذه المؤسسة اثبت لنا عدم تطبيق العلانية على كل العمال على الرغم من أن الاطلاع على نتائج التقييم أدى إلى تحسين أداء العامل، أي أن إعلان نتائج تقييم الأداء مازال لا يرقى إلى المستوى المنشود، سواء في مناقشة متطلبات الأداء قبل تقييمه أو بعد التقييم عند مناقشة نتائجه، فليس كل العاملين يتم تقييم أداؤهم، وليس الكل من يطلع على نتائجه، بصفة عامة لا يُعامل العمال معاملة واحدة، وبتبنينا نظرية العدالة التنظيمية في تفسير دور علانية تقييم الأداء في تحسين الاداء باستخدام مفهومين أساسيين للعدالة وهما: المساواة والثقة، آخذين بعين الاعتبار علاقة المرؤوس برئيسه في العمل، وعلاقة المرؤوسين مع بعضهم البعض.

وانطلاقا من نتائج دراستنا توصلنا أن المساواة لا تمس جميع العمال سواء في التقييم أو في إعلان نتائجه، فهي عملية غير عادلة تفتقر إلى المساواة بالنسبة للعاملين الذين لا يتم اطلاعهم على نتائج تقييمهم، فإعلان

النتائج يختلف من حيث الفئة السوسيومهنية، الأقدمية والجنس. كما أن عدالة تقييم الاداء في هذا الصدد تظهر في التغذية العسكية التي يتلقاها العامل بعد تقييم أدائه وهذا يعبر عن شفافية تقييم الأداء، كما أن مناقشة نتائج التقييم الأداء مع العامل تنمي لديه روح المسؤولية والولاء بسبب شعوره بالعدالة والمساواة كون أدائه تم أخذه بعين الاعتبار من طرف مسؤوله، مما يزيد من رضاه المهني وتحسن ادائه كنتيجة عن ها الرضا و الولاء. وما تعاني منه مؤسسة سخاتة وملابس لبال الجلدية هو التفاوت والتميز بين العاملين وعدم تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص.

وفيما يخص مفهوم الثقة الذي يعتبر من اهم مفاهيم نظرية العدالة التنظيمية، كونها تلعب دور الوسيط في إدراك العدالة التنظيمية[1]، فنتائج دراستنا كما تم عرضها سابقا أوضحت أن الثقة تلعب دورا مهما في العملية التقييمية من خلال العلاقة بين المرؤوس والرئيس المباشر وكيفية معاملة الرئيس للعامل في المقابلة التقييمية وطريقة إدارتها وعلاقة كل هذا في تحسين ادائه.

وانطلاقا مما جاء في دراستنا هذه يمكننا تقديم بعض الاقتراحات التي نراها مناسبة للارتقاء بنظام تقييم الأداء وعلانيته وتحسين أداء العامل في هذه المؤسسة:

- تحديد معايير الأداء ومؤشراته المناسبة، وإطلاع العامل عليها قبل التقييم والحكم على أدائه طبقا لهذه المتطلبات بعيدا عن الأحكام المسبقة والحسابات الشخصية.
- أن يقوم بعملية التقييم المشرف المباشر لاحتكاكه اليومي بالعمال ودرايته بنقاط ضعفهم وقوتهم، ولإدراكه للصعوبات التي تواجههم.
- أن تقوم المؤسسة بتقييم أداء جميع عامليها دون استثناء مهما كانت مستوياتهم الوظيفية، والحرص على اختيار طريقة موضوعية مناسبة يسهل استخدامها.
- ضرورة التعاون بين كل المصالح المؤسسة لإنجاح عملية التقييم.
- حتى لا يعاني تقييم الأداء من التحيز والمحسوبية وغياب العدالة والمصداقية، على الإدارة أن تُرفقه بتغذية عكسية تمس جميع العاملين سواء كان أداؤهم جيد أو ضعيف، وذلك لتجنب تدني مستوى الأداء والإنتاجية وعدم القدرة على المنافسة خاصة وان المؤسسة إنتاجية ولديها عملاء. كما أن سرية التقييم تؤدي إلى زرع الشكوك في نفسية العامل، وبالتالي يفقد الثقة في هذا النظام، كما أن السرية قد تكون من اجل فصل عامل مؤهل وكفء لآخر تتحيز الإدارة له.
- تشجيع العاملين على تحسين أدائهم بتفعيل نظام الحوافز بنتائج التقييم.
- إخضاع المشرفين لدورات تكوينية وتحسيسهم بأهمية العملية في كونها نظام يؤدي إلى تطوير المؤسسة.

[1] Mohamed Ikram Nasr. Assâad El Akremi (2006). **Justice organisationnelle, confiance et comportement des citoyens : Test d’un modèle multi-sources multi-cibles de l’échange social au travail.** Université Toulouse 1, France, p 17.

- فرض رقابة على المسؤولين على عملية التقييم ومحاسبتهم وتعريضهم للمساءلة عن نتائج تقييم الأداء.
- اخذ تظلم العامل بعين الاعتبار وضرورة البت فيه بمراجعة تقييم أدائه خلال مواعيد محددة بعد سماع رأي العامل.

إن هذه الاقتراحات لا تُطبق على فئة معينة من العمال، وإنما تطبيقها عليه أن يشمل كل العمال الذين ينتمون إلى المؤسسة ومهما كان تدرجهم في السلم الهرمي، لأن تقييم الأداء والاطلاع على نتائجه عملية تخص كل الموارد البشرية التي تساهم في إنتاجية المؤسسة.

ولتصل المؤسسة إلى أهدافها عليها بتعميم العلانية على جميع العمال بتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص والبعد عن التحيز والمحسوبية لتضمن مستوى أداء جيد لعامليها.

المراجــع المعتمــدة:

أ. باللغـة العربية:

1. أبو علفة عصام الدين (2002) **اتجاهات معاصرة في إدارة الموارد البشرية: النظرية والتطبيق** .مصر، شركة الجمهورية.
2. الموسوي سنان (2004)**إدارة البشرية وتأثير العولمة عليها** .الأردن، دار مجدلاوي للنشر.
3. برنوطي نايف سعاد (2007)**إدارة الموارد البشرية** .عمان، دار وائل للنشر، والتوزيع، الطبعة3.
4. بوفلجة غياث (2005)**مبادئ التسيير البشري** .وهران، دار الغرب للطباعة .والنشر.
5. حسونة فيصل (2008)**إدارة الموارد البشرية** .الأردن، دار أسامة للنشر، والتوزيع، الطبعة1.
6. ديسلر جاري (2007)**إدارة الموارد البشرية** .الرياض، دار المريخ للنشر، ترجمة عبد المتعال سيد محمد ، جودة عبد المحسن.
7. راوية حسن (2000)**إدارة الموارد البشرية** :رؤية مستقبلية .الإسكندرية، كلية التجارة .
8. سالم سعيد مؤيد (1991)**إدارة الموارد البشرية** .بغداد، مطبعة الاقتصاد.
9. طه طارق (2006)**السلوك التنظيمي في بيئة العولمة والانترنيت** .الإسكندرية، دار الفكر الجامعي.
10. عبد الوهاب محمد سمير، البرادعي مصطفى ليلى (2006)**إدارة الموارد البشرية :المفاهيم والمجالات الجديدة** .القاهرة، مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة.
11. عقيلي وصفي عمر (2005)**إدارة الموارد البشرية :بعد استراتيجي** .عمان، ، دار وائل، الطبعة1.
12. عقيلي وصفي عمر (2009)**إدارة الموارد البشرية :بعد استراتيجي** .عمان، ، دار وائل للنشر، الطبعة1.
13. عياصرة محمود معن، بني احمد محمد مروان (2008)**القيادة و الرقابة والاتصال الإداري** .عمان، دار حامد، الطبعة1.
14. كشواي باري (2005)**إدارة الموارد البشرية** .الأردن، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الطبعة 2.

ب. المعاجـم والقواميـس:

15. بدوي أحمد زكي (1984)**معجم مصطلحات العلوم الإدارية** .القاهرة، دار الكتاب المصري، الطبعة 1.

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

16. بدوي زكي أحمد (1993)**معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية** .بيروت، مكتبة لبنان.

ت.الرسائل العلميـة:

17. حرايرية عتيقة (2003) "**إشكالية تقييم الأداء في السلوك التنظيمي وعلاقته بتوجيه وتطوير المسار الوظيفي للإطارات** (2003) " رسالة ماجستير، جامعة .الجزائر، الجزائر.
18. سالم إلياس" (2006) **تأثير الثقافة التنظيمية على إدارة الموارد البشرية."** رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

ب-المراجع باللغة الاجنبية:

19. BENCHEMAM Fayçal (2004) **Gestion des ressources humaines**, Paris, Géraldine Galindo.
20. LUSTHAUS Charles, ADRIEN Marie-Hélène, et autres (2003). **Evaluation organisationnelle : Cadre pour l'amélioration de la performance**, Québec, centre de recherches pour le développement international.
21. PERETTI Jean-Marie (2007). Ressources **humaines et gestion des personnes**, Paris, Vuibert, 6ème édition.
22. ROUSSEL Patrice (2007). **Gestion des performances au travail**, Belgique, De Boeck, 1ère édition.
23. SEKIOU Lakhdar (2002). **Gestion des ressources humaines**, Belgique, De Boeck, 2ème édition.
24. WESS Dimirti (2003). **Ressources Humaines**, Paris, Edition d'Organisation, 2ème édition.

واقع تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM في الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين

د.إيمان جميل عبد الرحمن
جامعة البلقاء التطبيقية-
الأردن

الملخص:

هدفت الدراسة إلى تحديد واقع تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية في الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين. تم إعداد استبانة مكونة من (42) فقرة تم التأكد من صدق الأداة وثباتها، طبقت على عينة قوامها (240) قائدًا أكاديميًا. بينت النتائج أن واقع تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية جاء بدرجة متوسطة في جميع مجالاتها ما عدا مجال الأجور والحوافز جاء بدرجة مرتفع.

الكلمات المفتاحية: إدارة الموارد البشرية الإلكترونية، القادة الأكاديميين.

Abstract:

The current study aimed at identifying the reality of the application of E-HRM in Jordanian public universities . In order to achieve the objectives of the study, a questionnaire consisting of (42) paragraphs was developed ,It was applied on the study sample consisting of (240) academic leaders.The results of the study showed that the reality was average in all fields, except the field of wages and incentives which was of high degree.

Keywords: Electronic Human Resources Management, Academic Leaders.

المقدمة:

أدى التقدم السريع في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى إحداث ثورة تكنولوجية في جميع مناحي الحياة، وتضاعفت المعرفة الإنسانية التكنولوجية، وقد خلق هذا التقدم تحولات الإدارة التقليدية إلى الإدارة التقنية الإلكترونية بشكل متسارع؛ على أثر ذلك بات على المؤسسات على اختلاف مجالاتها تحديات تمثلت في الحجم الهائل للمصادر التكنولوجية التي تتدفق يومًا بعد يوم.

وفي خضم هذه التحولات بدأت المؤسسات التربوية الاهتمام بمواردها البشرية باعتبارها المورد الأهم في تحقيق أهدافها (مجاني وبن ساعد، 2016)، وفي خلق الميزة التنافسية العالمية (Sareen, 2015)، وتحديث أنظمتها التكنولوجية لتبسيط إجراءاتها (طويهري، 2015)، وتوظيف التكنولوجيا في إدارة مواردها البشرية على اعتبار أنه المفتاح في وقت الأزمات (Mamoudou and Joshi, 2014)، وبات تأثير تطور التقنيات الحديثة واضحًا في إدارة الموارد البشرية (Schramm, 2006 B ; Schramm, 2006 A).

ومع ظهور الإنترنت بدأ عهد جديد يسمى إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM (Vo Ha, 2011)، لتعبر عن اندماج المعلومات والاتصالات بوظيفة إدارة الموارد البشرية (مهيبل، 2012)، التي تعرف بأنها: "عملية تكامل بين إدارة الموارد البشرية وتكنولوجيا المعلومات من أجل خلق قيمة" (Ruel, et al, 2007:282). وأنها: "مصطلح شامل يغطي جميع آليات التكامل الممكنة بين إدارة الموارد البشرية وتكنولوجيا المعلومات لخلق قيمة" (Bondarouk and Ruel, 2009:507)، وهي: "أداة على شبكة الإنترنت لأتمتة ودعم عمليات الموارد البشرية لإدخال البيانات وتقدم المزيد من الخدمة الذاتية" (Nivlouei, 2014:156وأيضًا هي: "وسيلة لتنفيذ استراتيجيات إدارة الموارد البشرية من خلال الدعم الواعي والموجه للاستفادة الكاملة من شبكة الإنترنت والقنوات التكنولوجيا" (Ruel, et al, 2004: 365)، وفي نطاق أوسع تعرف بأنها: "النظم الإلكترونية المستخدمة في إدارة الموارد البشرية (الأنشطة والخدمات والفعاليات) باستخدام الأجهزة، والبرمجيات، والربط الشبكي الإلكتروني" (Strohmeier, 2007: 22).

وعلى صعيد أخر، أصبح للتغيرات التكنولوجية أثر بالغ في وظائف الموارد البشرية (الرواحنه، 2013)، من خلال تطبيق عدة نظم كالنظم التشغيلية، والنظم الاستراتيجية، والنظم التكتيكية (Foster, 2008)، ونظم تحليل الوظيفة، ونظم التوظيف الإلكترونية، ونظم الأجور والحوافز، ونظم التخطيط للموارد البشرية، ونظم التدريب الإلكتروني، ونظم تقييم الأداء الإلكتروني (Schuler and Luo, 2006 ; Martory and Crozet, 2016 ; عقيلي،2015 ; الساعدي، 2016).

واستنادًا إلى استخدام التقنيات الإلكترونية في دعم إدارة الموارد البشرية، واجه تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية جملة من المعوقات لعل أهمها: التكاليف المالية، ومدى تناسب النظم مع متطلبات العمل، وأمن المعلومات، وإدارة البيانات، وفقدان لمسة الإنسان، والتخصيص، والتدريب، والعائد من الاستثمار، وتبرير المشروع، وإنشاء أنظمة ناجحة، والتغذية المرتدة (Varma and Gopal, 2011)، والاستثمار في نظم العملومات، وضعف البنية التحتية (Laudon and Laudon, 2012). ومن هنا ترى الباحثة ضرورة معرفة واقع تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية في الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين.

بالرغم من اهتمام الكثير من الباحثين والكتاب بموضوع الدراسة، وفيما يلي عرض للدراسات من الأقدم إلى الأحدث.

هدفت دراسة أبو أمونه (2009) التعرف إلى واقع إدارة الموارد البشرية إلكترونيًا في الجامعات الفلسطينية النظامية في قطاع غزة. تكونت عينة الدراسة من (183) فردًا. استخدم الباحث الاستبانة كأداة لجمع البيانات، والمنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف الدراسة. وقد أظهرت نتائج الدراسة ضعف استعمال تلك الخدمات في بعض وظائف E-HRM.

وفي دراسة بريور وبريور (Brewer and Brewer, 2010) عالجت العلاقة بين إدارة المعرفة وإدارة الموارد البشرية والأهداف التعليمية عند بلوم (Bloom's) باستخدام نموذج نظري في الجامعات الأمريكية. توصلت الدراسة إلى ضرورة دمج إدارة المعرفة في إدارة الموارد البشرية والمناهج التعليمية.

في دراسة العتيبي (2010) هدفت إلى التعرف على أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على أداء الموارد البشرية في الأكاديمية الدولية في ملبورن. استخدمت الاستبانة لجمع البيانات، والمنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف الدراسة. تكونت العينة من (72) فردًا. وقد أظهرت النتائج وجود أثر لاستخدام تكنولوجيا المعلومات على أداء الموارد البشرية والأداء الوظيفي.

وفي ورقة بحثية للوجان وروسيو (Luján and Rousseau, 2010) في لقاء الأكاديمية الأوروبية الثالثة حول إدارة الموارد البشرية الإلكترونية في ألمانيا. قدمت الورقة مدى إمكانية استفادة الأكاديميين من إدارة الموارد البشرية الإلكترونية من منظور قائم على الأدلة، كان من أهم الاستنتاجات ضرورة إجراء البحوث المنهجية في إدارة الموارد البشرية الإلكترونية.

سعت دراسة أبو بكر وآخرون (Abubakar, et al, 2011) إلى الكشف عن تجربة مؤسسات التعليم العالي في ولاية سوكوتو النيجيرية تجاه نموذج إدارة الموارد البشرية الإلكترونية. استخدمت الاستبانة لجمع البيانات على عينة قوامها (312) مديرًا. أظهرت النتائج وجود حاجة للاستفادة من E-HRM في مؤسسات التعليم العالي، وخصوصًا في دعم واتخاذ القرارات.

هدفت دراسة زافر وآخرون (Zafar, et al, 2011) إلى مقارنة ممارسات إدارة الموارد البشرية في الجامعات العامة والخاصة في إقليم البنجاب في باكستان. تم جمع البيانات من خلال استبانة، وقد تكونت العينة من (30) مديرًا تم اختيارهم عشوائيًا. وقد أظهرت النتائج أن مجالات إدارة الموارد البشرية كانت أفضل في الجامعات الحكومية من الجامعات الخاصة.

وقفت دراسة العلول (2011) إلى تحديد درجة ممارسة الأكاديميين لدور إدارة المعرفة في تنمية الموارد البشرية في الجامعات الفلسطينية بمحافظة غزة. استخدمت الباحثة الاستبانة كأداة لجمع البيانات، والمنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف الدراسة. تم أخذ عينة طبقية بلغت (196) أكاديميًا. وقد أظهرت نتائج الدراسة درجة ممارسة الأكاديميين لدور إدارة المعرفة في تنمية الموارد البشرية في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة كانت بنسبة غير مرتفعة.

في حين قام حسيني ونعمة الله (Hosseini and Nematollahi, 2013) بدراسة هدفت إلى دراسة أثر إدارة الموارد البشرية الإلكترونية على فعالية إدارة الموارد البشرية لأبعاد اتخاذ القرار، وجودته، والكفاءة، وجودة الخدمات. شملت عينة الدراسة (102) مديرًا في جامعة شيراز الإيرانية. استخدم الباحثان الاستبانة لجمع البيانات. وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود أثر لإدارة الموارد البشرية الإلكترونية زيادة في فعالية إدارة الموارد البشرية.

قام المرشدي (2015) بدراسة هدفت إلى قياس درجة تطبيق نظم معلومات الموارد البشرية على أداء العاملين في مؤسسات التعليم العالي السعودية. استخدمت الاستبانة كأداة لجمع البيانات على (53) موظفًا. أظهرت نتائج الدراسة أن درجة تطبيق نظم معلومات الموارد البشرية على أداء العاملين كانت مرتفعة، وجاء نظم تدريب الموارد البشرية بالمرتبة الأخيرة.

وهدفت دراسة يو وآخرون (Iwu, et al, 2016) إلى دراسة أثر نظم الإدارة الإلكترونية في مجال الموارد البشرية بالمقارنة مع دول العالم المتقدمة في جامعات جنوب أفريقيا. استخدمت الدراسة الاستبانة والمقابلة لجمع البيانات. وقد أظهرت النتائج ضعف في تحديد الهوية، والتمويل، وعدم كفاية المهارات، وهناك أدلة قوية على أن نظم المعلومات لم تحقيق الأهداف.

أجرى الشوبكي وآخرون (Al-Shobaki, et al, 2017) دراسة هدفت التعرف إلى فعالية تكنولوجيا المعلومات ودورها في إدارة الموارد البشرية إلكترونيًا في جامعات قطاع غزة. استخدم الباحثون الاستبانة كأداة لجمع البيانات، والمنهج الوصفي والتحليلي لتحقيق أهداف الدراسة، وبلغ عدد عينة الدراسة (35) موظفًا. وقد أظهرت النتائج أن نظم المعلومات جاءت بدرجة متوسطة.

بعد الاستعراض السابق لأهم الدراسات السابقة تبين تناول بعض وظائف إدارة الموارد البشرية ولم تشتمل أي دراسة على جميع تلك الوظائف. تتميز الدراسة الحالية عن غيرها من الدراسات السابقة بأنها تبين واقع تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية في الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين، والصعوبات والآليات المقترحة. يمكن تلخيص مجالات استفادة الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في صياغة مشكلة البحث وأسئلتها، ووضع تصور واضح لمجالات الاستبانة، ومناقشة النتائج، وصياغة التوصيات.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

بذلت مؤسسات التعليم العالي في السنوات الماضية جهودًا ملموسة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وخصوصًا في القطاع الجامعي. ونتج عن ذلك تحديات واجهت وظائف إدارة الموارد البشرية بسبب التوجه نحو تحويل الوظائف ذات الطبيعة الورقية إلى عمليات إلكترونية. من خلال إطلاع الباحثة وعملها في الميدان؛ لاحظت وجود معيقات تحد من تطبيق إدارة الموارد البشرية إلكترونية. هذا ما أشارت إليه نتائج دراسة السعدي والدحياني (2017)، ونتائج دراسة (العلوان، 2015)، ونتائج دراسة ستروهمير وديدريشسن (Strohmeier and Diederichsen, 2010) وجود قصور في الأنظمة الإلكترونية لإدارة الموارد البشرية خصوصًا في الدول النامية. علاوة على ذلك نتائج دراسة عطاالله (Atallah, 2016) وجود أثر إيجابي لوظائف إدارة الموارد البشرية الإلكترونية على التطوير التنظيمي. لذا جاءت الدراسة؛ وتحديدًا فقد جاءت الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما درجة واقع تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM في جامعة الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين؟

- ما معوقات تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM في جامعة الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين؟
- ما أبرز الآليات التي يمكن من خلالها التغلب على معوقات تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM في جامعة الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين؟

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة الحالية أهمية علمية وعملية، حيث تتمثل الأهمية العلمية في الإضافة الجديدة لحق المعرفة والمكتبة العربية، حيث لاحظت الباحثة ندرة موضوع الدراسة في المؤسسات التربوية وخصوصًا في البيئة الأردنية. أما الأهمية العملية تتطلع الباحثة إلى نشر الوعي بمفهوم إدارة الموارد البشرية الإلكترونية لتطبيقها في كافة المؤسسات التربوية، والكشف عن أهم الآليات المقترحة من خلال النتائج، لتكون بمثابة دليل ومرشد يساعد في تذليل تلك المعوقات والتغلب عليها، كذلك تنبع أهميتها من أهمية الموارد البشرية والدور الذي تلعبه في نجاح المؤسسات.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على عمداء الكليات ونوابهم ومساعديهم العاملين في الجامعات الأردنية الرسمية (جامعة اليرموك، والعلوم والتكنولوجيا الأردنية، والأردنية، والألمانية الأردنية، والبلقاء التطبيقية، والهاشمية، ومؤتة، وآل البيت، والحسين بن طلال، والطفيلة التقنية) في الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي (2018-2019 م).

المصطلحات الإجرائية:

تحتوي الدراسة مجموعة من المصطلحات تم تعريف أهمها إجرائياً على النحو الآتي:

إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM: الإجراءات المتعلقة بممارسة الوظائف الأساسية لإدارة الموارد البشرية من تحليل وتصميم الوظيفة، والاستقطاب والاختيار، والأجور والحوافز، التخطيط للموارد البشرية، تدريب الموارد البشرية، وتقييم الأداء في الجامعات الأردنية الرسمية.

القادة الأكاديميون: هم من يشغلون مناصب إدارية فضلاً عن عملهم أعضاء هيئة تدريس، ويمثلون العمداء، ونوابهم، ومساعديهم العاملين في الجامعات الأردنية الرسمية في الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي (2016/ 2017)م التي شملتهم الدراسة.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من (536) قائدًا أكاديميًا، منهم (151) عميدًا و(177) نائب عميد و(208) مساعد عميد في الجامعات الأردنية الرسمية في الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي (2019/2018م). وزعت (255) استبانة بالطريقة العشوائية، تم استرجاع (249) استبانة، تم استبعاد (9) استبانات لعدم صلاحيتهم، وبذلك أصبحت عينة الدراسة مكونة من (240) قائدًا أكاديميًا، أي بنسبة (47.57%) من مجتمع الدراسة.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، وذلك باستخدام الاستبانة كأداة لجمع البيانات، نظرًا لأنه أكثر وأنسب المناهج البحثية لوصف الظاهرة موضوع البحث.

أداة الدراسة:

بعد الإطلاع على الأدب النظري والدراسات السابقة ذات الصلة، تم الاستفادة من عدد من الدراسات أهمها دراسة أبو بكر وآخرون (Abubakar, et al, 2011)، ودراسة نيفلوي Nivlouei, (2014)، ودراسة عطاالله (Atallah, 2016) لتطوير الاستبانة حيث تكونت بصورتها النهائية من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول: يتضمن بيانات تعريفية، والجزء الثاني مكون من (42) فقرة موزعة على ستة مجالات وهي: تحليل وتصميم الوظيفة (6) فقرات، والاستقطاب والاختيار(7) فقرات، والأجور والحوافز (8) فقرات، التخطيط للموارد البشرية (7) فقرات، تدريب الموارد البشرية (7) فقرات، وتقييم الأداء (8) فقرات. أما الجزء الثالث مكون من سؤالين هما: ما المعوقات / ما الآليات التي يمكن من خلالها التغلب على تلك المعوقات. استخدم مقياس خماسي متدرج لليكرت (كبيرة جدًا، كبيرة، متوسطة، قليلة، قليلة جدًا). حسب الدرجات (5، 4، 3، 2، 1) على التوالي. وقد اعتمدت الدراسة ثلاثة مستويات وفقًا للمعادلة التالية: (المدى الأعلى - المدى الأدنى مقسومًا على ثلاثة مستويات) (5-1÷ 3 = 1.33) وهي: درجة منخفضة من (1- 2.33)، ودرجة متوسطة من (2.34 - 3.67)، ودرجة مرتفعة من (3.68- 5).

صدق أداة الدراسة وثباتها:

تم التأكد من صدق الأداة (Validity) المستخدمة في الدراسة، وذلك من خلال عرضها الاستبانة بصيغتها الأولية المكونة من (45) فقرة على مجموعة من المحكمين المتخصصين في الإدارة التربوية وتكنولوجيا المعلومات، والبالغ عددهم (15) محكمًا، وقد تم الأخذ بملاحظاتهم فيما يتعلق بالتعديل والحذف والإضافة وإعادة الصياغة لتصبح بصيغتها النهائية (42) فقرة.

وللتأكد من ثبات أداة الدراسة، فقد تم التحقق بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test-retest) بتطبيق المقياس، وإعادة تطبيقه بعد أسبوعين على مجموعة من خارج عينة الدراسة مكوّنة من (25)، ومن ثم تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين تقديراتهم في المرتين حيث بلغت الدرجة الكلية (0.92). وتم أيضًا حساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي حسب معادلة كرونباخ ألفا حيث بلغت القيمة الكلية (0.91).

نتائج الدراسة: عرضها ومناقشتها:

تم الاعتماد على برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات الدراسة وفقراتها، واستخدمت التكرارات والنسب من الإجابات والنسبة من العينة.

نتائج السؤال الأول: الذي ينص على "ما درجة واقع تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM في جامعة الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين؟". جاءت الأجور والحوافز في المرتبة الأولى بأعلى متوسط حسابي بلغ (3.75)، بينما جاء التخطيط للموارد البشرية في المرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (2.67)، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (3.29). والجداول (1-6) توضح ذلك.

أولاً: تحليل وتصميم الوظيفة: يتضمن مجال تحليل وتصميم الوظيفة (6) فقرات.

جدول (1) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة بتحليل وتصميم الوظيفة مرتبة تنازليًا حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	1	تساهم نظم الموارد البشرية الإلكترونية في إعادة هيكلة تصميم الوظائف.	3.67	1.108	متوسطة
2	3	تقسم نظم الموارد البشرية الإلكترونية الوظائف إلى مجموعات وفق معايير محددة.	3.66	1.105	متوسطة
2	5	تحدد نظم الموارد البشرية الإلكترونية المعلومات التي ترتبط مع أداء الوظيفة.	3.66	1.018	متوسطة
4	2	تصنف نظم الموارد البشرية الإلكترونية ملخص الوظيفة (الأعباء، المسؤوليات، المتطلبات).	3.61	.940	متوسطة
5	4	تعكس نظم الموارد البشرية الإلكترونية خطط الإحلال الوظيفي.	3.50	1.157	متوسطة
6	6	تتنبأ نظم الموارد البشرية الإلكترونية بالمخاطر المحتملة للوظيفة قبل وقوعها.	2.96	1.324	متوسطة
		تحليل وتصميم الوظيفة	3.51	.684	متوسطة

يبين الجدول (1) أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (2.96-3.67)، حيث جاءت الفقرة رقم (1) في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (3.67)، بينما جاءت الفقرة رقم (6) بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (2.96)، وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (3.51)، وبالمرتبة الثالثة من بين المجالات مجتمعة. ويعزو السبب في ذلك إلى ضعف تحليل وتصميم التركيب الحالي والمستقبلي لإدارة الموارد البشرية، وفي الوصف وظيفي الذي يوضح دوران العمل وتوزيع المسؤوليات. اتفقت نتائج الدراسة مع نتائج دراسة أبو أمونه (2009).

ثانيًا: الاستقطاب والاختيار: يتضمن مجال الاستقطاب والاختيار (7) فقرات.

جدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة بالاستقطاب والاختيار مرتبة تنازليًا حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	11	يوضح النظام الإلكترونية حجم الأعداد من القوى العاملة لملئ الشواغر المتاحة للوظيفة.	3.73	.909	مرتفعة
2	9	يتم تعبئة طلبات التوظيف لملئ الوظائف الشاغرة من خلال بوابة الجامعة الإلكترونية.	3.69	1.009	مرتفعة
3	8	يوفر النظام الإلكتروني نظم متابعة للمتقدمين للوظائف.	3.66	.932	متوسطة
4	12	يوضح النظام الإلكتروني آليات إعلان نتائج المقبولين للوظائف الشاغرة.	3.63	1.075	متوسطة
5	7	تساهم نظم الموارد البشرية الإلكترونية في تحليل طلبات المتقدمين للوظائف من ذوي الكفاءات.	3.60	.937	متوسطة
6	10	تستخدم الاختبارات الإلكترونية في عملية اختيار المرشحين للوظيفة.	3.56	1.069	متوسطة
7	13	تستخدم المقابلات الإلكترونية في عملية اختيار المرشحين للوظيفة.	3.00	1.277	متوسطة
		الاستقطاب والاختيار	3.55	.640	متوسطة

يبين الجدول (2) أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (3.00-3.73)، حيث جاءت الفقرة رقم (11) في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (3.73)، بينما جاءت الفقرة رقم (13) بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (3.00). وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (3.55)، وبالمرتبة الثانية بين المجالات مجتمعة. ويعزو السبب في ذلك إلى عدم الأخذ بعين الاعتبار الدافعية عند استقطاب الموارد البشرية وإيلاء الاهتمام بالمؤهلات والخبرات فقط، وعدم التنوع في الاختبارات لبيان كفاءة المرشحين، أيضًا يجب أنا نسأل أنفسنا

من الذي يقوم بعملية الاختيار.اتفقت نتائج الدراسة مع نتائج دراسة الشوبكي وآخرون (Al-Shobaki,et al, 2017)

ثالثًا: الأجور والحوافز: يتضمن مجال الأجور والحوافز (8) فقرات.

جدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة بالأجور والحوافز مرتبة تنازليًا حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	15	تحتفظ النظم الإلكترونية بالأجور السابقة للموظف إلكترونيًا.	3.99	.877	مرتفعة
2	18	يتم توضيح أسباب المقطعات من الأجور إلكترونيًا.	3.97	.900	مرتفعة
3	20	تتاح نظم الأجور بشكل إلكتروني على بوابة الجامعة الإلكترونية.	3.70	1.135	مرتفعة
4	16	تتوفر أنظمة معلومات واضحة المعايير خاصة بالأجور.	3.68	1.091	مرتفعة
5	14	يتوفر نظام إلكتروني خاص بالضمان الاجتماعي.	3.67	1.001	متوسطة
6	17	يتم تحديث معلومات نظم الأجور بشكل دوري إلكترونيًا.	3.66	1.090	متوسطة
6	21	يتوفر نظام إلكتروني خاص بتعليمات نظام التقاعد.	3.66	1.038	متوسطة
8	19	ترتبط الأجور بمهارة استعمال الموظف للوسائل التكنولوجية لبعض المهام.	3.64	1.046	متوسطة
		الأجور والحوافز	3.75	.710	مرتفعة

يبين الجدول (3) أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (3.64-3.99)، حيث جاءت الفقرة رقم (15) افي المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (3.99)، بينما جاءت الفقرة رقم (19) بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (3.64). وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (3.75). ويعزو السبب في حصول المجال على أعلى المتوسطات بين المجالات مجتمعة أن الأجور والحوافز تتعلق بالأمور المالية، وهذا يتطلب نظام

واضح ومحدد يبنى على أجور محددة ضمن أنظمة وتعليمات؛ لذا يمكن حوسبتها لتكون نظم إلكترونية. اتفقت نتائج الدراسة مع نتائج دراسة حسيني ونعمة الله (Hosseini and Nematollahi, 2013).

رابعًا: التخطيط للموارد البشرية: يتضمن مجال الاستقطاب والاختيار (7) فقرات.

جدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة بالتخطيط للموارد البشرية مرتبة تنازليًا حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	22	توفر نظم الموارد البشرية الإلكترونية معلومات دقيقة لدعم عملية التخطيط.	3.16	1.244	متوسطة
2	25	تساهم نظم الموارد البشرية الإلكترونية في تحليل بيئة العمل (الداخلية والخارجية).	3.02	1.338	متوسطة
3	26	تتنبأ نظم الموارد البشرية الإلكترونية على حجم طلب الموارد البشرية في ضوء المتغيرات.	2.90	1.270	متوسطة
4	27	يتم بلورة رؤية ورسالة الجامعة في ضوء المتغيرات التكنولوجية.	2.77	1.193	متوسطة
5	24	تدعم نظم المعلومات المراسلات الإلكترونية الأفقية عند عملية التخطيط.	2.66	1.284	متوسطة
6	28	تساهم نظم الموارد البشرية الإلكترونية في تطوير الخطط بناءً على توجهات المستقبل.	2.12	1.208	منخفضة
7	23	تساهم نظم الموارد البشرية الإلكترونية في تجويد القرارات المتعلقة بعملية التخطيط.	2.10	1.196	منخفضة
التخطيط للموارد البشرية			2.67	.930	متوسطة

يبين الجدول (4) أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (2.10- 3.16)، حيث جاءت الفقرة رقم (22) في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (3.16)، بينما جاءت الفقرة رقم (23) بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (2.10). وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (2.67)، يفسر حصول المجال على أقل المتوسطات الحسابية بين المجالات مجتمعة إلى ضعف التخطيط القائم على التكنولوجيا، ذلك لعدم اكتمال الأنظمة بشكل كامل والاعتماد على الأنظمة التقليدية في بعض التعاملات فيما يتعلق بعملية التخطيط. اتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة يو وآخرون (Iwu, et al, 2016).

خامسًا: تدريب الموارد البشرية: يتضمن مجال تدريب الموارد البشرية (7) فقرات.

جدول (5) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة بتدريب الموارد البشرية مرتبة تنازليًا حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	30	يتم تدريب الموظفين على أنظمة الموارد البشرية المحولة إلكترونيًا.	3.03	1.355	متوسطة
2	34	يبنى محتوى التدريب الإلكتروني بناءً على المؤهلات السابقة للمتدربين قبل اختيارهم.	2.93	1.262	متوسطة
3	29	توفر الإدارة العليا مبالغ مالية كافية لتدريب الموظفين إلكترونيًا.	2.81	1.376	متوسطة
4	31	يتم تحديد المرشحين للتدريب استنادًا على احتياجاتهم عبر نظم المعلومات الإلكترونية.	2.75	1.282	متوسطة
5	32	يتم تزويد المتدربين بتغذية راجعة إلكترونيًا أثناء عملية التدريب.	2.67	1.309	متوسطة
6	33	تتوفر مؤشرات في نظم المعلومات توضح مدى جدوى التدريب الإلكتروني.	2.58	1.125	متوسطة
7	35	تتاح الفرص لاستخدام المؤتمرات المرئية التفاعلية لتنمية الموظفين عن بُعد.	2.23	1.122	متوسطة
		تدريب الموارد البشرية	2.71	.978	متوسطة

يبين الجدول (5) أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (2.23- 3.03)، حيث جاءت الفقرة رقم (30) في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (3.03)، بينما جاءت الفقرة رقم (35) بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (2.23). وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (2.71). وقد يفسر حصول المجال في المرتبة قبل الأخيرة بين المجالات مجتمعة إلى ضعف المخصصات المالية للبرامج التدريبية، ووجود ضعف من الجهة المشرفة على عملية التدريب، وأيضًا يجب طرح سؤال من الذي يجري التدريب؟. اختلفت نتائج الدراسة مع نتائج دراسة المرشدي (2015) بحصول نظم تدريب الموارد البشرية الإلكترونية بالمرتبة الأخيرة.

سادسًا: تقييم الأداء: يتضمن مجال تقييم الأداء (7) فقرات.

جدول (6) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفقرات المتعلقة بتقييم الأداء مرتبة تنازليًا حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
1	39	تقلل نظم التقييم الإلكترونية من نسب الأخطاء في عملية التقييم.	3.69	.984	مرتفعة
2	42	تقدم نظم التقييم الإلكترونية التغذية الراجعة أثناء عملية التقييم.	3.68	.972	مرتفعة
3	40	تقلل نظم التقييم الإلكترونية من تكلفة تقييم الأداء المستمر.	3.63	.964	متوسطة
4	37	تتصف نظم التقييم الإلكترونية بالسرية التامة.	3.62	1.102	متوسطة
5	41	تواكب نظم التقييم الإلكترونية التطورات المعاصرة.	3.45	1.112	متوسطة
6	36	تسهم نظم التقييم الإلكترونية في وضع آليات موضوعية لعملية التقييم.	3.44	1.092	متوسطة
7	38	تقارن نظم التقييم الإلكترونية الأداء السابق بالأداء الحالي.	2.93	1.293	متوسطة
		الأداء تقييم	3.49	.618	متوسطة

يبين الجدول (6) أن المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (2.93-3.69)، حيث جاءت الفقرة رقم (39) في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (3.69)، بينما جاءت الفقرة رقم (38) بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (2.93). وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (3.49)، وفي المرتبة الرابعة بين المجالات مجتمعة. يعزو السبب حصول المجال على درجة متوسطة عدم الإيلاء بنتائج التقييم الإلكتروني وما يترتب عليه من إجراءات بعد الانتهاء من عملية التقييم، وعدم التنوع في طرق التقييم الإلكترونية المتبعة داخل الجامعة، كذلك عدم تحديث طرق التقييم المتبعة، اتفقت نتائج الدراسة مع نتائج دراسة العتيبي (2010).

نتائج السؤال الثاني: الذي ينص على" ما معوقات تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM في جامعة الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين؟". استخدمت التكرارات والنسب من الإجابات والنسبة من العينة للإجابة عن السؤال.

جدول (7) التكرارات والنسبة المئوية لمعوقات تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM في جامعة الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين مرتبة تنازليًا

الرقم	المعوقات	التكرارات	النسبة من الإجابات	النسبة من العينة
1	ضعف مستوى البنية التحتية اللازمة لتطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية.	163	18.2	67.9
2	غياب التخطيط الاستراتيجي في التحول نحو إدارة الموارد البشرية الإلكترونية.	146	16.3	60.8
3	نقص البرامج التدريبية لموظفي إدارة الموارد البشرية في مجال الإدارة الإلكترونية.	112	12.5	46.7
4	جمود الهياكل التنظيمية التي تؤخر عملية التحول نحو الإدارة الإلكترونية.	99	11.0	41.3
5	نقص الأدلة الإرشادية الموضحة لآليات تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية.	97	10.8	40.4
6	انخفاض الثقافة التنظيمية التي تشجيع على القيام بالتعاملات الإلكترونية.	90	10.0	37.5
7	ضعف التشريعات واللوائح المنظمة لإدارة الموارد البشرية الإلكترونية.	69	7.7	28.8
8	ضعف التعاون والتنسيق بين قسمي إدارة الموارد البشرية وتكنولوجية المعلومات.	61	6.8	25.4
9	انخفاض مستوى الوعي لدى (القادة والموظفين) بجدوى تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية.	60	6.7	25.0
المجموع		897	100.0	-

يبين الجدول (7) أن التكرارات تراوحت ما بين (61-163)، حيث جاء ضعف مستوى البنية التحتية اللازمة لتطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية" بأعلى تكرار بلغ (163) وبنسبة مئوية بلغت (18.2%)، وجاء "انخفاض مستوى الوعي لدى (القادة والموظفين) بجدوى تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية" بأقل تكرار بلغ (60) وبنسبة مئوية بلغت (6.7%). تفسر الباحثة هذه النتيجة بأن التحول إلى الإدارات الإلكترونية بمختلف مجالاتها يتطلب بنتية تحية تشتمل على الأجهزة والشبكات والبيانات والبرمجيات،... ، وهذا يتطلب مبالغ مالية كبيرة، ويكون هذا ليس من ضمن أولويات إدارة الجامعة في هذه المرحلة.

نتائج السؤال الثالث: الذي ينص على "ما أبرز الآليات التي يمكن من خلالها التغلب على معوقات تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM في جامعة الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين؟". تم استخدام التكرارات والنسب من الإجابات والنسبة من العينة للإجابة عن السؤال.

جدول (8) التكرارات والنسبة المئوية الآليات التي يمكن من خلالها التغلب على معوقات تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية E-HRM في جامعة الجامعات الأردنية الرسمية من وجهة نظر القادة الأكاديميين مرتبة تنازليًا

الرقم	المقترحات	التكرار	النسبة من الإجابات	النسبة من العينة
1	إيلاء الاهتمام بالبنية التحتية التكنولوجية وفقًا للمستجدات المعاصرة في إدارة الموارد البشرية.	160	17.3	66.7
2	التوجه نحو التخطيط الاستراتيجي في عملية التحول نحو إدارة الموارد البشرية الإلكترونية.	140	15.2	58.3
3	دعم القيادات العليا مشروع إدارة الموارد البشرية الإلكترونية؛ وذلك بتأمين الدعم المالي من اللازم لتطبيق هذا المشروع.	111	12.0	46.3
4	عقد برامج تدريبية لموظفي إدارة الموارد البشرية متخصصة في مجال الإدارة الإلكترونية.	103	11.1	42.9
5	إعادة هندسة الهياكل التنظيمية التي تستجيب لتطوير نظم إدارة الموارد البشرية الإلكترونية.	100	10.8	41.7
6	وضع الأدلة الإرشادية الموضحة لآليات تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية.	91	9.8	37.9
7	تبني ثقافة تنظيمية مرنة تقوم على أساس تشجيع التعامل بالتكنولوجية الحديثة.	80	8.7	33.3
8	تطوير التشريعات واللوائح المنظمة لإدارة الموارد البشرية الإلكترونية.	60	6.5	25.0
9	إلغاء الحدود بين قسمي إدارة الموارد البشرية وتكنولوجية المعلومات فيما يتعلق بالتعاملات	49	5.3	20.4

	الإلكترونية.			
10	خلق تغيرات فكرية متنامية بشأن رفع مستوى الوعي لدى (القادة والموظفين) بجدوى إدارة الموارد البشرية الإلكترونية.	30	3.2	12.5
المجموع		924	100.0	-

يبين الجدول (8) أن التكرارات تراوحت ما بين (30-160)، حيث جاء "إيلاء الاهتمام بالبنية التحتية التكنولوجية وفقًا للمستجدات المعاصرة في إدارة الموارد البشرية" بأعلى تكرار بلغ (160) وبنسبة مئوية بلغت (17.3%)، وجاء "خلق تغيرات فكرية متنامية بشأن رفع مستوى الوعي لدى (القادة والموظفين) بجدوى تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية" بأقل تكرار بلغ (30) وبنسبة مئوية بلغت (3.2%). تفسر الباحثة هذه النتيجة أنها نتيجة منطقية إذا ربطنا من بين تكرارات السؤال الثاني والثالث، لذلك جاءت الفقرة "إيلاء الاهتمام بالبنية التحتية التكنولوجية وفقًا للمستجدات المعاصرة في إدارة الموارد البشرية" بأعلى التكرارات، وفقرة "خلق تغيرات فكرية متنامية بشأن رفع مستوى الوعي لدى (القادة والموظفين) بجدوى تطبيق إدارة الموارد البشرية الإلكترونية" بأقل التكرارات.

التوصيات:

بناءً على نتائج الدراسة الحالية توصي الدراسة بالآتي:

- التوسع في استخدام النماذج الإلكترونية في كافة وظائف إدارة الموارد البشرية، ولاسيما في وظيفتي التخطيط والتدريب، وذلك بتفعيل دور دائرة الجودة والتطوير ومركز الاستشارات في التوسع لعقد الدورات التدريبية الإلكترونية.
- ربط وظائف إدارة الموارد البشرية بنظام يسمح بتبادل المعلومات، فعلى سبيل المثال ربط نظام الأجور والمكافآت بنظام تقييم الأداء، وربط نظام تقييم الأداء بنظام التدريب.
- تطوير الهياكل التنظيمية بتصميم الوظائف، والتدوير الوظيفي، والإثراء الوظيفي، وخطط الاحلال، وتمكين العاملين، والتخطيط الاستراتيجي مع رصد التجارب الناجحة للإدارة الإلكترونية في الجامعات الآحرى، ونشرها وتحليل العوامل المساعدة في نجاحها.

قائمة المراجع:

أبو أمونه، يوسف. (2009). ***واقع إدارة الموارد البشرية إلكترونيًا E-HRM في الجامعات الفلسطينية النظامية في قطاع غزة.*** رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الإسلامية. غزة.

الساعدي، عادل. (2016). دور إدارة الموارد البشرية في تطبيق مبادئ الجودة الشاملة. ***المؤتمر العربي العاشر لإدارة الموارد البشرية.*** المنظم من اتحاد المدربين العرب. فندق الكوبثورن الجهراء. الكويت. 17-19 إبريل 2016.

الرواحنه، عبد الله. (2013). ***أثر جودة أنظمة إدارة الموارد البشرية الإلكترونية على كفاءة أداء العاملين: دراسة حالة في مجموعة الاتصالات الأردنية/ أورنج.*** رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الشرق الأوسط. عمّان.

طويهري، فاطمة. (2015). ***أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على أداء الموارد البشرية في المؤسسات الجزائرية.*** رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة وهران 2. الجزائر.

العتيبي، عزيزة. (2010) ***أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على أداء الموارد البشرية: دراسة ميدانية الأكاديمية الدولية الاسترالية.*** استرجع بتاريخ 1/1/ 2018من الموقع الإلكتروني. http://www.abahe.co.uk/Research-Papers/Impact-of-the-use-of-information-technology-on-the-performance-of-human-resources.pdf

عقيلي، عمر. (2015). ***إدارة الموارد البشرية المعاصرة بعد استراتيجي.*** الطبعة الثالثة. عمّان: دار وائل للنشر والتوزيع.

العلوان، جعفر. (2015). العوامل المؤثرة في أنظمة الموارد البشرية الإلكترونية: دراسة ميدانية على منظمات القطاع الخاص في المملكة العربية السعودية. ***المجلة العربية للإدارة.*** 35 (1)، 163 -180.

العلول، سمر. (2011). ***دور إدارة المعرفة في تنمية الموارد البشرية الأكاديمية في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة.*** رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الإسلامية. غزة.

مجاني، غنية وبن ساعد، يمينة. (2016). إدارة الموارد البشرية في ظل المد العولمي. **المجلة الجزائرية للعولمة والسياسة الاقتصادية.** 7 (1)، 285 -301.

المرشدي، خالد. (2012). آثر درجة تطبيق نظم معلومات الموارد البشرية على أداء الموظفين في مؤسسات التعليم العالي السعودية. ***ورقة عمل مقدمة في المؤتمر الثاني لمعاهد الإدارة العامة والتنمية الإدارية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.*** الإدارة العامة: الرياض. 11- 2012/12/13.

مهيبل، وسام. (2012). ***تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ودورها في تفعيل وظيفة إدارة الموارد البشرية: دراسة حالة مديرية الموارد البشرية في وزارة المالية.*** رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الجزائر 3. الجزائر.

Abubakar, N., Dileep, K and Nor, O. (2011). Employer's Attitude Towards E-Human Resource Management Adoption: Research On Higher Educational Institutions In Sokoto State, Nigeria. ***Skyline Business Journal,*** 1(12), 1-11.

Al- Shobaki, M., Abu Naser, S., Abu Amuna, Y and Suliman, T. (2017). The Efficiency of Information Technology and its Role of E-HRM in the Palestinian Universities. ***International Journal of Engineering and Information Systems (IJEAIS).*** Availability: http://www.ijeais.org/wpcontent/uploads/2017/07/IJEAIS170705.pdf

Atallah, A. (2016). The Impact of Electronic Human Resource Management (E-HRM) on Organizational Development of UNRWA in Gaza Strip. ***(Unpublished M.Sc. Dissertation).*** The Islamic University. Gaza.
Bondarouk, T and Ruel, H. (2009). Electronic Human Resource Management: Challenges in the digital era. ***The International Journal of Human Resource Management,*** 20 (3), 505-514.
Brewer, P and Brewer, K. (2010). Knowledge Management, Human Resource Management, and Higher Education: A Theoretical Model. ***Journal of Education for Business.*** 85(1), 330–335.
Foster, S. (2008). ***An Exploratory Analysis of E-HRM in The Context of HRM Transformation.*** Availability: https://pdfs.semanticscholar.org/aaab/c9cde2b76097f5a8427f04944e54c0fc7eab.pdf
Hosseini, S and Nematollahi, K. (2013).Electronic Human Resources Management and the Effectiveness. ***European Online Journal of Natural and Social Sciences***. 2(3), 1812-1819.
Iwu, C., Ukandu, N and Ile, C. (2016). Effects of the Use of Electronic Human Resource Management (EHRM) Within Human Resource Management (HRM) Functions at Universities. ***Acta Universitatis Danubius: Administratio.*** 8 (1), Pp 5-20.
Laudon, K And Laudon, J. (2012). ***Management Information Systems: Managing the Digital Firm***. New York: Pearson Prentice Hall.
Luján, M and Rousseau, D. (2010). Can the Evidence-Based Management Movement Help e-HRM Bridge the Research-Practice Gap?. ***The 3rd European Academic Workshop on Electronic Human Resource Management (E-HRM).*** Saarland University, Germany. 20-21 May 2010.
Nivlouei, F. (2014). Electronic Human Resource Management System: The Main Element in Capacitating Globalization Paradigm. ***International Journal of Business and Social Science.*** 5 (2), 147-156.
Mamoudou, S and Joshi, G. (2014). Impact of Information Technology in Human Resources Management. ***Global Journal of Business Management and Information Technology***. 4(1), 4-33.
Martory, B and Crozet. D.(2016).***Gestion des Ressources Humaines .***(9e éd). Paris. :Dunod.
Ruel, H., Bondarouk, T and Van der Velde, M. (2007). The contribution of e-HRM to HRM effectiveness Results from a quantitative study in a Dutch Ministry. ***Employee Relations***. 29(3), 280- 291.
Ruel, H., Bondarouk, T and Looise, J. (2004). E-Hrm: Innovation or Irritation. Explorative Empirical Study in Five Large Companies on Web-Based Hrm. ***Management Revue***, 15(3). 364-380.
Sareen. P. (2015). Study of Employee Satisfaction towards e-HRM System. ***European Journal of Applied Business Management,*** 1 (1),1-18.

Schramm, J. (2006, A). ***The Entrepreneurial Imperative: How America's Economic Miracle Will Reshape the World (and Change Your Life)***. New York: Collins.

Schramm, J. (2006, B). ***HR Technology Competencies : New Roles for HR Professionals***. Alexandria: The Society for Human Resource Management (SHRM).

Schuler, S and Luo,Y. (2006).***Managing Human Resources in Cross-Border Alliances (Global HRM).*** UK: Cromwell Press Ltd.

Strohmeier, S. (2007). Research in E-Hrm: Review and Implications. ***Human Resource Management Review.*** 17(1). 19-37.

Strohmeier, S and Diederichsen, A. (2010). (Eds.) Evidence-Based e-HRM? On the way to rigorous and relevant Research. ***The 3rd European Academic Workshop on Electronic Human Resource Management (E-HRM)***. Saarland University, Germany. 20-21 May 2010.

Varma, S and Gopal, R. (2011).The Implications of Implementing Electronic-Human Resource Management (E-HRM) Systems in Companies. ***Journal of Information Systems and Communication.*** (2)1, 10-29.

Vo Ha, N. (2011).The IMpact of E-HRM on the role and Competencies of HR**.** ***(Unpublished M.Sc. Dissertation)***. University of Vaasa. Finland.

Zafar. I; Irfan, A and Furrakh, A. (2011). HRM Practices in Public and Private Universities of Pakistan: A Comparative Study. ***International Education Studies***. 4(4), 215-222.

التّعليق الروائيّ وظيفة الراوي فنياً

رواية "القرميّة" للروائيّة الأردنيّة "سميحة خريس" أنموذجاً

د.سميّة سليمان الشوابكة
مركز اللغات
الجامعة الأردنيّة

الملخّص

تحاول هذه الدراسة تناول صيغة الراوي الفنيّة بوصفه أحد أهمّ مكونات العمل الروائي المُشكّلة لبقية العناصر البنائيّة الأُخرى من خلال رواية **"القرميّة"** للروائيّة الأردنيّة" **سميحة خريس"** الزاخرة بدلالات الحلم والثورة والحريّة، المُؤرقة بهمّ الحلم العربيّ الوحدويّ.

وتقف الدراسة على دور الراوي في تشكيل القصّ ولعبة الإيهام الفنيّ ، وتكشف علاقته بالكاتب والمروي والمروي له ومفهوم وجهة النظر وفقاً لموقعه وصورته وصوته ووظيفته دون تفصيل القول بتاريخ تطور مفهومه الفنيّ عند النّقاد الشكلانيين والبنيويين والأسلوبيين.

وتركز الدراسة على وظائف الراوي المختلفة طبيعة وموقعاً ورؤيةً وقدْرا والمُتمثّلة في تنظيم السّرد وبنائه والتّأثير في متلقيه عامة، وتخصّ وظيفة التّعليق –خاصة- بالدرس والتّحليل ؛ لأهمّيتها في بناء النصّ وكشفه وإضاءته وسبر أغواره.

وتستجلي الدراسة مسترشدةً بالمنهج الوصفيّ التحليليّ بعض أشكال تمثيلات التّعليق الفنيّ في رواية **"القرميّة"** وتجلياته المُتعدّدة الحضور ، المُختلفة الوظيفة التي تتبدّى في صيغ بنائيّة مفتوحة يراد من ورائها التّوضيح أو التّوكيد أو التّقديم أو التّأثير أو المعرفة أو الإيهام أو تسجيل الانطباع أو التّشويق وفقاً لما يقتضيه العمل الفنيّ نفسه.

الكلمات المفتاحيّة الدّالة: وظيفة، التّعليق، الراوي، القرميّة، سميحة خريس.

ABSTRACT

This study explores the artistic form of narration as one of the most important components that form the structural elements in Jordanian Samiha Khrais's novel *Al Qurmiyya*, which is rich inindications of dream, revolution, and freedom that are concerned by the pain of the Unitarian Arab dream.

The study manifests the role of the narrator in forming the narration as well as the artistic delusion and reveals the narrator's relationship with the author, the story narrated, and the audience to whom the story is narrated. Italso illustrates the definition of a perspective based on the narrator's position, image, voice, and function, without going into the history of the term's artistic development for the formalists, the structuralists, and the stylisticians.

The study focuses on the different functions of the narrator based on his nature, position, vision, and importance. These functions are represented in organizing the narration, its structure, and its influence on its recipient in general (the audience). The study particularizes the commentary function with consideration and analysis due to the important role it plays in structuring, revealing, and exploring the text.
In the light of the analytical descriptive approach, the study clarifies some of the representations of artistic commentary in *Al Qurmiyya* and presents its various manifestations with different functions. These representations appear in open structural forms for different purposes, such as clarification, emphasis, presentation, influence, knowledge, delusion, leaving an impression, or suspense, as demanded by the artistic work.
Keywords: function, Glossing, narrator, *Al Qurmiyya*, Samiha Khrais.

تمهيد: الراوي أداة للعرض والوعي والإدراك "الرؤية والمفهوم":

يتزاح عالم الرواية الفنيّ عن العالم الحقيقيّ الموضوعيّ رغم أنّه يستند إليه تارة، ويفترق عنه تارة أُخرى ، متكئاً على رؤية تخييليّة تشي بدلالات رؤية الكاتب إلى ما حواليه التي تشكّل بدورها موقفاً أيديولوجياً من عالمه المحيط به بكلّ ما يمور به من تناقض، ويعجّ به من اضطرابات وتناقضات وعلاقات وصراعات.

وهنا نجد أنفسنا أمام واقع فنيّ مغاير، له مكوناته التّخييلية ، وعناصره الجماليّة، وآليات إنتاجه وتقديمه في بنى سرديّة متكثرة تتمظهر من خلال الراوي الذي يتولى مهمة نقل هذا العالم المُتخيل المُتصوّر المستقل إلى المتلقي عبر العمل الروائي الذي هو بصدده؛ فهو الذي " يطلعه على مجريات الأحداث وتنامي الشخصيات وفق نظام محدد تمّ التّخطيط له بعناية من قبل الكاتب " [(1)].

وإذا كان السّرد آلية لإنتاج الحكي وتقديمه فإنّ الراوي عصب السّرد ومفتاح فهمه ووسيلة توصيله - داخل الرواية- بوصفه أهم " أداة من الأدوات الفنيّة الثريّة التي يطوّعها صاحب العمل تبعاً لاتجاهه الفكريّ" [(2)]، ومن هنا تتجه عناية الدراسات السّرديّة إلى هذه الأداة المُنتجة للمروي بكلّ ما فيه من وقائع وأحداث، " وتعنى برؤيته تجاه العالم المُتخيّل الذي يكوّنه السّرد وموقفه منه"[(3)]؛ فهو أداة الوعي والعرض والإدراك التي استأثرت بجلّ اهتمام النقاد شرقاً وغرباً؛ وذلك لتنوع العلاقة بين الراوئي مُنتج النّص ، والراوي المُلقى على عاتقه مهمة القص الذي تتعدّد تمظهرات علاقاته، وتتنوع صور تدخلاته وتشكلاته في بنية العمل الفنيّ نفسه، وتختلف طبيعته وموقعه ورؤيته وصورته وكيفيات حضوره فنياً "باختلاف الوظائف التي يقوم بها، وبالمقدار الذي تحظى به كلّ منها في النّص؛ لأنّ هذه الوظائف هي نفسها العلامات

([1]) محي الدين ، ناصر نمر ، **بناء العالم الروائي**، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2012 ، ص 24.

([2]) عامر، عزة عبد اللطيف ، **الراوي وتقنيات القص الفنيّ**، ط1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2010 ، ص 25.

([3]) إبراهيم ، عبد الله ، **السّرديّة العربيّة" بحث في البنيّة السّرديّة للموروث الحكائي العربي"**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص11-12.

التي تحدد نموذج الراوي ، وتضبط موقعه، وتصنع قوامه العقليّ والجسديّ والوجدانيّ، وتتحكم في طريقة إدراكه للعالم المحيط به ، وفي طريقة كلامه وتعبيره عن هذا العالم"[(1)].

ولقد تناولت دراسات نقديّة نظريّة غربيّة كثيرة مفهوم الراوي من وجهات نظر متعدّدة ومتباينة ممّا أدى إلى إنتاج ما لا يتناهى من المُسميات والتّصنيفات والمصطلحات والأنماط والوظائف إلى درجة اللبس والخلط والتّداخل، وقد أفادت هذه الدراسة من كتاب "الراوي والنّص القصصيّ" للباحث "عبد الرحيم الكردي" الذي جاء دراسة وافية دقيقة لمفهوم الراوي ووظائفه وعلاقاته وأنماطه أو أنواعه ، وأثره في النّص وتأثيره في عناصر القص مشفوعة ببعض النماذج النّصيّة الدّالة بعيداً عن التهويمات النظريّة المُتكثرة بلا طائل.

ولعلّ من المهم التأكيد هنا أنّ هذه الدراسة لا تقصد –بتاتاً- تفصيل القول بتاريخ تطور مفهوم الراوي المتنامي منذ نشأة فكرته عند اليونانيين على أيدي الفيلسوفيْن الإغريقييْن" أفلاطون وأرسطو"، وحتى اكتمال حدود تبلوره وتشكّله عند البنيويين والأسلوبيين من أمثال: هنري جيمس وتلميذيْه: بيتش ولوبوك، وتودوروف، وبروب، وباختين، وجيرار جينيت، وبنفست وغيرهم؛ إذ استفاضت دراسات كثيرة [(2)] في تناول هذا.

ومعلوم أنّ الرواية نص سرديّ مُتخيل يوهم بالعالم الحقيقيّ الخارجيّ، موجّه إلى القارئ المتلقي المروي له عن طريق الراوي الذي ليس هو المؤلف ، ولذا تتحدّد خصوصيّة العمل الفنيّ ومهارة الروائي الذي لا يتكلم بصوته بل بصوت راويه التّخييليّ الذي ينوب عنه في عملية السّرد من خلال طبيعة الراوي المُختار بعناية، ومن علاقته بالمروي وموقعه منه، ومن الكيفية التي يروي فيها الأحداث الروائيّة، وهذا"ما يجعل كلّ طريقة من طرق سرد الرواية تعبيراً عن القدرات الفنيّة للروائي كاتب الرواية ، ودلالة تفرده"[(3)].

إنّ الراوي بوصفه الوسيلة والأداة التي يستخدمها الروائي الكاتب ويتوسل بها؛ لبثّ القصة التي يروي، والإيهام بواقعيتها ما هو إلاّ لعبة فنيّة ترتبط بمسألة العالم المروي نفسه؛ " فالروائي إذ ينجح في ممارسة وظيفة راو أي ناقل ، إنّما ينجح بالإيهام باستقلاليّة عالمه المروي: أي بوجود هذا العالم بالناس الذي يشكّلونه، أي بمسألة قدرة هذا العالم على أن يظهر وكأنّ أناسه هم فعلا صانعوه، هم أصحابه ممّا يكسب هذا العالم طابعه الحقيقيّ".[(4)]

الرّاوي والمنظور "وجهة النظر":

ربط الكثير من الدارسين والباحثين والنقاد المحدثين بين دور الراوي والمنظور الروائي الذي يعدّ من أهمّ الجوانب الفنيّة الجديرة بالبحث والدراسة؛ لما له من أهميّة في إيصال النّص الروائي إلى المتلقي،

([1]) الكردي ، عبد الرحيم ، **الراوي والنّص القصصي**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006، ص77.

([2]) انظر على سبيل المثال : الكردي ، عبد الرحيم ، **الراوي والنّص القصصي** ، مرجع سابق ، ص25-54 ، وعلي ، نجاة ، **الراوي في روايات نجيب محفوظ**، دار الهلال، القاهرة، 2017، الفصل الأول"الراوي في النقد الأدبي ص28-66.

([3]) الفيصل ، سمر روحي ، **الرواية العربيّة "البناء والرؤيا" مقاربات نقديّة**، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2003، ص94.

([4]) العيد ، يمنى ، **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، ط3 منقحة ومزيدة، دار الفارابي، بيروت، 2010، ص 141.

فالمنظور الروائي " مصطلح مستمد من الفنون التشكيليّة ولاسيّما الرسم، إذ يتوقف شكل أيّ جسم تقع عليه العين، والصورة التي تتلقاه بها على الوضع الذي ينظر منه الرائي إليه ويُستخدم هذا المصطلح المأخوذ من البصريات في هذا المقام استخداماً نقدياً"[1] .

ويرى "طه وادي" أنّ المنظور الروائي " عبارة عن وجهة النظر **point of view** التي يعتنقها الكاتب ، ويريد أن يطرحها فيما يكتب، فكلّ أديب يهدف واعيا أو غير واعٍ إلى طرح نسق فكريّ يمثّل موقفه الأدبيّ من الكون والطبيعة والإنسان، وعلى هذا فإنّ "وجهة النظر" أو ما اصطُلح على تسميته بـ" المنظور الروائي" هو المحور الذي تدور حوله الأحداث؛ حيث إنّ الكاتب يشكّل أحداث روايته ليصل في النهاية إلى وجهة نظر أو رؤية، تمثّل المثير الأول الذي استثاره؛ لكي يكتب معبراً عمّا يعتقد آملاً أن تصل معتقداته إلى قرائه ، وأن يبقى لديهم بعد أن ينتهوا من قراءة الرواية " المنظور " الذي طرحه ، والقضيّة التي آمن بها" [2].

وتتفق " سيزا قاسم " في تحديدها لمفهوم " المنظور " مع ما جاء في تعريف " طه وادي " مؤكّدة أهميّة الجانب التعبيريّ في إطار المنظور الرّوائي للكاتب إيماناً منها بأهميّة الرؤية والأداة معاً في قولها: " لا يجوز قصر مفهوم المنظور على أنّه مصطلح فكريّ أو أيديولوجيّ ، أو أنّه يدلّ على موقف صاحب العمل الأدبيّ الفلسفيّ أو رؤيته الفكريّة فحسب ، إذ إنّه في هذا المجال يتسع ليشمل هذا المفهوم بالإضافة إلى كونه" إدراكيّة" للمادة القصصيّة ، فهي تقدم من خلال نفس مُدرِكة ، ترى الأشياء وتستقبلها بطريقة ذاتيّة تتشكّل بمنطق رؤيتها الخاصة ، وزاويتها الأيديولوجيّة كانت أو نفسيّة ، بالإضافة إلى المنطق التعبيريّ الذي يختاره أو يقوله من مستوى الزمان والمكان ، ولكلّ من أحداث الرواية والقارئ"[3].

ويرى أحد الباحثين أنّ وجهة النظر **point of view** " تعني في أبسط صورها في مجال النّقد الروائي: العلاقة بين المؤلف والراوي وموضوع الرواية".[4]

وتتّخذ وجهة النظر هذه ثلاثة مواقف مختلفة فـ " إمّا أن يحكيها الراوي بأسلوب ضمير المتكلم على أنّ كلّ أحداث الرواية وشخصياتها خارجة عن حيّز تجاربه المباشرة ، وإمّا أن يرويها بوصفه شخصيّة من شخصيات الحدث تشترك في حبكة القصص، وتتكلم عن غيرها من الشخصيات ، وإمّا أنْ يقصّ الرواية بوصفه رقيباً عليماً بكلّ شيء متخذاً موقف الإله ويحكي إحداث الرواية ، كما يبين ما يكمن في ضمائر الشّخصيات من أفكار و وجدانات "[5].

وعلى هذا تتجلّى أهميّة المنظور الفنيّ في التقنيات الأسلوبيّة التي يستخدمها الروائي في صياغة مادته الروائيّة ، وقيمته في مدى مساهمته في إيصال النّص الروائي المحكي إلى الملتقي والتأثير فيه ؛ لأنّ

([1]) قاسم ، سيزا أحمد ، **بناء الرواية : دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ** ، الهيئة المصريّة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1984 ، ص130.

([2]) وادي ، طه ، **دراسات في نقد الرواية** ، الهيئة المصريّة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1989، ص91 .

([3]) قاسم ، سيزا ، **بناء الرواية** ، مرجع سابق ، ص130 .

([4]) سمعان ، إنجيل بطرس ، **دراسات في الرواية العربيّة** ، الهيئة المصريّة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987، ص 91.

([5]) وهبة ، مجدي ، المهندس ، كامل ، **معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب** ، ط2 ، مكتبة لبنان ،بيروت ، 1984 ، ص430 .

الأسلوب المُعبِّر المُنتقى انتقاء جاداً وواعياً يناسب السياق المحكي يُمكن الروائي من إيصال خطابه إلى المتلقي وتوضيحه له .

أشكال الراوي وأنواعه:

إنّ الراوي التّخييليّ مُعطى نصيّ تقنيّ يمسك بلعبة القص وصيرورة السرد، وهو "الصانع الوهمي للعالم الروائي"[(1)]، وليس الراوي نوعاً واحداً أو شكلاً وحيداً أو صوتاً مجرداً ينهض بالسّرد ويتولاه حسب ، بل هو شكل أكثر مرونة وأشدّ تنوعاً، " شكل وراءه مداليل، وهو – بصفته شكلاً- مرتبط بكاتب يحمل هموما معينة، ويعيش في بيئة ثقافيّة وحضاريّة يتأثر بها ويحاول – من خلال فعل الكتابة- أن يكون له فيها أثر"[(2)].

وتبعاً لذلك فقد قُسِم الرواة أنواعاً على أسس مختلفة تبعاً لتعدّد وظائفهم، واختلاف الأشكال الفنيّة المرتبطة بأصواتهم، وتنوّع الضمائر التي يتكلمون بها ما بين **(المتكلم، والمخاطب، والغائب)** ، وتباين علاقاتهم بالكاتب تارة، وبالشخصيات القصصيّة الفنيّة التي يروي الحدث عنها أو تقصّ الأخبار من خلالها تارة أُخرى، واختلاف درجات ظهورهم في النّص وخفائهم، وتفاوت مدى الثقة بمرويهم وتأثيراتهم في المروي نفسه؛ إذ الراوي أداة عرض ووعي وإدراك، وهو "ذات لها مقوماتها الشخصيّة التي تؤثر إيجاباً أو سلباً في طريقة الإدراك وفي طريقة العرض، وهو بهذا يقف في المنطقة التي تفصل بين المؤلف والشخصيات، والمنطقة التي تفصل بين القارئ والنّص، والمنطقة التي تفصل بين العالم الفنيّ المُسجَّل والصورة الخياليّة للعالم نفسه عندما يتشكّل من جديد في ذهن قارئ هذا النّص"[(3)].

وتتباين أشكال حضور الرواة في الأعمال الفنيّة تبعاً لطبيعة مواقعهم في النّص، وصور وظائفهم المتعددة؛ فهناك الراوي السافر الظاهر كلي المعرفة، وهناك الخفي الضمني ، وهناك المحايد، وهناك المشارك وغير المشارك، وهناك المفرد وهناك المتعدد، وهناك مَن يعلم أكثر مما تعلم الشخصيّة، وهناك مَن لا يعلم إلاّ ما تعلمه الشخصيات، وهناك مَن يعلم أقلّ مما تعلمه الشخصيات، وتطول التقسيمات النظريّة ، وتتعدد الصيغ ومُسمياتها أمام نقاد الفن القصصيّ، ويبقى باب الإبداع في تقنيات الراوي مفتوحاً على مصراعيْه أمامهم؛ إذ ليست هناك أيّ ضوابط تحتم على الروائي أنْ يتخذ طريقة واحدة أو نمطاً واحداً؛" فالاكتفاء بصيغة روائيّة واحدة ، أو المزج بين صيغتين أو أكثر مكفولة لحريّة الكاتب ولأسلوبه في العرض"[(4)] وفق ما يقتضيه سياق السرد.

ويتنوع الرواة بتباين أشكال حضورهم ؛ فيحاول الراوي المشارك تارة إيهام القارئ بالواقع فيروي الحكاية بأسلوب **ضمير المتكلم** بوصفه صانعاً للحدث مشاركاً فيه؛ "ليتمكن من ممارسة لعبة فنيّة تخوّله

([1]) العقيل ، أسمهان ، **الراوي في الرواية الأردنيّة بين جيلين "دراسة نقديّة تطبيقيّة"**، ط1، منشورات أمانة عمّان، عمّان، 2008، ص 22.

([2]) العمامي، محمد نجيب ، **الراوي في السرد العربي المعاصر" رواية الثمانينات بتونس"**، ط1، دار محمد الحامي، تونس 2001، ص15.

([3]) الكردي ، عبد الرحيم ، **الراوي والنّص القصصي**، مرجع سابق، ص18.

([4]) الكردي ، عبد الرحيم ، **الراوي والنّص القصصي**، مرجع سابق، ص18.

الحضور في الحدث، وتسمح له بالتّدخل والتّحليل بشكل يولّد وهم الإقناع"[1] ، إذ يتولى البطل نفسه قصّ الحدث، ومتابعة خط سيره، مما يجعل المتلقي أكثر اقتراباً من عالم الشخصيّة ومنظورها النفسيّ والاجتماعيّ والفكريّ وأكثر تعلقاً بالعمل السّرديّ والتصاقاً به.

ويعمد الروائي تارة ثانية إلى **ضمير الغائب** باستخدام الراوي كلي المعرفة أو ما اصطلح على تسميته بالراوي العليم أو العارف بكلّ شيء الذي يعرف ما تعرفه الشخصيّة وما لا تعرفه، ويرى ما تراه وما لا تراه رغبة في "صياغة بنيّة شكل روائي قادرة على النّطق، وعلى الإيهام أيضاً بذاتيّة نطقها، أو بآليته أيّ بعدم تدخل الراوي في قول العمل الروائي"[2] ؛ إذ يقف الراوي فيها في موقع يسمح له برؤية الشخصيّة ومعرفة كلّ شيء عنها، فينطق باسمها، ويعبر عنها، فيبدو ك"العدسة الفوتوغرافيّة التي تتابع بدقة: تصف، وتصور، وتنقل بلا تحليل أو تدخل تماما كالمخرج الذي لا نراه إلا في أثره"[3].

واستخدام ضمير الغائب في القصّ الروائي على هذا النحو "يحرر الراوي من الانزلاق في إسار الشخصيّة، بحيث يجد نفسه يصوّر الشخصيّة، وقد جعل بينه وبينها مسافة تتيح له قدراً من الموضوعيّة والشموليّة بخلاف الضمير الأول "المتكلم" الذي يجعل الروائي يتسلل بفكره ولسانه إلى داخل وجدان الشخصيّة وعقلها ممّا يؤدي أو يعرضه إلى أن تكون شخصياته بوقاً لأفكاره"[4].

وتارة أُخرى يتخذ تقنية **الراوي المتعدّد البوليفوني** أداة للكشف عن تباين وجهات النظر وطرائق الرؤية، فينهض بأعباء سرد متون فصول الرواية رواة متعددون يشاركون بدرجات متفاوتة في رسم ملامح الشخصيّة، وتصويرها والحدث ودرجة تصعيده في دائرة الزمكان الروائي، وآنذاك "تصبح الرواية من خلال وجهات النظر المتعددة مثل جوقة يعزف كلّ فرد منها بآلة خاصة، لكن الجميع يُصدِرون سيمفونيّة متناغمة"[5]، وبذا - أي بالأصوات السّرديّة المتعددة- تُسرد الأحداث، وتُصوّر المواقف، وتُرصد الرؤى، وتُتابع مجريات التّحول والتّشكيل.

وكثيرا ما يأخذ الراوي على عاتقه في النّص الروائي عملية القصّ اللغويّ التي يتداخل فيها السّرد والوصف والحوار بوصفه عنصراً مهماً من عناصر العمل السّرديّ الروائي، فيميل الروائي آنذاك إلى استخدام أسلوب تيار الوعي بتقنياته المتنوعة حرصاً منه على الاقتراب من عالم الشخصيّة من جهة، ومحاولة تصوير الحدث بالكيفيّة التي يقع بها على وعي الشخصيّة بأبعادها المختلفة، وعكس واقع شديد التّعقيد والاضطراب من جهة أُخرى.

وظائف الراوي:

([1]) العيد ، يمنى ، **تقنيات السرد الروائي**، مرجع سابق، ص144.

([2]) العيد ، يمنى ، **تقنيات السرد الروائي**، مرجع سابق، ص 153.

([3]) العيد ، يمنى ، **تقنيات السرد الروائي**، مرجع سابق، ص 152.

([4]) الهواري ، أحمد إبراهيم ، **نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر**، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة، القاهرة، 1993، ص 281.

([5]) وادي ، طه ، **الرواية السياسيّة**، ط1، القاهرة، دار النشر للجامعات المصريّة ،1996، ص 151.

إنّ للروائي خالق العالم التّخييليّ الذي يتخفى وراء قناع الراوي التّخييليّ المفوَّض رؤيته الفكريّة والفنيّة الإبداعيّة التي تغاير الواقع الكائن وتتجاوزه في بنية فنيّة دالّة، تتبلور فيها الرؤى مُشكلة قطباً من أقطاب عملية الخلق الفنيّ الجماليّ المؤثّر وهي تنهض بعبء وظيفتها الدّالة عليها.

وقد تعدّدت وظائف الراوي وتنوعت في منظومة السّرد الفنيّ بوصفه المُعطى الفني المُوصِّل والمُوجِّه، والمؤثّر في غيره من العناصر البنائيّة، فكانت- أي الوظائف- العلامات ذاتها الدّالة على وجوده، وما التنوع إلاّ "دليل حريّة الراوي في تأدية مهمات متعددة ترتفع بمستوى النّص السّرديّ إلى مستوى النّص المفتوح الذي يقبل التأويلات المتعددة"[1].

وقد قام النقاد برصد مجموعة من الوظائف التي ينهض بها الراوي فتتحقّق بوجوده وتتوارى بتواريه، فحصرها الناقد الفرنسي **"جيرار جينيت"** في خمس وظائف هي: الوظيفة السّرديّة المحضّة، والإداريّة، والتّواصليّة والأيديولوجيّة ، والوضع السّرديّ، وبالطبع" لا ينبغي تلقي هذا التّوزيع إلى خمس وظائف بصفته جامعاً مانعاً، فليست أيّ من هذه المقولات خالصة تماماً، وغير متشاركة مع المقولات الأُخرى، وليست أيّ منها ما عدا المقولة الأولى أساسيّة تماماً، وفي الوقت نفسه ليست أيّ منها قابلة للتّحاشي تماماً مهما بُذل من عناية في سبيل هذا التّحاشي"[2].

ورغم اضطلاع الراوي بمهام كثيرة منها: الشرح والتفسير والتّصوير والتّوصيف والتّعليق والتّقويم والتّعبير والتّأثير والتّحفيز والتّنوير والتّوثيق والإثبات والتّغريب؛ بغية كسر رتابة الواقع وزلزلة السائد الراكد إلاّ أنّ من أبرز وظائف الراوي وأشدها وضوحاً وتأثيراً: الحكي والإخبار والتّوصيل والتّأثير عن طريق السرد، والإيهام بالواقع " انطلاقاً من موقعه الذي يؤطر علاقته بالحكاية التي تجئ في ضربين اثنين: الراوي الملتحم بالحكاية، والراوي غير الملتحم بها"[3].

ولعلّ من الواجب التأكيد أنّ هذه الوظائف وحدها ليست هي الوحيدة التي يضطلع بها الراوي فتصنع حضوره، وتؤكّد علاقة وجوده لا سيما وأنّ الراوي مُكوّن من جملة من العلاقات ، وهو صيغة تقنيّة فنيّة مفتوحة غير مغلقة، وكلّ وظيفة له هي امتداد لوظائف سابقة متفاوتة ومختلفة قد تتبدى بغير طريقة، وقد تمتزج مع بعضها حدّ التّقاطع والتّشابك بدرجات ، وليس شرطاً أن تكون كلّها موجودة في كلّ راو أو في كلّ قصة، وعليه أفرزت وظائفه المتعددة المُتكثرة أنواعه السابقة المُختلفة موقعاً ورؤيةً وصوتاً وعلامةً وأنموذجاً.

التّعليق وظيفة روائيّة:

([1]) عزام ، محمد ، **شعريّة الخطاب السردي**، ط1، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،2005 ، ص 86.

([2]) جينيت ، جيرار ، **خطاب الحكاية "بحث في المنهج"** ، ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1997 ، ص265 .

([3]) حليفي ، شعيب ، **مكونات السرد الفانتاستيكي** ، فصول، مج 12،ع1، الهيئة المصريّة العامة ، القاهرة،1993، ص 72-73.

إنّ تأكيد أهميّة الراوي نابع من أهميّة وظيفته الإخباريّة التأثيريّة معاً التي يصير فيها الحكي والإخبار عامة ، والتّعليق خاصة: المدخل الحقيقيّ لدراسة النّص ، وفهم رؤيته ، والمفتاح الملائم؛ للوقوف على أثر الراوي نفسه في بناء النّص وتشكيل القصّ.

وأجزم أنّ معظم نقاد الفن القصصيّ قد استفاضوا في كشف وظائف الراوي الجماليّة المختلفة السّرديّة والبنائيّة والتعبيريّة والإيديولوجيّة والتأثيريّة التي لا يمكن الاستغناء عن أيّ منها في تحديد نموذج الراوي وضبط موقعه، وتشكيل قوامه وطريقة إدراكه إلاّ أنني إخال أنّ معظمهم لم يقفوا عند "التّعليق" بوصفه مكوناً من مكونات السّرد وصيغة من صيغ الراوي وعلامة من علامات حضوره، وعنصراً بنائياً من عناصر البناء؛ فقد مروا به مروراً عابراً في أثناء تناول وظيفة الراوي في الشرح والتّفسير ، ولم أجد في حدود بحثي من يقف عند مفهوم التّعليق بوصفه مصطلحاً نقدياً مقترحاً إلاّ دراسة حديثة بعنوان **"تألق النّص: الاستغراق، الإضفاء، التّعليق " ظواهر أسلوبيّة في الأدب والنقد"** للباحث حمدالله المناصير حاول فيها تقعيد هذه الظواهر الأسلوبيّة ومنها التّعليق ، والتّمثيل عليها بما يزيد النّصوص جماليّة وإبداعاً، وقد استضاءت هذه الدراسة بإضاءات الباحث والتقاطاته النقديّة؛ بما فيها من علامات وإشارات دلاليّة، وقاست على مقترحاته البنائيّة بما تقتضيه طبيعة الدراسة.

والتّعليق لغةً" تعقيب أو بيان أو تكميل أو تصحيح أو استنباط" [(1)] أمّا اصطلاحاً فيقصد بالتّعليق " glossالتّفسير الطويل أو القصير لما ورد في النّص منسوباً إلى مؤلف النّص أو إلى غيره"[(2)].

ويبرز مصطلح التّعليق في حياتنا اليوميّة بوضوح في الصحافة والإعلام والرياضة ومؤخراً في مواقع التّواصل الافتراضيّ؛ تأكيداً لوجهة نظر ما أو موقف ما من الكون أو الحياة أو الإنسان، أو رؤية فكريّة أو معرفيّة أو ذاتيّة تعكس رأي الذات واتجاهها تجاه ما يمرّ بها من أحداث؛ فبعض التّعليق تفسير، وبعضه بيان، وبعضه تعقيب، وبعضه إيضاح.

وترتبط وظيفة التّعليق في النّص الأدبيّ على تنوع أجناسه واختلاف تصنيفاته برؤية مُنتج النّص وأدواته في البناء، فأداة الكاتب:الراوي، والتّعليق في النّص الأدبي على وجه الخصوص هو صوت الراوي تعقيباً وتوصيفاً يريد من ورائه" الإيضاح أو التّأثير أو التّوكيد أو التّقديم أو الإيهام بواقعيّة النّص، أو تمرير فكرة أو انطباع خاص به، أو نشر ثقافة معرفيّة وعلميّة ما أو بناء النّص"[(3)].

وقد تختلف دواعي التّعليق وفقاً لأنماط الرواة وأشكال حضورهم في النّص ، وطبيعة مواقعهم من القص ورؤيتهم المنوطة بهم، ووظائفهم في السّرد والإخبار والوصف والتّبليغ؛ فقد يميل الراوي بالتّعليق إلى تجلية الغامض تارة، وكشف المستور تارة أُخرى، وفضح بطانة المسكوت عنه، وتوضيح ما غمُض، وتبيين ما أُلبس، وتوكيد ما وقع فأُشكِل؛ لإثارة المتلقي وتشويقه وجذبه، وجعله شريكاً له في التّلقي والتّخييل.

([1]) أنيس ، إبراهيم ، وآخرون، **المعجم الوسيط** ، ج2 ، مادة "علق"، د.ت ، المكتبة الإسلاميّة للطباعة والنشر، القاهرة، ص622 .

([2]) وهبة ، مجدي ، المهندس ، كامل ، **معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب**، مرجع سابق، ص112 .

([3]) المناصير ، حمدالله ، **تألق النّص"ظواهر أسلوبيّة في الأدب والنقد"** ، ط1 ، دار جليس الزمان ، عمّان ، 2019 ، ص273 .

وليس ثمة شكل محدد للتّعليق أو نمط وحيد أو أوحد لمظاهره؛ فهذا يعود إلى طبيعة الراوي المُعلِّق من جهة ، وإلى طبيعة النّص أو الحدث المُعلَّق عليه من جهة أُخرى؛ فـ"أحداث أيّ نص لا يمكن أنْ تسير وحدها من غير توجيه أو إيضاح أو توكيد ، فهي تحتاج إلى راويها لكي يقدمها إلى متلقيها بأسلوب رفيع وجماليّة متناهية ، وفي المقابل فإنّ الراوي يمتلك نشوة أو لذة في إبطاء نصه أو تعجيله من خلال هذه الأسلوبيّة"[1].

ويزيد التّعليق من أدبيّة النّص وجماليته وفقاً لمدى قدرة الراوي في التأثير في المتلقي من خلال تعليقاته المبثوثة في أثناء النّص، بما يقتضيه النّص دون تزيد أو تكلّف أو مبالغة أو تهويل تحيل النّص إلى مقالات جافة، وبلاغات تقريريّة لا طائل من ورائها فنياً وجمالياً ، فلا يكون التّعليق على ما ينبغي أو لا ينبغي، ولا يكون تدخلاً سافراً واقتحاماً فجاً مُدمِّراً للنص وبناه، ولا يصير استعراضاً يتوه فيه الراوي عن الذي يريد توصيله فيدخل في منطقة انعدام الوزن ويفقد بوصلته، ويتحول إلى مادّة هلاميّة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة؛ فالفرق جداً كبير بين الواقع والفن؛ فالفن ليس هو الحياة بحذافيرها، وليس هو التسجيل الآلي والتّصوير الفوتوغرافيّ لمرئياتها ومتغيراتها، بل هو إيهام بها لا تتحقّق وحدته الفنيّة إلاّ بتضافر مكوناته وتآلف عناصره وتلاحم مفرداته وكأنّه كائن حي ينمو ويتطور على الدوام بأداء كلّ عضو من أعضائه وظيفته، ودعم كلّ ركن فيه للآخر؛ ليتخذ هيئته المتماسكة.

رواية "القرميّة" الرؤية والتّشكيل:

تتناول رواية **"القرميّة"**[2] **"الليل والبيداء"** للروائيّة الأردنيّة **"سميحة خريس"**[3] الثورة العربيّة الكبرى والأحداث التاريخيّة الكبرى التي دارت في شرق الأردن وسوريا في عامي 1917-1918 بقيادة الأمير"

([1]) المناصير ، حمدالله ، **تألق النّص"ظواهر أسلوبيّة في الأدب والنقد"** ، مرجع سابق ، ص276 .

([2]) خريس ، سميحة ، **القرميّة "الليل والبيداء"** ، منشورات وازرة الثقافة، عمّان، 2011 .

([3]) **سميحة خريس**: وُلدت عام 1956في عمّان، وتلقّت تعليمها الابتدائي والإعدادي في قَطر ثم في السودان تبعاً لتنقُّل والدها الذي عملَ في السك الدبلوماسي، وأنهت الثانويّة العامة/ الفرع الأدبي في مدرسة الخرطوم الثانويّة بالسودان سنة 1973، وحصلت على شهادة البكالوريوس في علم الاجتماع من جامعة القاهرة في مصر سنة 1978.

عملت في مجال الصحافة؛ في صحيفة "الاتحاد" الظبيانيّة في الإمارات (1981-1998)، ثم في الأردن في صحيفة "الدستور" (1998)، ثم في "الرأي" منذ سنة 1999، صحفيّةً ومديرة للدائرة الثقافيّة، ثم تولت رئاسة تحرير مجلة "حاتم" للأطفال التي كانت تُصدرها المؤسسة الصحفيّة الأردنيّة (الرأي) حتى تقاعُدها.

شغلت عضويّة مجلس إدارة الإذاعة والتلفزيون (2009)، ومجلس إدارة وكالة الأنباء الأردنيّة "بترا" ، حُوِّل عدد من أعمالها إلى مسلسلات إذاعيّة أنتجتها مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، وحازت جوائزَ في مهرجانات الإذاعة والتلفزيون العربيّة بالقاهرة، ومن هذه الأعمال: "شجرة الفهود"، و"خشخاش"، و"القرميّة" ، ونالت جائزة الدولة التشجيعيّة من وزارة الثقافة سنة 1997 عن روايتها "شجرة الفهود"، ومُنح العمل الدرامي الإذاعي الذي أُعدّ عن هذه الرواية بالعنوان نفسه وأنتجته مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، الميداليةَ الذهبيّة للعمل المتكامل من مهرجان القاهرة للأعمال الدراميّة سنة 2002.

كما نالت جائزة "أبو القاسم الشابي" في تونس سنة 2004 عن روايتها "دفاتر الطوفان"، وجائزةَ الإبداع الأدبي من مؤسسة الفكر العربي في بيروت عن مجمل أعمالها سنة 2008، وجائزة الدولة التقديريّة في الآداب (بالاشتراك) سنة 2014. كما نالت وسام الحسين للعطاء المميّز سنة 2015. وهي عضوة في رابطة الكتّاب الأردنيين، ورابطة القلم الدوليّة/ فرع الأردن(PEN JORDAN) ، كما أنها عضوة مؤسسة في اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات. للمزيد: انظر: وزارة الثقافة" **معجم الأدباء الأردنيين"** (ج2، م1)، عمّان، 2006. الصالح ، نضال ، **سميحة خريس " قراءات في**

فيصل" وبعض رجالات العرب الأحرار المساهمين في الثورة من أمثال: "عودة أبو تايه" شيخ توايهة الحويطات و"مولد مخلص" و"جعفر العسكري" و"نوري السعيد" وغيرهم وفق صيغة زمنيّة متوافقة مع الزمن الحكائي للرواية، المُوثّق تاريخياً منذ إشارتها في الصفحة الأولى من الرواية إلى حادثة عصيان أهل الشوبك وتمردهم على الحامية التركيّة 1905 ، وحتى إشارتها إلى تشكيل أول حكومة عربيّة في دمشق 1918 في آخر صفحات الرواية نفسها.

وتأتي هذه الرواية التي تتناول تاريخ الأردن الحديث بعد رواية "**الصفصافة**" للكاتب "أحمد الطراونة، و"**وجه الزمان**" للكاتب طاهر العدوان، و"**العودة من الشمال**" للكاتب فؤاد قسوس، و"**حوض الموت**" للكاتب سليمان القوابعة ، التي تناولت - من قبل- الموضوع ذاته في الثورة على الظلم والانتصار للوحدة والحريّة، والإيمان بالنّصر، والحلم بوحدة الأمة رغم مشقة الطريق ووعورته.

وتضجّ الرواية بالروح الخلّاقة المتمردة على الظلم، الساعية إلى الحق، التي يتماهى فيها المطر والإزهار والإخصاب مع المحل والجدب وانحباس الغيث وقسوة الشمس، وتتناغم الطبيعة بظواهرها المتباينة مع تجارب البشر على اختلافها، وتزخر "بفرح الولادة المغموس بالأسى، وبنسل الفرسان أمل الأمة، وهم يستأنفون درب الأحرار؛ لتسطع شمس الحريّة، ويعمّ نورها أرجاء الوطن"[(1)].

وترتهن تجربة "خريس" في روايتها "القرميّة" في أساسها إلى الانبناء على التراث بوعي جيد يعيد اكتشاف الكامن فيه، مختلف عن السائد، وممارسة تنحو الإبداع مُنتجة نصاً ثرياً له ملامحه الخاصة وسماته المميزة؛ إذ تتكئ في نصّها على التاريخ تمتح منه، فتستلهم ولا تنقل ، وتعبّر به وعنه، وتتواصل معه دون أن تنكفئ كلياً عليه بل تحمله أبعاداً بعيدة معاصرة تتوق إلى لمّ ما انفرط من رؤى، وجمع ما تشتت من أحلام بالحريّة الحق، والوحدة الواحدة، وضرورة الخلاص من زيف الحاضر وسطوة ظلامه.

وتشكّل الحريّة والرغبة في الخلاص من ظلم الأتراك الاتحاديين ولا إنسانيتهم خيوط الرواية التي يتضافر فيها العام والخاص، والواقع الحقيقيّ والفن المُتخيل، والماضي والحاضر؛ لتتوحّد فيما بينها مُفضية في النهاية بالدلالة الأخيرة التي تضيف إلى رؤية الواقع بعداً إنسانياً وفنياً خاصاً، يساعد بدوره في تجلية الغامض وكشفه ، وإعادة صوغه من جديد تركيباً وتخييلاً.

وتعمّق الرواية في تناصاتها اللغويّة والشعريّة والشعبيّة والأسطوريّة والدينيّة المتساوقة مع السرد والحوار المُوحية المندغمة في البناء الفنيّ حقّ الوجود الحر الذي يقف في وجه السلطة الغاشمة مدافعاً عن شرعية وجوده، مُعيداً بناء واقعه وتشكيل معطياته؛ لفهم محتواه واستيعاب رؤياه ومتابعة قضاياه.

ويلعب المكان/الجنوب الأردني في "القرميّة" دوره الأبرز في تشكيل عالم الروائيّة "خريس"؛ إذ يغدو- بوصفه فضاء للحريّة - فضاء رحباً متسعاً يأبى القيد والحبس"يحوي تاريخيّة عبقةً بروح الزهو والحريّة

التجربة الروائيّة"، أمانة عمّان الكبرى، عمّان، 2005، و ملحم ، إبراهيم أحمد "**سميحة خريس "الرؤية والفن**"، أمانة عمّان الكبرى، عمّان، 2009و http://www.culture.gov.jo/node/30947

([1]) عبيدات ، زهير ، **القرميّة كتابة بالدم والعشق "دراسة في رواية سميحة خريس"**، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويّات، مج 19، ع1، 2001، ص56 .

والأسطورة"[1]، و"كتاباً حياً وذاكرة زاخرة بمحتواه رسمته في حزنه وفرحه وعلاقته بالإنسان وما انطبع فيه"[2]، وبطلاً أنموذجاً يتجاوز حدوده المحسوسة إلى فضاءات أكثر اتساعاً وأشدّ تأثيراً، تندمج في حركة الزّمان والموضوع بوصفها حدثاً أو جملة أحداث التاريخ.

وتمسك الروائيّة بزمام عملها من نقطة البداية باستثمارها للشخصيات الروائيّة التي جاءت بها منسجمة مع حركة الرواية وصيرورة أحداثها؛ فهاهي الشخصيات الحقيقيّة والمُتخيلة في آن تصنع الحدث وتحرّكه، وتنميه وتتفاعل معه زماناً ومكاناً، وتلعب دوراً بارزاً في تطويره وتكثيفه، فـ"عودة" و"عقاب" و"مزنة" و"الكحيلة" و"الحكيم" و" الحارث" و"فيصل" و"مخلص" و"العسكري" و"السعيد" وغيرهم من رجالات الثورة هم الذين أضاءوا الدرب إلى دمشق حيث الحريّة والعدل والحلم والوعد، متسلحين بالحكمة تارة والعشق تارة أُخرى ، والنبل والوفاء والوعد تارة ثالثة.

أمّا "خريس" نفسها فقد أضاءت النّص بلغتها الشعريّة المكثفة الاستعاريّة الشفيفة التي خففت من قسوة المكان وشظفه، وهي تزاوج بين السّرد والوصف والحوار، والمحكي والفصيح الذي رسم صورة بصريّة ولونيّة وحسيّة متكاملة لمختلف عناصر العمل الفنيّ نفسه.

ومما لا شك فيه أنني لا أنوي هنا تقديم قراءة كاملة مستفيضة للرواية؛ إذ تحتاج إلى دراسة مستقلة متأنية إلى عناصر بنائها المتعددة، بل أحاول تقديم إضاءة موجزة للرؤية التي تعبّر عن وجهة نظر الكاتبة من خلال معمار الرواية البنائي الفنيّ تمهيداً لبيان دور راويها في الحكي والإخبار عامة والتّعليق خاصة.

الراوي وأشكال التّعليق في رواية القرميّة:

ينوب الراوي منذ بداية الرواية عن الروائيّة فيغدو صوتها وأداتها التي تقوم مقامها، وقد اهتمت "خريس" بجعل راويها عليماً عارفاً مهيمناً على السّرد متابعاً للحدث غير مشارك فيه، واعياً بموقعه خارج النّص، واقفاً في موقع يسمح له برؤية كلّ شيء غير ذائب في المسرود ، متوارياً بضمير الغائب الذي هو أكثر الضمائر السّرديّة التي تتيح له –بمرونتها- تمرير ما يشاء من "أفكار وأيديولوجيات وتعليمات وتوجيهات وآراء دون أن يبدو تدخله صارخاً أو مباشراً"[3] .

ورغم اضطلاع "شخصية "عقاب" التّخييلية في آخر صفحات الرواية بالقصّ بوصفه راوياً مشاركاً في الحدث، صانعاً له ، ومؤثّراً فيه، ومعبراً عن رؤيته الداخليّة كاشفاً عن خلجاته الشعوريّة تجاه أرضه وحبيبته إلاّ أنّ السطوة كلّها للراوي المُختار بعناية ليكون ظلّ الروائيّة وصوتها؛ إذ يسيطر الراوي المهيمن كلي المعرفة على مجمل حركة السّرد دون أن يقاسمه راو آخر التّقديم والتّوجيه والإخبار والتّعليق، فهاهو يرصد الأحداث بعناية واصفاً ردود الأفعال التي تنتاب الشخصيات الروائيّة، متدرجاً في القصّ وفق تسلسل

([1]) قبيلات ، نزار، **البنى السرديّة في روايات سميحة خريس"1995-2003"**، ط1، دار أزمنة للنشر والتوزيع، 2010، ص82.

([2]) عبيدات ، زهير، **القرميّة كتابة بالدم والعشق دراسة في رواية سميحة خريس**، مرجع سابق، ص58 .

([3]) مرتاض ، عبد الملك ، **في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد"**، ط1، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص177.

زمنيّ محكم غير منزاح لا استرجاعاً ولا استباقاً، ممعناً في بلورة الصور وعكس المشاهد بكلّ ما فيها، حريصاً على نقل مشاعر الألم والفقد والأسى والفرح والنشوة التي تعتري الشخصيات دون أن يُفلِت شيئاً منها، قارئاً ما يدور في بواطنها عالماً بشعورها، قادراً على استكناه جواهرها والتّعمق في دواخلها ، وسبر أغوارها معلّقاً شارحاً مفسراً يدلي برأي هنا، ويترك تعليقا هناك، ويبدي وجهة نظره إزاء بعض الأحداث أو بعض القضايا هنا وهناك.

وبذا لا نكاد نسمع إلاّ صوته ولا نرى أفعال الشخصيّة إلاّ من خلال زاوية نظره، ولا نتعرف الأحداث إلاّ بعدسته اللاقطة حتى إذا كان للشخصيّة ثمة رأي فإنّنا لا نعرفه إلاّ من خلاله نفسه؛ فهو يعبّر عن حديثها ماذا قالت، وماذا اختارت وماذا رأت، وماذا أحبت وفيما فكرت، وكيف تصرفت ممّا يوهم بواقعيّة ما يروي أكثر من غيره من الرواة.

وتبرز تعليقات الراوي في الرواية انطباعيّة ذاتيّة تارة وإيضاحيّة بنائيّة تارة وتأثيريّة في مرات أُخرى، و تقديميّة أو تمهيديّة في أحيان، وتوكيديّة معرفيّة في أُخرى، ولعلّ من أبرز تمثيلاتها في "القرميّة" على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

التّعليق الإيضاحيّ أو التوضيحيّ:

يعي الراوي دوره في السّرد والوصف والإخبار والتّعليق فنجده يوقف السرد بوعي يقظ ؛ ليقدم تبريراً أو تسويغاً للحدث، أو تفسيراً لموقف ما أو حدث ما، أو إيضاحاً لفعل شخصيّة ما يستأنف بعده ما بدأه في الأصل؛ فهاهي الحكمة البصيرة تُخرِج "الحكيم" ضحى من كهفه الذي اعتزل فيه العالمين؛ احتجاجاً على ظلم الأتراك وسياستهم، فيلتقي بالقافلة القادمة من الشرق وفيها فرس "الأصيلة" ، وعلى ظهرها خِرج فيه "عقاب" الطفل الرضيع الذي وجده رجال القافلة بين بيض أنثى الصقر "الشهانة"؛ ليتعهده "الحكيم" بالحكمة التي هي ضالته المنشودة فيكون نسغ الوحدة وروحها الحرة الطليقة البصيرة.

فيصف الراوي الحدث قائلاً:" " **ما طرفت أجفانه وهو يغادر الكهف ، وما عشيت عينيه إضاءة النهار القوية ، ووهج الشمس الساطع . وقال مَن شاهد قامته المهيبة تطلع مِن عتمة الكهف إلى نور المكان كعمود من دخان ، لا بدّ أنّ الحكيم عمي ، فكيف له بعد سنوات الاعتكاف الطويلة أن يواجه سنا الشمس فلا يرفّ له جفن ، ولا يتقي سياط النور بكفّ ، ضاع البصر**"[1]، ثم يعلق إيضاحاً قائلاً:" **وما أخرجته إلاّ البصيرة التي يعرفونها رفيقة عمره العتيق"**[2] ، متابعاً مؤكداً " **همس أحدهم أذن الشيخ متوجّساً : ما يطلع الحكيم من الطور غير الشدائد"**[3]، ثم يتابع من بعد ذلك حكاية "الحكيم" والقافلة والرضيع "عقاب" الذي هو عند "الحكيم" جوهر الحكمة المخبوء في كتاب، وفجر الغد، ورجع الصدى، ومحط عين البصيرة[4].

(1) خريس ، القرميّة ، ص9.
(2) خريس ، القرميّة ، ص9.
(3) خريس ، القرميّة ، ص9.
(4) انظر: خريس ، القرميّة ، ص24.

وها هو الراوي يقطع السرد بالتّعليق الإيضاحيّ مرة أُخرى وقد أمحلت الأرض وتشققت عطشاً ، وهزلت الدواب ونفقت تباعاً وكان لا بدّ من الرحيل أو الغزو من أجل البقاء واصفاً: **"سياط الشمس تلهب جسد الصحراء، كأنّها ما هي أرضنا ، تفور وتطردنا.**

قال الشيخ :

- **شيّلوا .**

وشيّل من استطاع ، حمّلوا الإبل الصبورة بعض المتاع ، وتلكع الفرسان ، وفي العيون مطلب: الغزو يا شيخ !!" [1]

ويعلّق الراوي بعد ذلك موضحاً أثر الغزو اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً بقوله:" **البدو الذين تعودوا عراك الحياة ، وشالوا وحطوا مثل طيور مهاجرة ، يدركون أيّ فزع يثيرون إذا ما أقبلوا بخيلهم نحو القرى، ويدركون أيّ غنيمة يمكنهم الحصول عليها من المزارعين الذين حصدوا زرعهم ، وعمروا مخازنهم بمؤونتهم ، لا يخافون إلاّ غزوات البدو وزيارات الجباه الأتراك التي تتركهم جوعى "**[2].

ويجسّد الغزو عند البدو قانون البقاء للأقوى والصراع من أجل الموجود الذي يبيح لنفسه كلّ شيء متجاوزاً روابط الجيرة والدم مثلما حدث مع شيخ التوايهة "عودة" الذي غزا مع رجالاته أبناء عمومته آل الجازي ممّا أسفر عن قتل زوج شقيقته "عليا" ومقتل ولده "عناد"، وما في الأمر غرابة؛ إذ للغزو عند البدو عذره ومنطقه ، و**"للصحراء ناموس تعرفه وحدها"**[3] و**"الصحراء حدأة أكلت أولادها"**[4].

إنّ هذه التّعليقات الموجّهة إلى القارئ لم تأت من فراغ، بل لم تأت إلاّ لغاية توضيحيّة تؤكّد شريعة الصحراء وقوانينها المنطقيّة واللامنطقيّة ، وأسرارها ممّا يجعل الحدث المُتخيل أكثر مصداقيّة وواقعيّة رغم فنيته، وهذا ما يمنح النّص الفنيّ ألقه وتألقه.

التّعليق البنائيّ:

يومض الراوي بذكاء واع في أثناء بعض تعليقاته بمفاصل مهمة في السّرد تشكل أساسه وبناءه سواء تعلّقت بالحدث أو المكان أو الزمان أو الشخصيّة، إذ عليها يكون المُتكأ في بناء النّص وصيرورة تشكّله وفهم مراميه، وبها تتحقّق وحدة النّص رؤيةً وشكلاً، ومعها تتبلور البنى التي تنتظم فيها المعاني، وتتقاطع عندها خيوط العمل كلّه.

فهاهو الراوي يقطع سرد الحدث الخاص بـ"عمشة" أم الشيخ "عودة" وهي تراقب خيمة ابنها "عودة" الذي يهمّ ورجاله بالتوجّه إلى وادي السواقة وغزو بني صخر، راغبة في توديعه؛ لتستذكر أهمّ جانب في حياة هذا الفارس"عودة"، وأهمّ مفصل في طفولته صنع منه رجلاً بإباء أمه، وتربيتها له على الفروسيّة والشجاعة.

([1]) خريس ، القرميّة ، ص55.

([2]) خريس ، القرميّة ، ص55.

([3]) خريس ، القرميّة ، ص60.

([4]) خريس ، القرميّة ، ص61.

وما هذا التّعليق إلاّ ركيزة من ركائز المعمار الفنيّ الذي صنع الشخصيّة، ورسم أهمّ سماتها وعلامات حضورها الفاعل المؤثر، إذ " **نظرت " عمشة " إلى السماء بحسرة ، ثمّ فارقت الخباء باتجاه مرابط الخيل ، تلمست تحت الظلام درباً تعرفه ، واقتربت ، عين على المرابط وعين على خيمة الشيخ ، ما زالت نار المجمرة موقدة ، وهواء الليل ينقل إليها أصوات الرجال الساهرين ، في قلبها حنين أمّ ، أكان عليها أن تودّع ولدها الشيخ ؟ أن تضمّه كما تفعل الأمهات ، أن توصيه خيراً بنفسه ؟**"[1]

وها هو التّعليق البنائيّ الاستذكاريّ الذي يعود بنا إلى الوراء عندما كان "عودة" طفلاً يافعاً وكان والده الشيخ طريح الفراش يبكي مَن مات له مِن أولاد ، غير مستبشر في أن يرى في صغيره "عودة" رجلاً، عندما حملته أمه "عمشة" على ارتداء فروته وأرسلته لإعادة إبل القبيلة التي نُهبت" **عندها قالت " عمشة " لولدها :**

- **لو ترجع دون البل لأذبحك بأيدي ، وأقطع الذيد اللي أرضعك**"[2].

ويستمر الراوي في تعليقه البنائي الموظف لإضاءة أهمّ جوانب شخصية "عودة" الشيخ المقدام بقوله:" **عاد الفتى ليلتها بالإبل وفروته ملطخة بالدماء ، صار رجلاً وفارسا ًوشيخاً بساعده** "[3] ويستأنف بعد هذا التّعليق وصف ما يعتمل في داخل قلب الأم "عمشة" تجاه وداع ابنها المغوار" **فبأي قلب تستدعيه الآن، تودعه وهو في الأربعين ، شيخاً حقيقياً ، وفارساً لا يشقّ له غبار** "[4].

وهاهو الراوي ذاته يشق طريق الحريّة بالثورة مستبشراً بالنّصر فيسير مع الأمير "فيصل" وفرسانه الأحرار موقظين جمر التمرد والعنفوان، رافضين الظلم وأعوانه، متوحّدين في وجه الطغاة متجاوزين خلافاتهم إذ" **قفز الراعي وفؤاده لا يستكين في صدره ..**

- **وربّي .. والعود ، وربّي المعبود .. هاظا الأمير..**

كان " فيصل " نجل شريف مكة" الحسين بن عليّ" يزحف بجيشه إلى " الوجه "[5]، وهنا يقطع الراوي سرده بالتّعليق الذي تُبنى عليه الأحداث من بعد " **قبس من روح الثورة التي تفجّرت في مكّة واستشرت شمالاً**"[6]، ثم يستكمل سرده ووصفه بالقول:" **وما كان بمقدور الراعي اليافع أن يقدّر عدد المحاربين وما يسوقون من خيل وإبل وأنعام ، فالخيل تتقدم المسيرة وتتبعها الأباعر متفرقات في المؤخرة ، كما تجرّ القافلة سبعين جملاً غنيمة ً من قافلة تركيّة محمّلة سلاحاً ومؤونة ، يسيرون صوب " الوجه " على البحر الأحمر ؛ ليكونوا رديفاً للجيش البريطاني في فلسطين** "[7]، وهنا يعاود الراوي تعليقه بالقول:"

(1) خريس ، القرميّة ، ص22.
(2) خريس ، القرميّة ، ص22.
(3) خريس ، القرميّة ، ص23.
(4) خريس ، القرميّة ، ص23.
(5) خريس ، القرميّة ، ص77.
(6) خريس ، القرميّة ، ص77.
(7) خريس ، القرميّة ، ص78.

بالقول:" **إنها نار الحرب العالميّة الأولى التي اختار العرب فيها أن يحاربوا محتلّهم " تركيا " بعد مئات السنين من الرضوخ"**[1] .

ولا يخفى أثر هذا التّعليق الأخير في بناء الرواية وتصعيد أحداثها؛ إذ جاء التّعليق بنائياً مؤكّداً لأحداث حقيقيّة تاريخيّة مُوثّقة لا فنيّة تخييليّة مُتوهَمة، فالثورة عماد الرواية وعمودها الفقريّ، عليها تأسست الأحداث، وتمازجت واقعياً وفنياً.

ونجد مثل هذا التّعليق البنائي الإشاريّ الدّال في تضافر الجهود، وتآلف الفرسان على اختلاف عشائرهم ومناطق سكناهم ولقائهم في الصحراء التي اتسعت لهم جميعا؛ لأداء قسم الولاء للثورة برفقة الأمير "فيصل" والضابط العراقي "جعفر العسكري"، والشيخ "عودة" ، ففي " **الخيمة التي استقامت من سعف وجريد النخل اليابس ، رسم ثلاثة رجال العالم فوق الرمل ، خارطة مهرها دماؤهم ، وخطّ "جعفر " درباً من العقبة إلى دمشق ، فتندت عينا " فيصل " ومسح "عودة " الدرب بكفه ، وأعاد رسمه بأصبعه متعرجاً إلى الشرق وصعوداً إلى الشمال، هذا ما نعد به"**[2].

ويأتي تعليق الراوي من بعد تعاهد الحلفاء على تحرير أرضهم تعليقاً بنائياً يتمثّل في الحقيقة التاريخيّة الدامية: اتفاقية سايكس بيكو السريّة آنذاك التي حدّدت مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي الامبراطوريّة العثمانيّة المسيطرة على هذه المنطقة في الحرب العالميّة الأولى ، وقسّمت بلاد الشام والعراق بشكل أساسي بين فرنسا وبريطانيا بقوله: **" في نفس ذاك العام رسم رجلان آخران خارطة مختلفة على الورق ، سايكس بيكو ، مهرها البارود والذهب ، ودماء الذين جادوا بدمائهم وما كانوا يعلمون"**[3].

وبذا فإنّ هذا التّعليق يكشف مدى وعي الراوي وعلمه؛ فهو يعلم أكثر ممّا تعلمه الشخصيات، ويدرك عظم المخفي، ويفضح بطانة المستور الذي قلب بنائياً خارطة الوطن العربي فيما بعد، فشتان بين خارطة الثورة والحريّة بالدم وخارطة الزيف والظلم والاغتصاب بالعنوة.

التّعليق التأثيريّ:

تؤثر بعض تعليقات الراوي في المتلقي، وتثير في نفسه ما تثير من مشاعر دافئة وعواطف رقيقة عندما يلامس المناطق الرخوة في نفسه، فلا يقصد بتعليقاته الإيضاح أو البناء أو التّوكيد أو التّقديم أو المعرفة بقدر ما يقصد التّأثير في ذاتية المتلقي وشعوره ؛ ليكون الأقرب إلى الحدث أو الشخصيّة أو الفعل ، بما يستثير فيه من عاطفة وشعور تقارب أعماق المتلقي ، وتشعل حماسته، وتثير شجونه ، وتزيد تشويقه إلى متابعة النّص، فـ"رملة" التي مرت بها سنوات عجاف دون حمل ترتحل مع زوجها "الحارث" إلى "معان" فيرتقيان معاً مزار" أم جديعة" يتباركان ببركتهما، ويتمتمان لبارئهما بالعوض الكريم، فيصير الحمل بعد طول مسير ، يهب الله بذرة الحياة في رحمها ، فينذر زوجها إلى ربّه حجّة إلى البيت العتيق في مكة قبل أن يرى وليده النور ، فيغادر وفاء بالنذر ويصف الراوي الحدث قائلاً:" **أمسكت رملة بثياب الرجل الذي**

([1]) خريس ، القرميّة ، ص78.

([2]) خريس ، القرميّة ، ص95-96.

([3]) خريس ، القرميّة ، ص96.

يتأهب للسير وحيداً إلى الحجاز ، ثمّ ردّت كفها وجلى" [1] وهنا يقطع الراوي الحكي معلقاً بتأثر مُريب:"، **أيّ غضب ٍ يمكن أن يحلّ بهما إذا لم يفِ الحارث بما وعد !! "**[2].

ولا شك أنّ في هذا التساؤل الذي حمله التّعليق أهميّة سيكتشفها القارئ - من بعد- عندما يمضي مع السّرد، مندمجاً في القراءة أكثر ، متشوقاً لمعرفة مدى سلامة الحمل واستمراره المرهونيْن بوصول الحارث إلى الأرض المشرفة "مكة" فيتابع بأسى بالغ وتأثر شديد غياب" الحارث"، وولادة "رملة" المتعسّرة ووفاتها ، وولادة طفلتها على يد الفتى "عقاب" ، وتسمية الصغيرة بـ"مزنة" بعد أن جاءت بالخير للديرة غيثاً وفقعاً، وأدهشت الجميع بعبق مسكها وقد أرضعتها الغزالة بعد رفضها لبن أثداء نساء الحي كلّه.

وها هو صوت الراوي المهيمن على السرد يتبدّل من صوت سارد حسب إلى مُعلق مؤثّر يحاول استمالة المتلقي وإثارة إنتباهه إلى الحدث أو الشخصيّة أو المشهد السرديّ المُلتقَط ذاته الذي يضمّ هذه العناصر الفنيّة مجتمعة، فـ"عقاب" ابن الحر والشهانة وراعي "الأصيلة" يلتقي بـ" مزنة" فتظلّه بقلبها ويظلّلها بحبه وعنفوانه، فيباركهما "الحكيم" وتباركهما الأرض والسماء، ويلتقيان بعيداً عن الديار، وتتعملق خيالاتهما وهما يدخلان وادي رم/ وادي القمر، فيعبران بحب وشوق وحنان الوادي يداً بيد ويقتربان ويتقاربان فـ" **تتلون الصخور ويسمعان خريرا بعيدا غامضا لأمواه مختفية بين تراكمات الصخور الجرانيتيّة ، حذران يزيحان الأغصان التي تعانقت تسد الدرب إلى النخلات ... تتقصف الأعواد اليابسة تحت أقدامهما ، وتنثني الأعواد الخضر"**[3] فيعلّق الراوي بتأثر:**"أهذه هي المرة الأولى التي يطآن فيها أرض الفردوس ! "**[4] فهما اللذان يعرفان الفردوس رغم الهجير **"يعرفان النخلات بأسمائها ، والوادي بحصبائه وحصاه ، يعرفان كيف تعترج الطريق ، وإلى أيّ ظلال تفضي ، يعرفان مخابئ العصافير والشعب التي تطلّ من كواتها المداهمة رؤوس الحساسين"**[5] ويداهمنا الراوي بتعليق انفعاليّ تأثيريّ مؤثّر جديد بتساؤله:" **من أين جاءت كلّ هذه العصافير التي لم تفزعها خطوات العاشقين ؟!"** [6]

وما التساؤل الجميل هذا إلا إثارة لما قد يعلق في ذات المتلقي من شعور ينقله بحسّ عالٍ إلى تلك البقعة الخضراء في ذلك الوادي المهيب؛ ليتصوّر الحب والحلم في قلب الواحة الغنّاء.

التّعليق التقديميّ الاستباقيّ:

معلوم أنّ التّعليق يأتي بعد مثار التّعليق وفي أثناء السرد ذاته، أي بعد الأمر المراد التّعليق عليه إلاّ أنّ هذا النوع مُباين ومُغاير؛ إذ يأتي قبل الأمر المراد التّعليق عليه سواء أكان حدثاً ما أو شخصيّة ما أو فعلاً ما أو عنصراً ما فيجئ كمقدمة تمهيديّة ملائمة للولوج إلى قلب النّص؛ لفهم المغزى والمراد، والتّعرف على

([1]) خريس ، القرميّة ، ص32.
([2]) خريس ، القرميّة ، ص32.
([3]) خريس ، القرميّة ، ص106-107
([4]) خريس ، القرميّة ، ص107.
([5]) خريس ، القرميّة ، ص 107 .
([6]) خريس ، القرميّة ، ص107.

حال كنهه المرتبط أساساً بالتّعليق التقديمي نفسه، فهاهو الراوي يقدم تعليقا تقديمياً بخصوص "الدّواج" التاجر المتجول – عادة - في البوادي الذي خرج مع "الدّليل" و"الطّراح" صائد الصقور من مصر مستبشرين **"برحلة خير لا مثيل لها حتى إذا توغلوا في الجوف واستشعروا طول الرحلة ومشقتها التقوا بقافلة من نجد"**[1] تمت بينهما المقايضة: الصقور الأربعة المكمّمة والمقطّبة بالفرس الأصيلة.

ويأتي هذا التّعليق التقديميّ قبل التّعرف إلى حكاية الثلاثة الذين اجتازوا سيناء إلى أرض الجوف، محملين بالبضائع وقد شدّوا إلى صدورهم بنادقهم ؛ خشيةً من غدر الصحراء المحتمل و طلباً للأمن والأمان ، إذ يقول مُقدّماً قبل التعرف إلى حكاية المقايضة والصقور والفعل الرضيع "عقاب" ابن الحر والشيهانة وما كان من أمرهم مع الحكيم المهيب في الجفر:" **عادة " الدوّاج" أن يصل ببضاعته إلى حيث يقيم البدويّ ويرتحل ، فلا يقتسم غنائمه القليلة مع تاجر سواه إلاّ إذا بعدت الرحلة وشقّت ، فإنّه يستعين على قيضها ومخاوفها ومخاطرها بالرفيق والأنيس"**[2] ويأتي مِن بعد بخبر الثلاثة: الدّواج والدّليل والطّراح ، وحكاياتهما مع قافلة نجد و"الحكيم"، ومثل هذا التقديم هو بطاقة تعريف بهويّة "الدواج" ومخاطر مهنته، وأهوال رحلاته ومشاق تنقلاته بين العربان.

وها هو يستبق الحدث ويقدم له وقد تحولت ساحة المرجة كلّها إلى منصات إعدام الأحرار المفزعة على يد "جمال السفاح"، حين عُلِقت الرؤوس في الأنشوطة، وتُليت الأحكام ، وسحبَ الجلاد أرضية المنصة تباعاً فتدلّت أجساد الثائرين الضاجين بالعروبة، الطامحين إلى الحريّة واصفاً حال الأمير "فيصل" الذي كان شاهداً من قبل على ذلك، وها هو الآن يقرأ مع رجاله الملتفين حوله: "نسيب البكري" و"فائز الغصين" و"حسن شرف" و"أحمد البلوي" و"علي النجدي" و"مولود مخلص" وغيرهم سفر الثورة التي أذكت مشاعر عروبتهم ، وأذكت نار حقّها وقد" **سطا النوم على عيني " فيصل"، وتفتحت شبابيك السعير"** [3] ثم يأتي التّعليق التقديميّ الاستباقيّ في سؤال صعب موجع على لسان الراوي المهيمن كلي المعرفة " **كيف له أن يفلت من هذا الكابوس الذي عاشه يوماً حقيقة، وأضحى رفيق نومه الشحيح"**[4].

ثم يستكمل سؤاله التقديميّ بالجواب الدّال على هذا الكابوس المرعب حيث **"تقترب العربة العسكرية ، يرى" فيصل" زواله يقف فوقها مسكوناً همّاً وأسراراً، إلى جواره " جمال السفاح " ، منتفخ الأوداج يمسّد شاربيه هازئاً ، يهرب الدم من وجهه ، ولكنّه لا يتحرك ، تقف العربة تحت المنصّة ، تتحول ساحة المرجة كلّها إلى منصّة ، دمشق كلّها إلى منصة، الأعمدة الخشبية تصطف كسلالم متروكة هناك، وعند الرأس يتقاطع العمود مع امتداد أفقي يتدلى منه جبل في الفراغ، تتأرجح دائرة**

---

(1) خريس ، القرميّة ، ص16.

(2) خريس ، القرميّة ، ص14.

(3) خريس ، القرميّة ، ص83.

(4) خريس ، القرميّة ، ص83.

المشنقة كفوهة الجحيم، جمهرة الناس، وجوه صفراء وأعين فزعة وأياد ترتعش وأقدام تنوء بحملها ، وصمت تتخلله همهمات غامضة"(1).

إنّ مثل هذه التّعليقات السرديّة التقديميّة أو الاستباقيّة أو التمهيديّة عادّة ما تكون موظفة لسرود أكثر تفصيلاً وأوسع تأثيراً، ولعلّ أهميتها تكمن في إضاءتها الكامنة في الاستباق الواعي والمدروس موقعاً ورؤيةً وتشكيلاً.

التّعليق المعرفيّ:

وهو ما يحوي معلومة ما أو يدلل على سعة ثقافة ما في موضوع النّص أو بعض عناصر تكوينه، إذ تشتمل بعض التّعليقات المبثوثة في أثناء السّرد على معلومات معرفيّة أو ثقافيّة مخصوصة تخدم النّص أو تضيئه من جهة، وتدلل على مدى سعة ثقافة الراوي الذي هو صوت المؤلف ونائبه من جهة ثانية ؛ فهاهو الراوي يقطع سرده بتعليق معرفيّ يدلل على خبرته في معرفة أحوال القرى عندما يشتدّ البرد ، ويغزر المطر، ويقلّ القوت إذ يقول:" **في هدأة القرية يعدون طعاماً قليلاً ، فيكورون العجين ، يفرشونه فوق الحجر المشتعل ثم يغطونه بالرمضاء والرماد ، فإذا ما فاح رغيف الخبز برائحته الذكيّة ، أخرجوه ونفضوه ، أكلوه مستريحين للإحساس الدافئ الذي يحدث في أمعائهم"**(2).

وها هو يدلل على معرفته بـ" البتراء" المدينة الصخريّة الورديّة الفاتنة التي ظلت" **شاهداً يختزن في روحه كلّ من مروا واندثروا ، شاهداً شاهقاً يتخطف القلوب"** (3) مُعلقاً تعليقاً معرفياً على "الخزنة" سيدة المكان التي وقفت قبالتها عيون "عليا" وفرسها "الأصيلة" بأنّها" **تلك التحفة العبقريّة التي قدّت الصخر، وعبرت القرون كأنّما هي حكاية"** (4).

التّعليق التوكيديّ:

يؤكّد الراوي في بعض تعليقاته بعض مرويه السرديّ أو الوصفيّ بقصد إيهام المتلقي بواقعيّة المروي ممّا يزيد النّص تماسكاً ؛ فبعض التكرار مقصود لذاته توكيداً وترسيخاً للحدث أو مجرياته أو أثره في بعض عناصر العمل الفنيّ كالمكان والشخصيّة مثلاً.

فها هو الشيخ "عودة" - وفقاً لتعليق الراوي- يؤمئ لرجال ديرته بترك "الحكيم" الذي وصل إلى الحصباء السوداء من بعد خروجه من كهفه بعد اعتزال طويل طويل مؤكّداً أنّ " **الحكيم ماض إلى غاية يدركها ، ومقصد يبتغيه ، خطواته ثابتة واعية"**(5).

ويعود الراوي في السياق ذاته مؤكّداً عبر تعليقه في أثناء السرد حدث مغادرة الشيخ كهفه الذي ظلّ معتكفاً فيه منذ عصيان أهل الشوبك أوامر الجندرمة الترك ، وسجن الأتراك لبعض الفرسان في سجن

---

(1) خريس ، القرميّة ، ص84.

(2) خريس ، القرميّة ، ص200-201.

(3) خريس ، القرميّة ، ص67.

(4) خريس ، القرميّة ، ص68.

(5) خريس ، القرميّة ، ص12.

استانبول، وتداعيات خروجه التي لم تثنِ شيخ عرب التوايهة "عودة" عن استعداداته لغزو بني صخر، ف" **الشيخ وإن أدهشته الأحداث المتتالية : خروج الحكيم المفاجئ من عزلته ، ظهور "عقاب" الغامض العجيب ، غيمة الصيف التي أمطرت ، والأثداء التي فاضت لبناً ، والتماع جسد الأصيلة كجوهرة بفعل بريق تعرقها المتواصل، كلّ هذه الأحداث لم تصرفه استكمال استعداداته لسوق الفرسان إلى وادي السواقة حيث يقطع بهم حدود لغزو بني صخر الذين ما كانوا غافلين عن استعدادات الحويطات وقد أعدوا لهم أشد وأقوى فرسانهم، حديد يلاقي الحديد** "[1].

إنّ تعليق الراوي هنا بمثابة خلاصة أمينة مكثفة لمعظم الأحداث الواقعة آنذاك، وما الإتيان بها على هذا النحو إلاّ تأكيد لأثرها الطاغي في مجريات الأحداث من بعد؛ فهي محور العمل الفنيّ وقوامه في التّعبير عن الحكمة البصيرة ، والروح الحرّة الطليقة الثائرة، واليقظة الجديدة.

التّعليق الانطباعيّ:

يقدم الراوي من خلال هذا النوع من التّعليق رأيه الخاص ورؤيته الذاتيّة تجاه حدث ما أو موقف ما أو شخصيّة ما أو مشهد ما في العمل الفنيّ نفسه، فتعليقاته ذوقيّة انطباعيّة غير معياريّة مُختلَف في قبولها أو رفضها وفقاً لاختلاف الأهواء والأذواق ، والنزعات والرؤى والاتجاهات ؛ إذ الكلّ ليس واحداً.

فهاهو الراوي يسجل انطباعاته الذاتيّة حول دمشق : مهبط القلوب ، ومعقل الركائب، وعروس الحضارات وقد يمّم الفرسان وجوههم شطرها ؛ ثورةً ورايةً وعزيمةً، منتشياً بسحرها معبراً : "**دمشق، هامة عمرها مئات السنين ، وعد غامض ، ووجيعة استكانت في الصدر دهراً، تتفجر براكينها اليوم في قلوب الرجال، الرجال حسب، أولئك الذين احترقت أكفهم في مجمرة الفداء، أولئك الذين يسمعون خرير بردى في الأماسي ولا تحجب عجاج الصحاري بهاء جناتها والنعيم**"[2].

ويظل الراوي متنشياً بلذّة الحلم الوحدويّ الذي تحقّق بدخول دمشق فيقطع حوار "زعل" والشيخ "عودة" الذي ترك المطامع لأهلها بعد تشكيل الحكومة بسوق انطباعه الخاص حول "دمشق" التي ما زالت تملكه وتأخذ بلبه وشغاف قلبه؛ إذ " **يسأل " زعل "** :

- **ويش معزم يا عمي ؟**
- **نرد الديرة ، زهب افرسك**

ثم ينظر إلى "عقاب" بود ، ويواصل حديثه مع " زعل" :

- **أنا وأنت و "عقاب" نرد سوية ، والبقية كلّ يفعل ما بدا له**"[3] ، فيأتي تعليق الراوي الانطباعي سافراً بالقول:" **دمشق ، يا اصطفاق الموج في بردى وحلاوة العنب . يا عنقودك الحلو الذي**

---

(1) خريس ، القرميّة ، ص21-22.

(2) خريس ، القرميّة ، ص256.

(3) خريس ، القرميّة ، ص285.

ارتشفناه في آخر موسم الدوالي . دمشق الهوى ، لك القصور الحافلات بأحداث الليالي وعاديات الزمان وتغير الأسماء ، لك التاريخ المثقل بوزر من ذهبوا ومن جاؤوا ومن سيولدون"(1) .

ويتابع تعليقه دون إتمام السرد الذي بدأ ليختم الفصل الروائي نفسه معبراً عن وجع وداعها وقد صارت غنيمة في عيون الباحثين عن الغنيمة والجاه والسلطان:" **دمشق ، لك الطموحات العراض تمزّقها رياح الغرب والشرق . دمشق ، لك كلّ هذا وذاك ، ولنا هوى يكوي الفؤاد لا يستثنيك ولا يستبقيك ، معلّقة على هدب العين حين نودعك ، ومتعبة تلك الخيول الخارجات منك ، مطرودة طوعاً أو كرهاً من جنانك الغناء ، متعبة الخيل التي دخلتك محجلة راقصة"**(2) .

إنّ مثل هذا التّعليق الانطباعيّ يجعل من "دمشق" معادلاً موضوعياً للوطن الواحد بوصفها الوعد والنبوّة والحلم والشهادة والفداء في الآن نفسه، يتأكد لنا هذا وقد جمعت الرواية بين "دمشق" الحلم والفارس"عقاب" والحبيبة "مزنة" التي كانت تعاني الآم المخاض بالتزامن مع اقتراب الفرسان الأحرار ومعهم "عقاب" من دخول دمشق التي بدت كالعروس المجلوة، لتظل الراية خفاقة بالأمل والحلم، الحلم الذي مرّ فوق الأرض العطشى فكان عامراً بالماء، معطراً بالمسك بدءاً من حوران وانتهاءً بالجوف(3).

الخلاصـة:

إنّ جوب عالم راوي رواية "**القرميّة:الليل والبيداء**" للروائيّة الأردنيّة "**سميحة خريس**" ، ومحاولة استكناه وظيفته في التّعليق على الأحداث تخلص بنا إلى **أنّ:**

- عملية الخلق الفنيّ هي شكل من أشكال الاتصال الواعي بين ذات الكاتب والواقع الموضوعيّ، بحيث يتخذ الواقع في أثنائه صبغته أو صيغته الفنيّة الجديدة المُغايرة لواقعيته.
- دراسة دور الراوي ووظيفته وموقعه فنياً من أهمّ الجوانب الفنيّة الجديرة بالتناول؛ لما له من أهميّة في إيصال النّص الروائيّ إلى المتلقي.
- الراوي أحد أهمّ مكونات البنيّة السرديّة للخطاب ، وأهمّ أداة تقنيّة يستخدمها الكاتب للقصّ.
- الراوي ليس هو المؤلف بل هو عنصر بنائيّ تخييليّ يصنعه المؤلف ؛ ليغدو الواسطة التي يتوسّل بها في تقديم رؤيته المُتخيلة إلى المتلقي.
- دور الراوي في لعبة القصّ شكل من أشكال الإيهام بواقعيّة الأحداث المروية المُتخيلة.
- أنماط الراوي ونماذجه المتعددة ما هي إلاّ نتاج تعدد مستويات التّصنيف والتّقسيم لدى نقاد الفن القصصيّ.

---

(1) خريس ، القرميّة ، ص285.

(2) خريس ، القرميّة ، ص286.

(3) انظر: خريس ، القرميّة ، خاتمة الرواية ، ص301.

- مسافة تفصل بين الروائي خالق العمل التّخييليّ والراوي المُتخيل بوصف الأخير – أي الراوي- قناع الروائي الذي يتستر وراءه لتقديم عمله، مفوِّضاً له مهام عملية القصّ ذاتها.
- اختلاف طبيعة الراوي تبعاً لموقعه ورؤيته وصورته وصورته المنفرد أو المتعدد منوط باختلاف الوظائف البنائيّة والتنظيميّة والتعبيريّة التي يقوم بها.
- الاكتفاء بصيغة روائيّة واحدة يتمظهر من خلالها الراوي، أو المزج بين صيغتين أو أكثر متروك لحريّة الكاتب نفسه في اختيار الأكثر ملائمة وفقاً لما تقتضيه طبيعة النّص.
- من أبرز وظائف الراوي وأشدّها رسوخا الحكي والإخبار والتّوصيل بالتّوصيف والتّعليق والتّأثير بقصد الإيهام بواقعيّة النّص.
- التّعليق بوصفه وظيفة من وظائف الراوي وصيغة من صيغ حضوره لم تُعطَ حقّها في الدراسات النقديّة المتعلقة بالراوي ووظائفه.
- دواعي التّعليق مختلفة باختلاف أنماط الرواة وأشكال حضورهم في النّص ، وطبيعة مواقعهم من القص، ورؤيتهم المنوطة بهم؛ إذ ليس ثمة شكل محدد للتّعلّق أو نمط مخصوص لمظاهره المُتكثرة.
- تعدّد أشكال التّعليق في رواية "القرميّة" واختلاف تمثيلات حضورها من الإيضاحيّ إلى البنائيّ إلى التأثيريّ، ومن التقديميّ إلى المعرفيّ إلى التوكيديّ إلى الانطباعيّ تأكيد لمدى نجاح الروائي مُنتج النّص في تحميل راويه بحمولات دلاليّة عدّة تعكس وجهة نظرة ورؤيته.
- رواية "القرميّة" شهادة روائيّة شفيفة في الثورة والوحدة والحريّة والفداء، مكتوبة بنور وجوه الأحرار الثائرين في وجه الظلم والجبروت، مرتهنة إلى التراث، متكئة على التاريخ، تتناص في عناصرها مع الشعبيّ والدينيّ والأسطوريّ، وتتماهى في حقيقتها مع الطبيعة؛ لتغدو معادلاً موضوعياً للحلم الوحدويّ العربيّ الكبير.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم ، عبد الله (1992) ، **السرديّة العربيّة" بحث في البنيّة السرديّة للموروث الحكائي العربي"**، (ط1) بيروت ، المركز الثقافي العربي.
- أنيس ، إبراهيم ، وآخرون(د.ت) ، القاهرة ، **المعجم الوسيط** ،(د.ط)، ج2 ، المكتبة الإسلاميّة للطباعة والنشر.
- جينيت ، جيرار(1997) ، **خطاب الحكاية "بحث في المنهج"** ، ترجمة:محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى، (د.ط) ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة.
- حليفي ، شعيب (1993)، **مكونات السرد الفانتاستيكي** ، فصول، مج 12،ع1، القاهرة، الهيئة المصريّة العامة.
- خريس ، سميحة(2011) ، **القرميّة الليل والبيداء** ،(د.ط) ، عمّان، منشورات وزارة الثقافة.

- سمعان ، إنجيل بطرس(1987)، **دراسات في الرواية العربيّة** ،(د.ط) ، القاهرة ، الهيئة المصريّة العامة للكتاب.

- الصالح ، نضال(2005) ، **سميحة خريس" قراءات في التجربة الروائيّة"**، (ط1) ، عمّان ، أمانة عمّان الكبرى.

- عامر ، عزة عبد اللطيف(2010) ، **الراوي وتقنيات القص الفنيّ**، (ط1) ، القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

- عبيدات ، زهير(2001) ، **القرميّة كتابة بالدم والعشق "دراسة في رواية سميحة خريس"**، مجلة أبحاث اليرموك، إربد، سلسلة الآداب واللغويّات، مج 19، ع1، جامعة اليرموك.

- عزام ، محمد(2005) ، **شعريّة الخطاب السردي**،(ط1)، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

- العقيل ، أسمهان(2008) ، **الراوي في الرواية الأردنيّة بين جيلين "دراسة نقديّة تطبيقيّة"**، (ط1) ، عمّان ، منشورات أمانة عمّان.

- علي ، نجاة(2017) ، **الراوي في روايات نجيب محفوظ**، (د.ط) ، القاهرة، دار الهلال.

- العمامي ، محمد نجيب(2001) ، **الراوي في السرد العربي المعاصر" رواية الثمانينات بتونس"**، (ط1) ، تونس ، دار محمد الحامي.

- العيد ، يمنى (2010)، **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، (ط3) منقحة ومزيدة، بيروت ، دار الفارابي.

- الفيصل ، سمر روحي(2003) ، **الرواية العربيّة "البناء والرؤيا" مقاربات نقديّة**، (ط1)، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

- قاسم ، سيزا أحمد (1984)، **بناء الرواية : دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ** ،(د.ط) ، القاهرة ، الهيئة المصريّة العامة للكتاب.

- قبيلات ، نزار (2010)، **البنى السرديّة في روايات سميحة خريس"1995-2003"**،(ط1)، عمّان، دار أزمنة للنشر والتوزيع.

- الكردي ، عبد الرحيم (2006) ، **الراوي والنّص القصصي**، (ط1)،القاهرة ، مكتبة الآداب.

- مجموعة من المؤلفين (2006)، **معجم الأدباء الأردنيين**، (ج2) ، (م1) ، عمّان، وزارة الثقافة.

- محي الدين ، ناصر نمر(2012) ، **بناء العالم الروائي**، (ط1) ، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع.

- مرتاض ، عبد الملك (1998)، **في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد**، (ط1) ، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- ملحم ، إبراهيم أحمد(2009)، **"سميحة خريس الرؤية والفن"**، (ط1) ، عمّان، أمانة عمّان الكبرى.

- المناصير ، حمدالله (2019)، **تألق النّص "ظواهر أسلوبيّة في الأدب والنقد"** ،(ط)1، عمان ، دار جليس الزمان.

- الهواري، أحمد إبراهيم(1993) ، **نقد الرواية في الأدب العربيّ الحديث في مصر**، (د.ط) ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة.
- وادي ، طه (1989)، **دراسات في نقد الرواية** ، (د.ط) ، القاهرة ، الهيئة المصريّة العامة للكتاب.
- وادي ، طه (1996)، **الرواية السياسيّة**،(ط1)، القاهرة، دار النشر للجامعات المصريّة.
- وهبة ، مجدي ، المهندس ، كامل (1984)، **معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب** ، (ط2) ، بيروت ، مكتبة لبنان.
- http://www.culture.gov.jo/node/30947

Université Amar Telidji-Laghouat-Algérie





DIRASSAT

REVUE INTERNATIONALE

ISSN 1112-4652